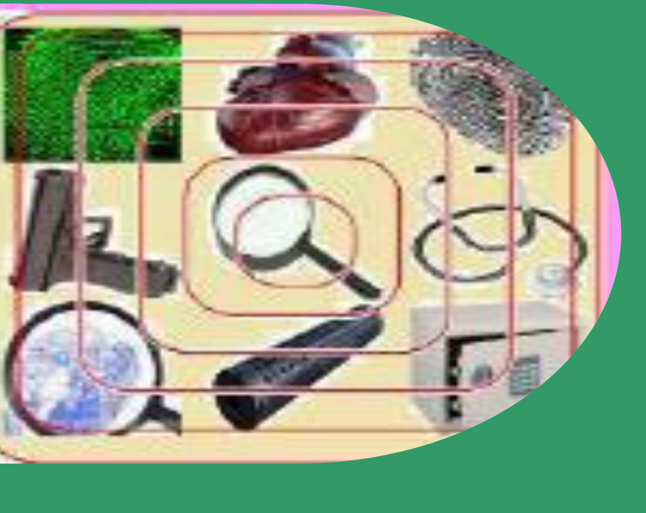
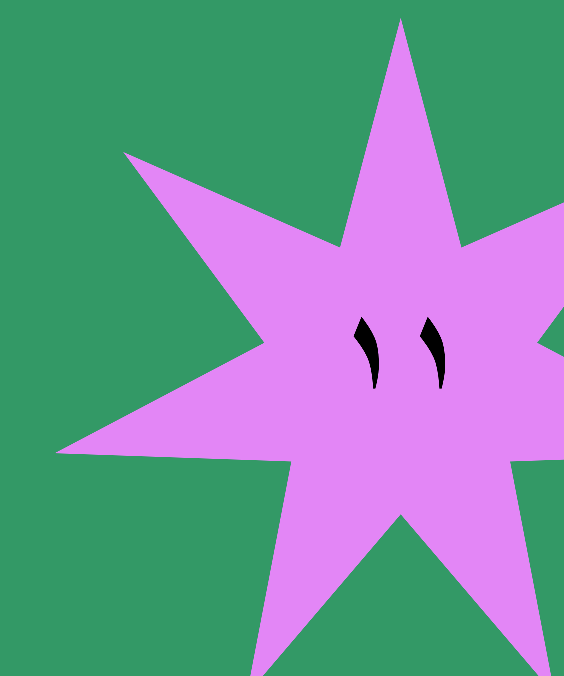
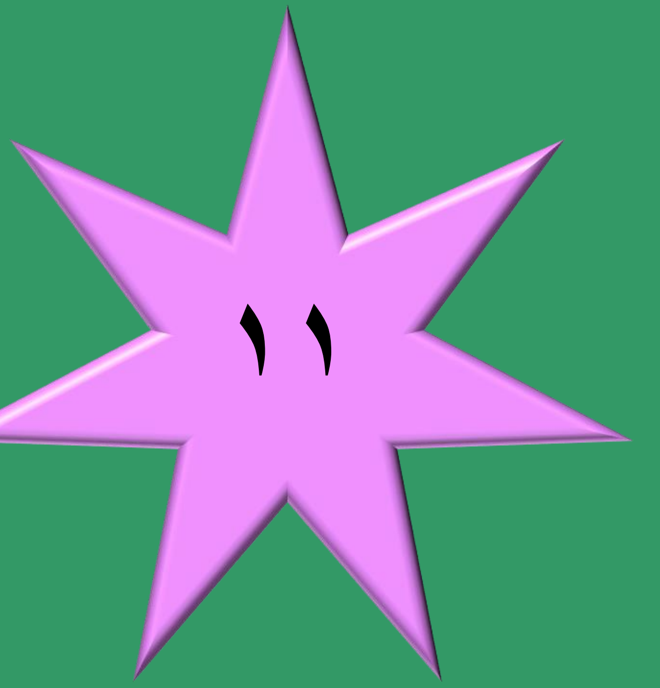


التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين





لغز القصر الصحراوي

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

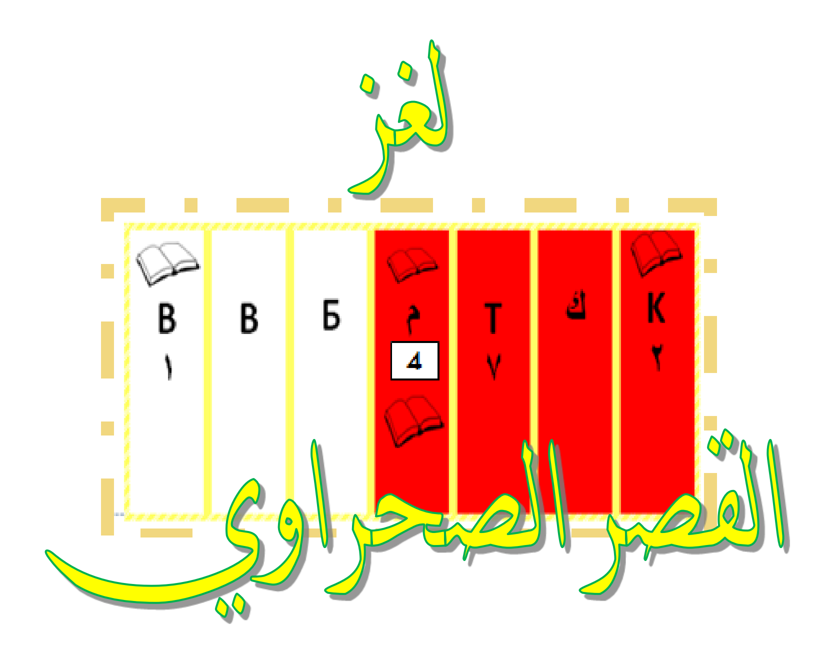
٢٠٢٣/ ١٤٤٤

الكيوي

جمال شاهين

لغز القصر الصحراوي

جمال شاهين



١

الحوادث خطب يومي ، بل كل ثانية تحدث عشرات مئات الأحداث ، سرقة نشل احتيال قتل عمد وغير عمد اغتصاب اختلاس رشوة ، وذلك على مستوى العالم كل العالم .

وكثير من هذه الحوادث تدون وتسجل في دواوين الشرطة والأمن ، والأكثر ربما لا يسجل ولا يعرف ، وهناك حوادث وجرائم تشيع في المجتمع المحلي المجتمع الإقليمي ، والقليل في المجتمع العالمي ، فتنتشر في الصحف والكتب والمحطات الأرضية والفضائية .

وأصبحت قصتنا هذه قصة ؛ لأنها وجدت من يهتم بها ويثيرها في الإعلام والصحافة بعد انتهاء فصول أحداثها .

سعاد عيسى فتاة تزوجت حديثا من زميل لها في شركة اتصالات وتكنولوجيا الاتصالات ، هذه المرأة من سكان شوماز بلدة تقع على أطراف العاصمة ، وهي من العاصمة حسب علمي المحدود في نظام البلدات والمدن ، هذه المرأة المهندسة قد سمعت زوجها المهندس أديب يحيى بسيم الجدية يتحدث عن جده بسيم المقتول بغموض ، وهو الذي شيد قصرا عظيما في الصحراء صحراء قاحلة لا يوجد حولها عمران ، أقرب مدينة تبعد عن قصره مائة كيلو متر

شيد هذا الرجل الخطير الذي ستتعرف عليه خلال سطور وكلمات هذه القصة قصره ليحميه من أعدائه الكثر ، ولكنه قتل واغتيل فيه برصاصة واحدة فقط .. ، ومع وجود القتلة أو القاتل في القصر لم يعرفه الشرطة ، ولم يتهم أي شخص من سكان القصر بتلك الجناية .

تحقيق استمر عدة أشهر دون نهاية ، وأخبر محامي العائلة المحامي الكبير داود محمد المهندس أديبا أن التحقيق أغلق وقيد ضد مجهول أو أوقف التحقيق ، مع عدم إنهاء خدمات العاملين في القصر .

وليس هذا وحده المثير في قضية الجد بسيم الجدية ، بل المثير أن الرجل ترك كنزا من المال والوثائق الخطيرة لحفيده ، ولن يصل هذا الفتى الوارث لهذا الكنز ومذكرات جده إلا إذا حل سلسلة من المخفيات والألغاز والشيفرات .

والكنز كما حدث الجد مليء بالجواهر من الألماس والياقوت والزمرد وغير ذلك من الأسماء للأحجار الكريمة .. وحاول هذا الشاب على أثر مقتل جده الوصول للكنز ، ولم يصل إليه مع أنه استعان برجال مهمين ومختصين في ذلك .



وكان السيد أديب يحيى قد تزوج بعد وفاة جدة بستة شهور تنقص أياما ، رفض الزواج في حياة جده ، دون أن تظهر لنا الغاية من التأخير ، قد يكون الخوف السبب أثر مقتل أفراد أسرته بحادث التفجير الذي سنتحدث عنه ، فلما سمعت سعاد عيسى حكاية القصر الصحراوي والكنز تحدثت عنه أمام أخواتها في بيت الأسرة العريقة ، وقدر الله تعالى أن تتحدث الأخوات بهذا الأمر أمام خالهنّ محمد محسن ، وشقيقهن بشر العاملين في الصحافة ، محمد محسن صحفي عجوز قد أفنى سني حياته في الصحافة والحبر والمطابع ، فهو صحفي كبير في بلده وعلى مستوى العالم أيضا ، وابن أخته في الطريق إلى ذلك ، فلما سمع ملخص قصة الكنز وغموض موت الرجل قال لابن أخته بشر : بما أن المهندس أديبا نسيبك اهتم بالموضوع .. فأنت صحافي ومحامي رد الشاب : الموضوع مثير حقا ! ولكن ليس لي اهتمام كبير بالتحقيقات البوليسية والجنائية وحتى مسألة الكنوز والدفائن والآثار .

ـ أعرف المعاناة التي يجدها الصحفي في مجال الجريمة .. هذا مسموح نشره ، وهذا غير مسموح المحكمة قد تتأثر بأقوال وتعليقات الصحفيين .. وأحيانا كثيرة المحققون لا يحبون إخراج ما في جعبتهم قبل تقديم المتهم للمحكمة .. لكن هذا كنز نسيبك ، وفي الغد كنز أولاد شقيقتك فقد علمت أن سعاد حامل .. فأنا لولا كبر سني لاهتممت بالموضوع موضوع نسيبنا أديب الجدية .

استسلم الشاب وقال : حسنا يا خال ! سأسعى لمقابلته وأسمع منه .. وأعرف لماذا قتل جده ؟

وهل للكنز دخل في مصرعه ؟ بل وأعرف لماذا قتلت أسرته من قبل ؟! .. فقد تعرض بيتهم لتفجير رهيب يا خال قتل كل العائلة الكريمة ، ولم ينج منه إلا هو وجده ؛ لأنهما لم يكونا في البيت ساعة الانفجار .

ـ سمعت به ونشرناه في صحفيتنا أذكر يومذاك .

ـ الحادث حدث سنة ٨٢ قبل خمسة عشر عاما .

ـ محرر صفحة الحوادث قد يفيدك في معلومات تلك الجريمة .. فمن العادة أن يتابع محرر الحوادث مألات الحادث .. والرجل الجدية رجل أعرفه حقيقة ؛ ولكنها معرفية سطحية .. فهو رجل سلاح تاجر سلاح مخضرم .. وتابعت حادث قتله الغامض .. وكان غريبا أن لا تعرف الشرطة القاتل.. ولكن الجريمة لفها الغموض المحيط بها ، ولم تكن جريمة سياسية لتعجز الشرطة عنها .. ربما لو شجعته أعاد الكرة للبحث عن الكنز الذي تركه له جده .. كنت قديما أول دخولي معترك الصحافة تستهويني يا ابن أختي مواضيع الكنوز والاغتيالات السياسية .. ولكن السن له دوره .. فعلى الصحفي عدم الانغلاق بلون واحد من التحرير ..

ـ سأهتم يا خالي بالقضية .. قضية الكنز ، وقد نتابع قضية الجريمة .



٢

ولد المهندس أديب عام ١٩٦٧ ، وهو العام الذي سماه العرب في العالم العربي بعام النكسة ، في هذا العام هاجمت دولة إسرائيل وليدة الاستعمار وبقاياه ثلاث دول عربية محيطة بها ، واحتلت مساحات شاسعة منها ، وقد تفوقت جيوشها على جيوش تلك الدول ، في هذا العام كانت بدايته على هذه الأرض .

وعندما بدأنا سرد فصول هذه القصة عام ١٩٩٧ كان الشاب قد دخل في أول العقد الرابع ، فقد أنهى ثلاثين سنة من عمره . وقد تخرج الشاب من الجامعة كمهندس اتصالات وتكنولوجيا حديثة ، والتحق مهندسا في شركة عالمية تعمل داخل بلده .

وهو حفيد لرجل معروف على مستوى البلد والعالم ، تاجر سلاح كبير اسمه بسيم الجدية ، وهذا الرجل ترك لحفيده الوحيد ملايين الدنانير والدولارات ، سوى الثروة التي ورثها عن أبيه وأمه ؛ ولكنها لم تكن شيئا مع ثروة الجد بسيم .

ورغم رغبة الجد القوية رؤية حفيده زوجا لم يحقق الشاب هذه الرغبة لجده في حياته ، فتزوج بعد وفاته بشهور في خريف ١٩٩٦ ، وكانت زوجته فتاة خريجة كلية الهندسة اسمها سعاد عيسى ، ومنذ شهور التحقت للعمل في شركة الاتصالات العالمية.

تعرف عليها الشاب بحكم المخالطة في العمل ، ثم حديث عن زواج وبناء أسرة جديدة ، وسهل الله الأمر ؛ فكان الزواج بفضل الله تعالى .

ومهندسنا أديب كاسمه ، قليل الكلام ، كثير التبسم ، عندما تعاشره وتخالطه لا تحس أن الشاب مهندس ، ولا تحس أنه يملك الملايين من المال والكثير من العقارات ، ويقطن قصرا ، وتتعجب إذا عرفت ذلك لماذا لا يدير الشاب شركة خاصة به ؟!

ولما استقرت سعاد في بيت زوجها قل قصره في ضاحية شوماز ـ فقد أنشأ وشيد له جده قصرا بدلا من البيت الذي دمر في حادثة تفجير مقتل ابنه يحيى والد أديب ـ فسمعت حينئذ هذه الفتاة تفاصيل مقتل والده التي تعرفت على بعضها قبل الزواج ، ثم عرفت تفاصيل عملية

قتل جده بسيم في القصر الصحراوي في آخر عام ١٩٩٥ .

وسمعته يتحدث عن الكنز والمجوهرات التي أخفاها جده في القصر ، وتركه خارطة ومفاتيح للوصول إلى الكنز ووثائق جده السرية ، ولما مات الجد فكر المهندس بالوصول لهذه الكنوز ، واستعان برجال مهتمين بمثل هذه الأمور ، ولم يفلحوا في الوصول إليه .

ولولا انشغاله بزواجه ، وعدم اهتمامه الكبير بالكنز لأخذها لزيارة القصر الذي يسميه بالقصر الصحراوي لوقوعه في قلب الصحراء الجرداء .

تكلمت سعاد أمام شقيقاتها بقصة القصر الصحراوي والكنز الخفي كما يتكلم الناس عن الكنوز بإثارة وتهييج ، والشقيقات تطرقن لهذا الكلام أمام شقيقهنّ الصحفي بشر عيسى وخالهم محمد محسن . وأثار الكلام أشجانا وذكريات لدى الرجل الشيخ محمد محسن عليان ، فتحمس للكنز ، ورغب ابن أخته المحامي الصحفي للاهتمام بموضوع هذا الكنز .

تقبل بشر عيسى اقتراح خاله ، ووافق على الاجتماع بأديب وسماع حكاية الكنز الخفي والجد المقتول .. وهل الكنز السبب في مقتله ومصرعه ؟



فبعد أيام يسيرة زار بشر المهندس في مكتبه في الشركة ، والتقى به وبسعاد وفاتحه بالموضوع وسبب هذه الزيارة ، وكانت سعاد حدثت زوجها باهتمام خالها بشأن الكنز وجريمة قتل جده فرحب أديب بالحديث المفصل عما يعرفه عن أسرار جده ليسعى بشر للكشف عن أسرار الكنز الخفي في قصر جده الصحراوي .

واحتفلت سعاد بمقدم أخيها وهيئت له عشاء مناسبا ، ولما قضوا شهوتهم من الطعام دخلوا إلى مكتبة الجد بسيم وحفيده أديب ، ليكشف لنا بعض أسرار جده وعائلته ، وكانت سعاد قد

كلفت الخادمة نور بإدخال المشروبات والفواكه إلى غرفة المكتبة والمكتب ، فجزء منها مكتب لأديب . وهذه ليست أول مرة يزور بشر بيت شقيقته سعاد ، فقد زارها عددا من المرات خلال الأشهر الماضية ، إنما هذه الزيارة لها نكهة خاصة كما يقال ، لها هدف خطير ومهم وهو البحث عن الكنز الخفي ، جاء ليسمع قصة بسيم الجدية الذي اشتهر بتهريب السلاح في أكثر أقطار العالم الرجل الذي عمل في تهريب الأسلحة في الدول العربية أثناء فترة الاستعمار في الجزائر وسوريا وفلسطين العربية . هو من عائلة هاجرت قديما للتجارة في ساحل فلسطين ، واستقر المقام بجده في العمل على سواحل شرق البحر المتوسط .



قال أديب لنسيبه شقيق سعاد : هل أبدأ منذ وجد جدي على ظهر الأرض أم عندما أصبح تحت الأرض أي عند مصرعه الغامض ؟

فقال بشر : هو قتل كما علمت منك سابقا في أواخر ١٩٩٥ .

ـ نعم ، قتل في تشرين الثاني [نوفمبر] من ذلك العام عن عمر ناهز خمس وثمانين سنة .. قتل غيلة في القصر الذي جعله قلعة وحصنا حصينا .. لقد كان جدي يتوقع قتله والغدر به ؛ وإنما خارج الملجأ والمخبأ .. هو نجا يوم مصرع أفراد أسرتي .. هو نجا وأنا ؛ لأننا ليلتها لم نكن في البيت .. لجدي أعداء كثر بحكم عمله في وسط تجارة السلاح ..الذي تمده بالسلاح يحبك.. والذي لا تبيعه السلاح يبغضك ، ويحرض عليك .

قال بشر : عليك يا أديب العزيز أن تبدأ الحكاية من البداية .. فالأفضل أن اسمعها هكذا حتى إذا كتبتها للنشر تكون شبه كاملة .. أنا أعرف أن الكثير من التفاصيل ليس لك بها علم .. وهذا عمر مديد أعطي لجدك ـ رحمه الله ـ وعند النشر نستخلص المناسب والمفيد للقارئ يا أديب .. مسح أديب فمه بعدما قضم حبة فاكهة ، وقدم لبشر واحدة وقال : كل أيها الصديق .. جدي

بسيم الجدية من مواليد ساحل فلسطين التي اغتصبها اليهود ، وجعلوها أرض المعياد .. فلسطين كان يهاجر الناس إليها من بلدان العالم الإسلامي ، ١٩١٠ ولد بسيم الجدية من أم مغربية تزوجها والده ، فكان والده متزوجا من أكثر من امرأة طمعا ورغبة في الأولاد الذكور فوالده يعمل بالتجارة والتصدير لشواطئ أوروبا حمضيات وفواكه فلسطين ، وعمه كان صيادا وصاحب مراكب صيد ، وكان الذكر الوحيد من نساء والده .. وكانت في تلك الفترة من الزمن الدولة العثمانية التركية باسطة نفوذها على بلاد الشام والحجاز والعراق .. ولكن قبل أن يشب الفتى بسيم حدثت الحرب العالمية الأولى التي استمرت كما تعلم حوالي أربع سنوات كان من نتائجها القاتلة احتلال بريطانيا وفرنسا بلاد الشام والعراق .. وظهر علنا المشروع الصهيوني المراد إقامته على أرض فلسطين ، وتكشفت وثائق سايكس بيكو المشهورة ووعد بلفور لإنشاء الوطن القومي اليهودي على فلسطين العربية .. وانحسر النفوذ التركي العثماني عن بلاد الشام وغيرها من بلدان العرب ..

أعلن الانتداب البريطاني والوصاية على فلسطين .. وبدأت عملية التهويد .. وكان العرب في غاية الضعف في تلك الفترة ..واستسلم العرب الفلسطينيون للانتداب وحكم بريطانيا العظمى التي كانت تحكم مصر قبل ثلاثين عاما من دخولها فلسطين والأردن والعراق .. وقصة الاستعمار معروفة ومدونة في الكتب والملفات .. تعلم جدي في بعض مدارس الساحل كغيره من الأطفال ، وكانت قد ظهرت المدارس النظامية منذ عهد قريب ، وبدأت تنتشر في العالم وبلاد العرب .. وبدأ يشاهد احتكاك العرب باليهود والإنجليز .. وبدأت الثورات تظهر في العراق والشام على الإنجليز والفرنسيس ..وتظهر المظاهرات والاحتجاجات ضد الاستعمار والانتداب والتمييز بين العرب واليهود ، وبعد أحداث حادثة البراق أخذ الشعب الفلسطيني إلى التسلح السري وتشكيل الخلايا المسلحة .

أمام هذا الواقع أخذ الجد بسيم الشاب يعمل في تهريب السلاح من لبنان وسوريا من ليبيا من العراق من صحراء مصر .

لقد شارك الشاب في نقل السلاح ، وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت له معرفة وباع في كيفية إدخال السلاح للمناطق الملتهبة بالحروب ، وكيفية التعامل مع رجال بيع السلاح سواء سرا أو علنا . وكانت الثورات في فلسطين والبلاد العربية تزداد لهيبا من أجل الحرية والاستقلال عن الدول المستعمرة ، ومع شدة لهيب الثورات تزداد الحاجة للسلاح ذخيرة وسلاحا ، وتزداد بالتالي تجارته وتهريبه . وقام جدي وكغيره من الشباب بالثورة ضد التهويد والانتداب ، وشارك فيها ، ولما قتل القسام الشيخ السوري ـ رحمه الله ـ قامت ثورة ٣٦ المشهورة التي امتدت إلى الكثير من بلاد فلسطين .

فكان الرجل نشيطا بتهريب وتوريد السلاح للثورة ورجالها .. ومع بداية الحرب الثانية خفت الثورة وحدتها نتيجة الوعود السياسية التي تلقتها القيادات العربية والفلسطينية لحل مشكلة فلسطين والاستعمار .

وخلال سنوات الحرب ظل الجد بسيم يعمل في تجارة السلاح شراء وبيعا وتهريبا حسب الحال فتعلم كما اخبرني أسرار التهريب ، وأسرار الشراء ، وترتيب الصفقات السرية والعلنية مع الجيوش والملوك والرؤساء والعصابات الثائرة والمتمردة .

وشارك مرة أخرى في أحداث الثورة في عام ٤٨ ، ولكن حلت النكبة المؤلمة في الشعب الفلسطيني ، وخسرت الجيوش العربية المعركة ، وأعلنت دولة إسرائيلية على أرض فلسطين المسلمة والعربية .

وعلى أثر الهزيمة العربية هاجرت العوائل العربية عن أغلب الساحل الفلسطيني نحو الشام ولبنان وشرق الأردن وغزة ونابلس وما يسمى اليوم بالضفة الغربية.

وكانت أسرة جدي والده وعمه قد غادروا البلاد مع المغادرين ، فذهب عم الجد إلى مصر ؛ لأن زوجته كانت من أسرة مصرية ، وغادر والد جدي إلى منطقة رام الله والبيرة .

ولما هلك والده محمود الجدية سافر إلى البرازيل ككثير من الشباب طمعا بحياة أفضل من الوضع الصعب الذي حصل للناس عقب التشرد والنكبة . وترك زوجته التي ولدت له أبي

يحيى ، وأمه وبعض زوجات جده محمود في دار اشتراها والده في الضفة الغربية التي أصبحت جزءا من المملكة الأردنية الهاشمية ، كما أمست غزة جزءا من مملكة الملك فاروق ملك مصر .
ولما حل الجد في البرازيل التي تقع في العالم الجديد الجنوبي وجد الحروب مستعرة في تلك القارة منها حروب داخلية ، ومنها حروب دول بينها وبين بعض ، فكان المد الماركسي الروسي أو السوفيتي متغلغلا في تلك البلاد .

فلما رأى ذلك الحال عاد لتجارة السلاح والتهريب للمنشقين للمتمردين للثائرين للعصابات وكانت هذه العصابات المسلحة تمول الكثير من الصفقات من تهريب وتجارة المخدرات ، فاضطر للاحتكاك بتلك العصابات للحصول على أموال تجارة السلاح ، فتعرف على الكثير من الزعماء للعصابات للدول للثوار .

وكان من نتيجة ذلك وجود أصدقاء منهم ، ووجود الكثير من الأعداء والخصوم ، وكان لا يشعر بالأمان حتى يعود إلى شوماز فيجد بعض الراحة من مطاردة أعدائه وخصومه ، مع الحذر الشديد أيضا .

وانتشر نشاطه أيضا في أفريقيا لاشتعال حروب الاستقلال والثورات ، وامتد لآسيا حيث الحرب الهندية والفيتنامية وكمبوديا ، فالحروب هي المكان المناسب والملائم لبيع وترتيب صفقات السلاح الخفيف والثقيل .

فأصبح معروفا على مستوى تجارة الأسلحة في العالم ، وله شركات وشركاء في عدد من القارات وكانت تقام بعض الشركات لتغطية أعمال تجارة السلاح . وأصبح السيد بسيم الجدية مالكا لثروة كبيرة ، ولكن العمر يمضي ، وكبر الجد فأخذ يفتش على الراحة والتقاعد .

فقد كانت حياة جدي مليئة بالحركة والسفر ، تارة في الشرق ، تارة في الغرب في الشمال في الجنوب .. كان كثير التنقل ، وكان يلتقي برجال الحكم والمال ورجال العصابات والثوار .. برجال المخابرات والأمن وتعرض مرات ومرات للغدر والاغتيال والخطف أيكفي هذا الليلة ؟
قال بشر : لا أنام مبكرا يا أديب ؛ ربما أبقى في الصحيفة للفجر .. تابع .



دخلت الخادمة ببعض الفواكه والشاي والمكسرات ، وأخذت توزعها على الموائد الصغيرة ، ولما غادرت قال أديب : أخبرتك أن والد جدي كان مزواجا طامعا بعدد كبير من الذكور ، فلم يرزق بسوى جدي بسيم ، أما البنات فكن تسع أخوات ، وبعضهن ما زلن على قيد الحياة ، وهن في غاية السعادة والرفاهية ، ولهن أحفاد ، وكان جدي سخيا معهن ، ومات على ذلك ، والمحامي داود محمد ما زال يتابع مخصصات جدي نحوهنّ .. مع أنهن لسن بحاجة لمال ؛ ولكن وصية محمود لبسيم .. أما نساء والد والد جدي فكلهن رحلن عن هذه الدنيا .. وكان والدي يتفقدهن ويرعاهن حتى متن جميعهن .. تزوج جدي بسيم بعدما بلغ العشرين من ابنة أحد أعيان مدينة القدس من أصدقاء والده .. وبعد سنوات من الزواج ولدت جدتي أبي وثلاثة بنات ماتت اثنتان منهم قبل نكبة الشعب الفلسطيني ، وبقيت واحدة ، وتزوجت وكانت قد تزوجت ابن عم جدي وما زالت هي وذريتها هناك ، وكان جدي يتفقدها باستمرار ؛ بل كثير من أبنائها وأحفادها تعلموا في الجامعات على نفقته .. وما زلنا نلتقي ونتقابل كلما خرجوا من البلد .. وماتت منذ سنوات قليلة ـ رحمها الله ـ وأبي تزوج بعدما استقر في مدينة بلبل العاصمة هذه التي نعيش فيها الآن .. واشترى جدي ووالدي هذه الأرض التي قام عليها هذا القصر الذي نجلس فيه الآن .. ولما رأى السيد بسيم قلة فرص العمل .. ترك أبي وأمه وهاجر جهة البرازيل ككثير من شبان العرب الطامح بالثروات .. لم تكن بلاد الخليج ظاهرة ثروتها للعيان آنذاك .. فيمم نحو أمريكا .. هو وبعض أبناء عمومته وأخواله .. ووجد سوق السلاح رائجا فعاد إليه بقوة وحقق ثروة هائلة ننعم ونرتع فيها اليوم بفضل الله تعالى .. وكان يرسل المال لابنه يحيى من هناك ولابنته الأخرى في فلسطين .. وتزوج هناك أكثر من مرة ، وأكد لي أنه لم تلد له إلا واحدة

برازيلية من أصول هندية شقيقة أحد أصدقائه وشركائه في تجارة السلاح .. عندما يتخلص من واحدة يتزوج غيرها .. وكان سعيدا بذرية أبي .. لقد ولدت أمي ثلاث بنات وولدين ، وأنا ترتيبي الخامس ، ولدت عام ١٩٦٧ في شهر آذار مارس ، وبعد الحرب أنجبت طفلة وولد ثالث .. وترك والدي بلبلا وبنى بيتا في شوماز .. وهو هذا القصر ، ولكن لم يكن قصرا كان بناء عاديا من عدة طوابق ، الأول محلات تجارية ، ونحن نعيش في الطابق الثاني ومعنا الجدة .. لم يكن والدي يعرف أن والده تاجر سلاح في الغربة .. نعرف أنه صاحب تجارة وشركاء .. ماذا يعمل لا يدري أبي ؟ وكان مجيئه للبلد قليلا جدا ، ولما يأت يأتي مسلحا ومعه حرس .. هكذا أخبرتني خالتي التي تعيش معي الآن .. وكان يتحرك بسيارة خاصة ضد الرصاص ، وصلت للبلد بسفينة وبقيت هنا في موقف خاص مجهول لأبي .. علمنا أنها ضد الرصاص .. وكان يملك عدة شقق في العاصمة بلبل وغيرها من المدن .. وكان لا يمكث كثيرا في بيتنا .. يأكل مع الأسرة ، ويطمئن على زوجته وأحوالنا ويختفي ، ثم يظهر مودعا فجأة .. وكانت جدتي كثيرة الأمراض ، وقد ماتت قبل حادث الانفجار الذي أودى بحياة ولدها يحيى .

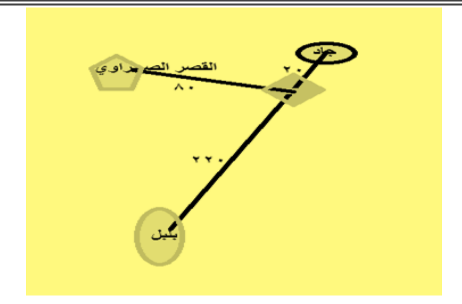


٣

عاد بشر بعد أيام لسماع المزيد من قصة بسيم الجدية تاجر السلاح الدولي، فلما جلسوا في المكتبة المكتبة التي أنشاها الجد لحفيده ولنفسه ، قال أديب : انتهيت في الحديث عن موت جدتي ـ رحمها الله ـ كانت كثيرة الأمراض .. اشرب شايك يا أبا ناصر .. وكان جدي أثناء موتها متنقلا بين البلاد لعقد الصفقات وتهريب الصفقات .

كانت زياراته للبلد قصيرة لظروف عمله وتجارته ، وقبل حادثة مقتل أسرتي قد بدأ في إنشاء قصر في قلب الصحراء صحراء لغد ، وبدأ يفكر بالاستقرار في ربوع البلد ، فكان قد حفر مجموعة من الآبار في تلك الأرض الواسعة التي اشتراها وتملكها ، ووجد الماء في إحداها ، كنت صبيا وأسمعه يحدث أبي في ذلك ، وأنه سيختبأ في الصحراء في ذلك القصر عندما يجهز وكانت المسافة من مدينة بلبل إلى ذلك القصر تصل إلى ثلاثمائة كيلو متر بالسيارة .. فبين القصر والشارع الموصل بين مدينة بلبل ومدينة جاد حوالي ثمانين كيلو متر تقريبا .. ومدينة جاد تبعد عن القصر حوالي مائة كيلو متر .. صحراء جرداء لا حياة فيها ، شجيرات صحراوية متفرقة هنا وهناك .. فالقصر اليوم جنة في تلك الصحراء وهو فعلا قلعة حصينة .. ولسوف تراه ـ إن شاء الله ـ وطريق القصر من الشارع الدولي إلى القصر الصحراوي ترابية فقط .

قبل موت أبي كان القصر في بداياته ، ولم يكن مهما لنا مشاهدته يا سيد بشر ، قامت بالحفر والبناء في الجزء الأول منه شركات أجنبية وذلك بعد استخراج الماء من جوف الصحراء ، فيما بعد علمت أن آبار حفرت ، ووضع فيها خزانات ماء ضخمة لتخزين الماء كالخزانات التي تستخدم في محطات الوقود .. ثم شيد تحت الأرض طابق ليستخدم كغرف تخزين مواد وأدوات ، وأنشئ فوقه قاعة استقبال كبرى ، وفيها صممت قاعة رخامية بأعمدة رخامية لاستقبال الضيوف عند وصولهم للقصر .. ستراها ـ إن شاء الله ـ ولها هنا صور .. هنا قاعة فيها صور للعائلة .. وأنشئ فوق هذا الطابق الأرضي الطابق الأول ، وفيه حوالي ثلاثين غرفة ، وهو على شكل نون مقلوبة .. هذا القسم من القصر كان جاهزا للحياة قبل حادث ٨٢ .



وأصبح هذا القصر مقر الجد في كل عودة وزيارة إلينا .. فيقضي أياما بيننا ، ثم يختفي في الصحراء أو غيرها من الشقق التي يملكها في بلبل وغيرها من مدن البلاد ، وله عمارة كبيرة في مدينة جاد القريبة من القصر الصحراوي .. أذكر أنه سمح لأبي بأخذنا لذلك القصر للفرجة كان يخشى علينا التعرض لهجوم من قبل العدو عدو جدي المجهول لنا وله .

عاد الجد للبلد في صيف ١٩٨٢ ، وكان الشرق يغرق بالحروب ، والتوترات ملتهبة في أكثر من بلد ، فكان الجد يجعل من بعض وقته في بلبل ليقضيه معنا مع الوالد معنا نحن الشباب الصغار وكان الجد في كل مجيء يتحفنا بالهدايا والأشياء الجميلة ذكورا وإناثا.. ثم ينصرف للقصر الصحراوي ، ومرات عندما يريد السفر يطلب مشاهدتنا في مكان خاص فنذهب إليه لتوديعه أو يأتي بغتة دون اتصال فيقضي معنا بعض الوقت وينصرف .

جاء صيف ٨٢ لقضاء إجازة في البلد ، وقضى في بيت الأسرة في شوماز حيث نجلس الآن يومين على غير العادة ، لا يمكث في البيت يومين متواصلين ، ساعات يبات ليلة ، ويغادر بوقت غير منتظم في الليل في النهار حسب خطته الأمنية .

ولما غادر البيت سمعناه يخبر أبي بأنه يحس بأن ناسا يطاردونه ويسعون للفتك به ، وانصرف بعد صلاة الفجر ، فقد جاءت سيارته المصفحة وأخذته .

وفي اليوم الرابع من وصول جدي إلينا أي بعد مغادرته بيومين لبيت العائلة جاءت خالتي أم سالم وتغدت معنا ، ولما صلت العصر وأرادت الانصراف طلبت من أمي أن أرافقها وأقضي الليل معها في بيتها ؛ لأن ابنها سالم في رحلة جامعية ، وسينام في الخارج مع زملائه الطلاب ..

وخالتي ليس لها إلا سالم طالب في الجامعة ، وبنت أكبر من سالم ومتزوجة من ابن عم لها أو

قريب لأبيها .. اتصلت أمي بابي في المتجر في أسفل العمارة ، فوالدي كان يملك ما يسمى اليوم سوبر ماركت الكائن في الطابق الأول للعمارة الصغيرة ، فقال لي : يا أديب أمك اتصلت تريدك أن تذهب للمبيت مع خالتك هذه الليلة فسالم غير موجود .. وغدا يرجع سالم فتعود . وكانت خالتي أرملة ، ووضع لي بعض المأكولات والمشروبات في كيس وقال : خذها وتسلى بها أنت وخالتك .

فحييته وصعدت للبيت في الطابق الأعلى ، كنت تلك الأيام ابن خمس عشرة في ذلك العام الذي لا ينسى يا أبا ناصر .. دخلت وغيرت ثيابي ، وكان الوقت عصرا .. ثم ودعت أمي ، ومن كان في البيت من الأخوة والأخوات ..وأوقفت سيارة أجرة تكسي ؛ لتنقلنا لشارع سليمان في حي النصر العربي .. وفي الصباح جاء الخبر المرعب بأن عمارتنا وقع فيها انفجار رهيب قتل فيه كل أفراد الأسرة ، ودمرت البناية تدميرا كبيرا.. لم ينجُ من الأسرة إلا أنا لمغادرتي البيت مع خالتي التي سافر ولدها مع طلاب الجامعة ، وجدي بسيم الذي لم يكن موجودا ساعة الانفجار الغادر. وكان الانفجار في الثامن من تموز ، ذلك العام ١٩٨٢ يوم الخميس في أول ساعات ذلك اليوم لما عدت للبيت في الصباح كان المشهد مروعا ، سيارات الإسعاف ورجال المطافئ والشرطة ورجال المتفجرات والبحث الجنائي والأقارب والأصدقاء والجيران .

وبعد مشاهدتي للدمار الذي لحق بيتنا صرت أصرخ وأبكي ، فأخذني رجال إلى بيت خالتي التي أحضرت لي الطبيب ، وتقرر بقائي في بيت خالتي أم سالم .

وبعد هذه الحادثة الكبيرة ترك جدي السفر الكثير ، وكان يسافر لقضاء حاجة ، ثم يعود سريعا وقرر البقاء حولي لرعايتي أنا الباقي من سلالته ، هو له أحفاد من ابنته التي ماتت في فلسطين حيث تزوجت .

فاشترى سيارة مصفحة خاصة بي ، وكلف سائق هندي يعمل معه في القصر الصحراوي ليعمل تحت أمري .

وبعدما انتهى رجال الشرطة من التحقيق في مكان الحادث ، رفعت الأنقاض ، وقام جدي ببناء

هذا القصر ، وأيضا أضاف طابقين في قصره الصحراوي ، ووضع له وسائل حماية معقدة .
وعين كادرا من بلدان شتى في ذلك القصر ، وأقام حولي هنا بعض الحرس والخدم الخاصين ، وله قسم في الطابق الأرضي فيه مكاتب خاصة به وبنشاطه ، له باب إلى القصر ، ولكنه لا يفتح إلا من داخل القصر ، وهو باب مصفح يفتح على الطاقة الكهربائية .. والحافظ هو الله وعشت في بيت خالتي تحت حماية خاصة حتى كمل هذا القصر ، وجئت للحياة فيه ، وبصحبة خالتي التي تزوج ابنها ونحن نبني هذا القصر الحصن .

وكان جدي يقول لي: يا أديب كنت أنا المقصود بالانفجار القاتل .. ولكن قدر الله لنا وأنت الحياة .. واعلم أننا ما زلنا في خطر .. خاصة حياتي أنا ، لقد تكوّن خلال سنوات هذا العمر أعداء كثر لي .. أجهل أكثرهم ؛ ولكني أحس بوجودهم .. لم يبق لي من دنياي إلا أنت .. ولولا مشيئة الله تعالى ، وذهبت تلك الليلة للمبيت عند أم سالم لحل بك ما حل بأهلك .. ولولا أنك بحاجة للدراسة لسقتك للبقاء معي في القصر القلعة .. هناك في الصحراء حيث أعيش .

فقال بشر : تحقيقات الشرطة في الحادث ماذا كانت النتيجة ؟

ـ الشرطة زعمت أن هناك عصابة وضعت المتفجرات في محل الوالد .. وأمام باب شقتنا .. وتم التفجير عن بعد .. فقد وقفت يا سيدي سيارة أمام الدكان قبل صلاة الفجر بساعتين أو آذان الفجر .. موهمون من يراهم أن سيارتهم فيها عطل فني ..لأن بعض الناس أخبروا البوليس برؤيتها تقف أمام المحل .. ففتحوا المحل وادخلوا المتفجرات والمواد المتفجرة .. وبقيت السيارة أمام المحل عند الانفجار .. لم يأخذوها معهم لماذا ؟ لا جواب .. لأن أجزاء بقيت منها ، ولم توجد فيها أي جثة إنما استخدمت لنقل القنابل كما تبين من تحليل الشرطة . واعتقد القتلة أن جدي هلك في الانفجار وأنه من ضحاياه ، ولم يصل الشرطة للقتلة ، وبعدها لحتى مقتله لم يحدث علينا اعتداء .

خلال سنوات الجامعة رغب جدي بتزويجي ليرى أحفاد ولده يحيى ، ولكني رفضت الزواج أو حتى التفكير بالزواج ، وكان خلال سنوات الجامعة يقضي بعض الأسابيع بكمالها معي ومع

خالتي ، وجل وقته في هذه المكتبة أو في مقابلة بعض الأصدقاء ، أو متابعة نشاطه مع شركائه من المكاتب التي في أسفل القصر .

جدي رجل واسع المعرفة ، ويتكلم بعدد من اللغات حسب الحاجة طبعا ، وهو يعرف الإسبانية لغة أغلب سكان أمريكا اللاتينية .. ويعرف الكثير من مفردات اللغة الهندية .. والإنجليزية يحسنها لدرجة كبيرة لكثرة ما احتاج إليها وهو يتنقل في مدن وفنادق العالم .

فكان يغيب في قصره الصحراوي عندما يحتاج للعزلة التامة ، وربما استقبل بعض الرفاق الأجانب والشركاء فيه .

وكان جدي يعطف عليّ للغاية ، ولا يبخل عليّ بشيء أنا خاصة وحتى مع كل أقاربنا .. فهو سخي بطبعه .. وطوال السنوات التي قضيناها معا كان خائفا عليّ ومن اغتيالي بيد غادرة رغم الاحترازات التي أحاطني بها .. فلما يرني عائدا للقصر .. فأحس بسعادته واطمأننه .. ولما يقض زمنا في صحرائه يتصل بي يوميا ليطمئن على عودتي للبيت ، وهو أحاطني علما بالأخطار التي تتهدده .. وربما يصيبني شيء منها .. ثم نسلم أمرنا لله .

فقال بشر : سأنصرف الآن يا سادة .. المهم أن التحقيقات لم تسفر عن شيء ..

ـ بعضهم اعتبرها جريمة سياسية .. المهم أن التحقيق فيها توقف .

٤

بعد أيام أخرى زار بشر عيسى صهره أديب يحيى لسماع قصة مقتل الجد بسيم ، فرحب الزوجان بضيفهما ، وتعشوا جميعا ، ثم انتقلوا للمكتبة حيث كان السيد بسيم يحلو له المكث عندما يلقي ترحاله في قصر أديب يحيى .

عرفنا السيد بسيما تاجر سلاح كبير في هذا العالم ، ورجلا كثير السفر والترحال ، ولما قتلت أسرة ولده الوحيد يحيى استقر في البلد بلبل ، وخف تجواله العالمي ، وجلست خالة أديب في صالة التلفزيون تقلب القنوات والمحطات التي تتزايد يوما بعد يوم ، وهذه أول مرة يصادف بشر خالة أديب منذ أقبل لسماع بعض تفاصيل حياة بسيم الجدية ..فقد كانت عند ابنتها التي ولدت في تلك الفترة ، فجاملها الرجل ودعا لها ودعت له .

وبيت أديب فيه عدد لا بأس به من الخدم والخادمات ، وأغلبهم من الهنود بدولهم المختلفة .. فالهند عند تحررها من قبضة الاستعمار انقسمت لمجموعة دول كالهند نفسها ، والباكستان قبل سنة الاستقلال ، ثم بنغلاديش بعد عشرين سنة انقسمت عن الباكستان .. ثم البنغال وسيرلانكا وربما كشمير في المستقبل .

جلسوا كالعادة في المكتبة التي تحتوي على مكتب للسيد أديب ، أحضرت القهوة المرة التي يطيب للصحفي بشر شربها ويفضلها على غيرها من القهوة وتسمى في بلاد العرب القهوة السادة ربما لخلوها من السكر أو على طبيعتها البكر .

ووضعت بين أيديهم وأفواههم أطباق الفاكهة والمكسرات ، وكانت سعاد قد اعتذرت من خالة أديب للجلوس مع شقيقها وسماع حكاية السيد بسيم ، وكانت الخادمة قد وضعت أمام الخالة بعض أطباق الفاكهة التي تحبها .

ولما جلست سعاد قال بشر : قلت إنك ستروي لي قصة مقتل جدك ـ رحمه الله ـ الذي قتل قبل سنتين ..

قال أديب وهو يمسح فمه بمنديل ورقي : مات أو قتل جدي يا أبا ناصر يوم الأربعاء أو فجر

الأربعاء ..لا .. مساء يوم الثلاثاء في أول الليل كان الشهر تشرين الثاني نوفمبر ١٤ / ١١/ ١٩٩٥

ـ منتصف شهر أحد عشر من عام ١٩٩٥.

ـ كان المرحوم جدي يحدثني تكررا ومررا عن الأخطار المحدقة به نتيجة عمله في تجارة السلاح .. فهناك صفقات مشروعة كالتي تباع لدول معترف بها من الأمم المتحدة ، وهناك صفقات تهرب لثوار ، وحركات تحرر فتصور أنها ممنوعة ومعادية .. وكان العالم غارق بالحروب الأهلية والدولية .. وتجارتهم لا يتعامل فيها بالمبادئ والأخلاق الحسنة .. أو بالعواطف .. فالحرب مصدر رزقهم .. فيقول لي : إذا بعت سلاحا وذخيرة لباكستان ، فالمتعاطفون معهم يرونك بطلا ومناضلا ومحاربا مع أننا تجار .. والذين يقفون مع الهند في حربها يرونك مجرما قاتلا مطلوبا قتلك .. وقس على ذلك في كل الحروب .. مع أننا أحيانا كثيرة نبيع ونهرب للفريقين المتصارعين.. يأتيك تاجر يطلب منك توصيل كمية من الذخائر والصواريخ الصغيرة لمكان ما مقابل عمولة ما .. فأنت لا تدري لمن ستصل الصفقة ؟..لأنها عادة تجري في ظروف سرية بالغة التعقيد .. مهمتك نقل البضاعة .. لمن ستصل ربما لا تدري بالضبط .. ستسلمها لشخص أو أشخاص .. فنتيجة هذه التجارة تكوّن لجدي أعداء وأصدقاء .. فكان يقول يا أديب تجارة السلاح لا عواطف فيها .. أنت بياع .. هناك صفقات بيضاء وصفقات سوداء .. ونتيجة أخرى أنه يطلع على أسرار مهمة لتلك الصراعات الدولية وقال : لا أشعر بالأمان والهدوء إلا عندما آتي إلى هذه البلد المسالم الوديع إلى مدينة بلبل فأحس بالراحة والحياة الهادئة .. وأخبرني أنه نتيجة هذا العمل يخوض حروبا مع عصابات أخرى لتهريب السلاح أو تجارة المخدرات لتمويل صفقات السلاح .. فالسلاح يحتاج لأموال كثيرة ولا تنضب .. فالمخدرات تستخدم لتمويل تلك الصفقات .. لأن غالب الدول النامية فقيرة أو متحررة من قيود الاستعمار حديثا فميزانياتها مهلهلة وضعيفة .. والعصابات تخوض حربا ضروسا لتفرض سيطرتها على مناطق ما .. وتلك العصابات خاصة في أمريكا اللاتينية قوية وعنيفة ، ولها علاقات مع رجال الحكم

والسياسة كعصابات المافيا المشهورة في إيطاليا والعالم الغربي .. فكان يقول : علينا أن نتعامل مع الجميع .. فالكل يشتري السلاح .

شرب فنجان قهوة سادة قدمته له سعاد ثم عاد يقول : وأخبرني جدي الغالي أن كل أملاكه ستؤول إليّ بعد موته .. فأنا الوارث الوحيد له ؛ ولكنه أوصاني بمساعدة أفراد العائلة وأحفاد ابنته في فلسطين .. والمحامي داود محمد يعرف كل التفاصيل ..وهو ابن صديق منذ عهد الشباب .. وأن المحامي على اطلاع بكل الأشياء الهامة في الحسابات الخاصة لجدي هنا أو في أوروبا أو أمريكا .. وحتى الشركات الشريك فيها في البرازيل وغيرها .. يتابعها مكتب داود مع المحامين في الخارج أو الداخل .

ومن الأسرار التي كشفها لي الجد هو زواجه أكثر من مرة في العالم .. وكان يتزوج ولما يرحل يطلق .. لأنه لا يحل الزنا مهما كانت الظروف ، ولما نزل البرازيل في أول الشباب عند هجرته الأولى إليها تزوج امرأة برازيلية من سكان البلاد الأصليين الذين يسمون الهنود الحمر .. وأنجبت له بنتا واحدة فقط ثم طلقها .. وسماها مها اسم عربي .. وسبب تطليقها قال كثرة تنقله بين البلاد اللاتينية .. وكان يحمل جواز سفر برازيلي .. فكان كلما دخل البرازيل يمر على المرأة ، ويتفقد المرأة ويعطيها المال ويرى ابنته .. ولما جاء المرأة بعد بلوغ ابنته عشر سنوات أخبرته المرأة أن ابنته اختفت ، فتكلم مع البوليس في تلك المنطقة .. فاخبروه أن هذا أمر شائع بين الفتيات والفتيان .. ربما رافقت عصابة أولاد ..أو لحقت للعمل في ملهى أو مقهى أو حانة وقالوا له سوف تعود للبيت فجاءة كما اختفت فجأة .. وعلمت قال إن بعض العصابات تأخذهم لنقل كميات من المخدرات أو نقل رسائل .. أو خادمات في دور الدعارة ..

وقال لي إنه بعد سنوات زار تلك المرأة فوجدها قد تزوجت وولدت من جديد ، وذكرت له أن ابنتهم قد زارتها ، وقضت عندها أياما ، ثم اختفت من جديد ، وعلمت منها أن الفتاة متعلقة بشاب من شباب العصابات .. وترك لها عنوان للمراسلة عند والدتها .. فجدي كما أخبرني وذكرت لك سابقا كان كثير الحركة ، ولا يحب البقاء في بلد أو مدينة مدة طويلة حتى لا

يتعرض لخطف أو اغتيال .

فهو له معرفة برجال مال وتجار وملوك ورؤساء وأسر وعائلات وقادة وثوار وقادة عصابات ولما قتلت الأسرة استقر في البلد هنا .. وأصبحت حركته في الخارج قليلة وعند الضرورة القصوى كما قال لي .. وقد أقام القصر الصحراوي ووفر فيه وسائل الحماية ولسوف تطلع عليها إذا زرنا القصر .. ولابد من ذلك لمعرفة مخبأ الكنز .. وقبل مقتله بزمن أحسبه شهور قال لي : يا أديب احترس .. لقد علمت من بعض أصدقائنا أن أعداء لنا دخلوا البلاد .. وأنا في القصر هذا تقريبا في أمان .. لأن الأسوار عالية ، وعليها أجهزة إنذار ، ولها اتصال بشركات حماية .. والقصر بعيد عن الأسوار .. ولكن ليس هناك شيء كامل كما يقول جدي وكل نظام أمني لابد أن يكون فيه ثغرات قد يصل إليها الخصم والعدو .. ولديّ حارس هندي محترف كما يقول جدي قد خدم في بلاده في حراسة الشخصيات ومعه مساعد .. ومعهم زوجاتهم .. وهناك سائق السيارة المصفحة وهو هندي أيضا .. وحتى سكرتير جدي في قصره الصحراوي هندي ، وله زمن طويل مع الجد .. وما قتل الجد إلا في غيابه وإجازته الضرورية رغم الحس الأمني الشديد عند جدي فقد اغتيل في قصره الصحراوي .. وأولئك المجرمون لا يهتمون بالخطأ الذي يقعون فيه كما حصل لمقتل الأسرة كلها .. والشرطة كما أخبرتكم لم تصل لشيء في تلك الجريمة جريمة قتل والدي إلا أن قالوا أناس فعلوها وغادروا البلاد ولم نعرف كيف غادروها ؟ أو علم جدي ولم يحدثني عن ذلك لأني أيامها كنت دون الثامنة عشرة

وجدي يحمل عددا من جوازات السفر لعدد من الدول كاحتياطات أمنية .. تحصل عليها من خلال خدمته لبعض الدول ..

أخذت احتياطاتي كما طلب جدي ، وأخذت التحذير على محمل الجد .. واعلم أنه كان يتلقى الكثير من رسائل التهديد والوعيد .. واتصالات كذلك من الخارج والداخل .. فهو معتاد على ذلك .. وبعد هذا التحذير بشهور ثلاثة تحدث ليلا معي طبيب يزور القصر من مدينة جاد بمقتل جدي ومصرعه في حجرة من حجرات القصر برصاصة واحدة .. فصعقت للوهلة

الأولى .. وتسألت كيف قتل في القصر في الحصن ؟ ومن تجرأ على هذا ؟ كانت مفاجأة لي !

قبل موته اتصل بالطبيب جادر ، وهو طبيب متقاعد من مستشفى جاد ، وطلب منه المجيء إليه فورا ؛ لأنه يتحسس ألما في صدره ..ولجدي سوابق في طلبه عند الضرورة ، وهو يرسل المرضى العاملين في القصر إليه ابتداء ، ومن ثم يحولهم إلى أطباء الاختصاص أو المستشفى .. وقلت لك إن مدينة جاد تبعد عن القصر حوالي مائة كيلو متر ، والطريق من الشارع العام إلى القصر ترابية وأصبحت شارعا من كثرة مرور السيارات عليها .. وجدي له فريق من الأطباء يتفقدونه من حين لحين .. وله علاقة خاصة بمستشفى جاد .. فالطبيب جادر طبيب طوارئ لجدي بسيم وأهل القصر..

اتصل الجد بالطبيب بعد صلاة المغرب مخبرا له بألم شديد يعتصره .. فالطبيب عندما يذهب للقصر في الليل يأخذ معه شرطيا من مركز شرطة جاد .. ويصحبه عادة طبيب مساعد وممرضة أما في النهار فيذهبون بدون سيارة شرطة أو شرطي ..ولما وصل للقصر تفاجأ الحرس بهم .. وجاءت سكرتيرة جدي الهندية وهي زوجة للسكرتير الهندي مايا ..فجدي لم يخبرها باتصاله بالطبيب .. أدخلتهم مايا القصر فهي تعرف الطبيب جادرا حق المعرفة ، فلها تعمل مع الجد منذ خمس سنوات .. ولما وصلوا لغرفة يستريح فيها الجد وجدوه مقتولا برصاصة واحدة ، وأنه فارق الحياة ..وجدوا رائحة مخدر في تلك الحجرة ، ويرجح الأطباء أنه استنشقه استنشاقا ، لم يثبت أن المخدر وضع في عشاءه .. المهم أنه لم يقاوم قاتله .. وأكد جادر وهو يسترجع الاتصال الهاتفي القصير بينهما أن الرجل عندما تحدث معه كان يعاني من حشرجة وصوته ضعيف .. وشرب جدي شرابا قبل موته ، ولم يثبت أن به مادة مخدرة .. وتساءل الشرطة والمحققون هل قتل للاتصال أم أن القاتل أو القاتلة قتلوه بعدما فشلوا بقتله بالذي أطعموه إياه أو أسقوه إياه ولما سمعوه يتحدث بالتلفون أسرعوا بقتله ؟؟ .. التشريح الطبي بين أن طعامه وشرابه لا مخدر فيهما ولا العصير الذي شربه .. فالراجح أن غازا مخدرا استعمل لإضعافه وتخديره .. وقتل من غير سم .

وجرى التحقيق في الجريمة الغامضة ، وحقق مع الخدم والحرس وكل الموجودين في القصر وهم حوالي ثلاثين فردا وعن تحركاتهم في وقت حدوث الجريمة كما حددها الأطباء الشرعيين من وقت الاتصال بالطبيب جادر حتى اكتشاف الجريمة .. ولم يستطع البوليس توجيه الاتهام لأحد .. لم يعرف الخائن بينهم لليوم ..ومن زوده بأداة القتل .. وبالمخدر إذا كان هناك مخدر .. ومن المستحيل دخول شخص من الخارج إلا إذا توطأ مع جميع الحرس .

وأنا بعد الحادث ودفن الجد حيث أراد في آخر البستان في ذلك القصر حيث وضع قبره طلبت من المحامي داود صديقنا العزيز بيع القصر إذا وجد من يشتريه ، فأخبرني الرجل أن جدي لا يحبذ بيع القصر .. وأنه لا يمكن بيعه وصرف العمال قبل إغلاق ملف التحقيق وتحديد الفاعل لأن كل العاملين في القصر من رعايا دول أخرى .. ثم أخبرني أن جدي ترك لي مجموعة من الرسائل تركها لديهم على فترات لا تسلم لي إلا عند موته .. وأن جدي ترك لي كنزا في مكان ما من القصر ووثائق خطيرة عليّ الاحتفاظ بها ..

قال بشر : كنز من المجوهرات والوثائق .

ـ نعم ، لا يمكنني بيع القصر حتى أمتلك الكنز ومذكرات وأوراق جدي المخفية .. فترك لي جدي رسائل كان يكتبها على فترات .. وفيها أنه يعلم أنني أبغض القصر ، وسيكون باكورة أعمالي بيع القصر رغم وجود قبري { أقصد قبره} في أرضه .. هكذا ذكر في أحد الرسائل .. ولكنه رخص لي بالخلاص منه إذا وصلت لذلك الكنز .. وأخبر أن لغز الوصول إليه ليس بالصعوبة التي تبدو للوهلة الأولى .. ويدعونني رغم أنني لست بحاجة للمزيد من المال إلى الاهتمام والنشاط للوصول للكنز الخفي .. حقيقة لما قرأت الرسائل تفاجأت .. وقد تعهد له المحامي بعدم دفع الرسائل لي إلا بعد موته .. رحلت للقصر مع بعض الأصدقاء المختصين في البحث عن الكنوز والدفائن وحل الشيفرات ، ومكثنا شهرا في القصر .. ولم نوفق بمعرفة موضع إخفاء الكنز .. ثم عزفت عن البحث .. وانشغلت بموضوع زواجي من سعاد .

٥

بعدما أخبر أديب بشرا شقيق زوجه سعاد فشله في العثور على كنز جده في القصر الصحراوي نهض وفتح خزانة معدنية داخل المكتبة ، وأخرج ظرفا كبيرا أصفر اللون ، وأخرج منه عددا من الرسائل ، ورتبها أمامه على طاولة صغيرة وقال : هذه صور عن رسائل جدي .. كتبها على فترات ، وأودعها مكتب شركة المحامي داود محمد ؛ ليسلمها لي على أثر وفاة الجد كما اتفق مع السيد بسيم .. فلما طلبت منه السعي في بيع القصر ، وإنهاء خدمات موظفين القصرين .. ضحك كثيرا وقال : سبحان الله ! جدك توقع ذلك منك .. فلذلك جعل فيه كنزا حتى لا تبيعه قبل إخراج الكنز .. والأهم أوراق ومذكرات جدك بسيم محمود الجدية .. أصول هذه الرسائل محفوظة في البنك يا سيدي في خزانة خاصة .. هذه صور عنها .. خشية سرقتها من أعداء الجد كما قال المحامي .

فقال بشر باسما : فلذلك جعل الجد كنزا ثمينا حتى لا تبيع قصره الصحراوي قبل استخراج ذاك الكنز المادي والورقي .

ـ والغريب أنه جعل لذريتي حقا فيه ..فإذا عجزت عن معرفة المخبأ .. فعليّ أن أورث الأبناء والأحفاد لهذا الكنز ..لا بيع البتة قبل ذلك يا أبا ناصر .. وإذا بعت قبل معرفة الكنز ؛ فإنه لن يسامحني قائلا في إحدى رسائله إن لديك مالا كثيرا ؛ فإذا لم تستطع الوصول لمذكراتي وأسراري التي أخفيتها مع الكنز فدعه للأحفاد يا ولدي العزيز ..

خذ هذه الرسالة واقرأها ، وقد تناول أديب رسالة من الظرف الذي كان أمامه وقدمها للدكتور بشر عيسى .

فأمسك بها بشر ، وسمع أديب يقول : سأدعك تقرأ الرسائل على الترتيب الزمني .. هذه كتبت بعد مقتل والديّ بحوالي عشرين شهرا ..

فالتفت بشر لشقيقته وقال : أتحبين أن تسمعي يا سعاد .. أم قرأتيها سابقا ؟

قالت : تكرم عليّ أديب بقراءتها .. فهو يعتبرني شريكته في هذه الحياة ، وفي هذا الكنز ..

فسمح لي بقراءتها وقراءة غيرها .. ولو قرأت بصوت مسموع لا حرج يا أخي فتفضل .



بسم الله الرحمن الرحيم

حفيدي الوحيد من الابن الوحيد أديب

السلام عليك ورحمة الله وبركاته

اعلم أن كل شيء بقدر من الله وحده .. والأعمار والموت بيده تعالى .. فموت أسرتك بقدر ، ونجاتي بقدر ، ونجاتك تلك الليلة بقدر .. وأنت ولدت وتعيش في بلد أغلب إن لم يكن كل أهلها مسلمين .. فالاستسلام للقضاء والقدر يهون من المصاب على النفس .. وإننا خلقنا للحياة الأخرى ..

وأنا كنت أتوقع فشل البوليس والأمن في معرفة الجناة ، وحتى لو قبضوا عليهم .. فما هم إلا مجرد أدوات نفذت الجريمة مقابل بعض المال .. فمخطط الجريمة بعيد جدا عن مسرح الحادث يقبع الآن في البرازيل أو كولومبيا أو البيرو ..فأعدائي كثر نتيجة عملي في تجارة السلاح وتهريب السلاح .. فهذا عالم ملتهب ، وبؤر الصراع كثيرة .. وهذا سوق على امتداد العالم .. مصانع تصنع ، وحروب تشتعل .. فمن حروب الشرق الأوسط .. حتى باكستان والهند .. وفيتنام وكمبوديا والكوريتين .. وسيلان وبورما ..حروب أفريقيا الوسطى والغربية إلى أمريكا اللاتينية .. الكل يطلب سلاح .. عن طريق شرعي أو غير شرعي .. المرء يحتار لمن يبيع وممن يشتري .. لأن الوسطاء كثر .. كنت أعمل على عقد الصفقات في البرازيل ، ويكون البيع في زائير .. أو جنوب إفريقيا .. أو الهند .. قدر لي أن أعمل في هذا العمل المؤلم .. فالسلاح يدافع

عن الحق ، والسلاح يقتل فيه الأبرياء والضعفاء .. ولكنها الحرب التي لا ترحم .. شعوب تريد أن تستقل عن الاستعمار والاستعباد .. أحيانا تعقد الصفقة لتكون في فيتنام الشمالية تجدها حطت رحلها في سيلان .. تجارة فيها الصديق ينقلب عدوا والعدو صديقا .. تجد الصفقة عندما تصل لمكان الحرب تقسم بين الخصمين المتقاتلين .. إنها تجارة صعبة فيها الرحمة والقسوة .. عملت في هذا العمل الصعب والمرعب ..تعرضت للاغتيال وللخطف مرات ومرات .. أحيانا كثيرة تجدنا في معركة مع غيرنا من مهربي السلاح .. مع عصابات المخدرات .. لديهم أموال ودولارات .. ويريدون رشاشات لأنفسهم أو لدول يدعمونها .. فكنت يا ولدي كثير التنقل والترحال .. وفقدت الكثير من الأعزاء والأصدقاء خلال تلك السنوات بالقتل والأسر .. كنا في حرب ضروس دامية .. وقد هويت هذه المغامرات منذ شبابي منذ أيام الاستعمار الإنجليزي لبلادنا .. ننام في الصحراء في الجبال في الغابات والكهوف .. ومن الوسائل المفيدة بالنسبة لي التنقل في بلدان العالم وعدم المكث طويلا في بلد حتى لا يفسح المرء لأعدائه الفرصة في اغتياله.. وبلدان أمريكا تجد المدن في كل بلد تتباعد كثيرا عن غيرها .. فيمكن للمرء أن يقضي أشهرا في دولة واحدة لكن في عدة مدن وطبيعة عملي كثرة السفر أيضا ..

أكتب لك هذه الرسالة وأنت لم تبلغ العشرين يا ولدي ..لأنني قد أموت قبل أن تكبر ؛ لتتحمل المسؤولية ، وتدير الثروة الكبيرة التي ستكون لك .. فلنا شركات في بلدان أمريكا مع شركاء ، وكذلك في الهند .. وبعض بلدان آسيا ..وفي إفريقيا ..ولنا عقارات هنا خاصة بنا لا يشاركنا فيها أحد .. وكل هذه الأمور والنشاطات يدير بعضها ويشرف عليها المكتب مكتب المحامي داود محمد .. وكان والده من قبل صديقنا ومحامينا ..وتوفاه الله من عهد قريب .. فكل شيء من أرصدة وحسابات ووكالات هي عندهم معلومة ..

اليوم أخبرك بأني أنشأت القصر الصحراوي لحاجة في نفسي ، أولا لحماية نفسي بدون إرهاق غيري ، وأنت تعرف القصر جيدا ، وأنت لا تحب زيارته .. وأنا أخذت بتصميمه بعد أن استقر الفكر عندي بالبقاء في البلد والإقلال من السفر .. وأنشأت الجزء الأول منه كما تعلم في حياة

والدك .. وها نحن أكملنا الجزء الثاني والأخير .. وكان من أهداف بنائه الحياة بعيدا عنكم حتى لا أسبب لكم المعاناة من أعدائي .. ولكن قضى الوالد وأسرته نحبهم قبل استقراري النهائي في هذه البلاد .. ولحمايتكم كنت لا أمكث بينكم إلا أياما أو ساعات .. وأتنقل في عدد من الشقق الخاصة المجهولة .. أو تسمى البيوت الآمنة ..ولكنهم وصلوا إليّ في بيتكم .. وقدر الله لي ولك النجاة تلك الليلة المشؤومة .. فهم اعتقدوا أن أبات بينكم .. وهؤلاء لا رحمة عندهم واعلم أن لأبيك كما تعلم شقيقة ماتت من سنوات .. وأنا ما زلت أهتم وأنفق على أولادها أو بناتها .. لها ثلاث بنات من زوجها يا أديب .. لا تقصر معهم ، فأمهم قد ماتت ، وتزوج زوجها وأنا أوصيت المحامي على مراعاة شؤونهم .. فتعاون مع داود محمد ..

وأنا لي بنت من امرأة برازيلية هندية كما أخبرت في عدة مناسبات .. وهذه المرأة عمتك .. ولكنها اختفت وهي بنت عشر سنوات .. وكانت تظهر كما أخبرتني مطلقتي الهندية ..ولكن منذ اختفائها لم أرها .. رغم كل جهد بذلته كلما تطأ أقدامي .. ريو دي جانيرو عاصمة البرازيل القديمة .. فلي مزرعة هناك ..عليها وكلاء من قبلي .. أقول ربما تظهر هذه المرأة أو العمة في يوم ما وتطالبك بمال والدها .. ربما أزعم أنها خطفت لابتزازي .. ولكنهم لما رأوا عدم وجودي الدائم في البرازيل ..تزوج أحدهم منها .. لأن أمها أخبرتني مرة أنها تزوجت شابا منهم .. وأمها لا تعرف هذا الزوج .. وما زال وكلاء المزرعة يقدمون المساعدة للأم وزوجها .. وربما يظهر لك أولاد عمتك الهندية .. فعليك أن لا تصدق شيئا بدون وثائق رسمية غير مزورة .. وأنا وقع في قلبي أن لخاطفي عمتك يد في محاولة قتلي للاستيلاء على ثروتنا في تلك البلاد .. وأنهم حاولوا قتلنا جميعا من أجل ذلك .. ولكن الأيام لم تثبت ذلك .. ولم يتقدم أحد لمحامينا هناك بطلب مال وميراث .. أنا وأثناء البحث عنها في تلك البلاد وقع في نفسي ومن معارفي في الشرطة أنها ربما تكون عملية خطف للابتزاز .. ولم يطلب أحد فدية .. قال البوليس ربما ذهبت برغبتها .. ثم تركوها .. ولكنها لم تعد للحياة مع أمها .. كانت تطل عليها ساعات ثم تعود للاختفاء عليك الانتباه لهذا الخطر .

المشكلة يا أديب أن لنا أعداء لا نعرفهم أحس بهم وأشعر .. فالصديق قد يصير عدوا .. فالخطر عليّ وعليك .. والحافظ هو الله وحده .. لكنني أخذت بالأسباب المادية لحمايتك وحماية نفسي فأنا تهمني حياتك أكثر من حياتي .. لقد أخذت حظي من هذه الدنيا .. فإني أتمنى لك حياة سعيدة ، وأن ترزق بالذرية الصالحة يا ولدي العزيز ..

والقصر اليوم قد أصبح القلعة الحصينة أمام أي غادر .. أمام أي عصابة .. لا يقدر عليه الجيش المسلح .. وهذا بلد آمن وأهله طيبون .

وكل معلومة مهمة تحتاجها تجدها عند وكيلنا داود محمد .. فنحن أصدقاء منذ حياة أبيه ـ رحمه الله ـ وسأكتب لك بين الفينة والأخرى رسالة ..وعند موتي سيدفعها لك المحامي والسلام عليكم

جدك بسيم محمود الجدية

الأربعاء ١٢ / ١٢ / ١٩٨٤

وضع بشر الرسالة ، وقال بعد صمت عميق : جدك مجهول وغامض يا أديب .. ألم يحدثك شفويا بشيء عن تلك الأيام ؟!

قال أديب وهو يترك كوب الشاي فارغا على منضدة صغيرة : كان يتحدث معي عن بعض حياته ، ولكن لم أكن أركز كثيرا على ما أسمعه من معلومات .. كان مقتل أسرتي ما زال مسيطرا على أفكاري .. وهو فعلا أقام هذا القصر لحمايتي قبل حماية نفسه .. وخف سفره للخارج بعد مصرع ولده يحيى .. فصار يعتمد كثيرا على شركائه ومساعديه .. ويستخدم وسائل الاتصال الرسائل والهاتف والفاكس والبرق .. فلذلك كان في أسفل هذا البناء جزء لمتابعة نشاطات الجد ولتوفر شبكة اتصال جيدة وعالمية في هذه العاصمة .. وكان يستقبل زواره وضيوفه في الفندق أولا ، ثم يلتقيهم في القصر الصحراوي .. الذي جعله قلعة حصينة وزوده بحماية قوية منيعة إذا زرنا القصر ستتعرف على تلك الحماية .. حثني كثيرا على الزواج بعد مقتل أبي ..ولكني رفضت فكرة الزواج المبكر .. وقبل رفضي على مضض .. ولما نجحت في الثانوية العامة ،

ولحقت بكلية الهندسة فرح بذلك .. وتمنى أن يطول به العمر ليراني مهندسا كبيرا .. وأنا في الجامعة كتب لي رسالة خاصة أخرى أودعها عند للمحامي ، وتسلم لي بعد وفاته .. وأمسك أديب برسالة أخرى وقال : هذه الرسالة يتبين من تاريخها يا بشر أنها كتبت في عام ٨٧ ١٩ .



٦

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي وولدي أديب

امتد بي العمر حتى أراك في الجامعة في كلية الهندسة .. أنا قد خصصتك برسالة قبل سنوات .. كنت أرى أنها الوداع .. وإنما الأعمار بيد الله .. وأنا سعيد بأنك كبرت وأنا حي .. رغبت كثيرا أن أراك زوجا صغيرا لعل الباري يهبك ذرية تقر به العين .. طمعت برؤية الأحفاد ينسلون على الأرض .. ليمتد نسلنا في هذا الكون العظيم .. وله وحده الأمر من قبل ومن بعد .

أنا أعلم أن القصر الذي تسكنه والذي كتبته باسمك كما تعلم لا يمنع المقدور ، وأن المال لا ينقصك ، وأن الاحتياطات لازمة والتي أضفناها للحماية بعد حماية الله تعلم بها ، وتلتزم بها فالحافظ يا ولدي يقينا هو الله تعالى فالله خيرا حافظا وهو أرحم الراحمين وهو القائل في كتابه العظيم خذوا حذركم .

سبق أن حدثتك شفويا عن الابنة التي اختفت في البرازيل أو خطفت ؛ لتكون ورقة مساومة وضغط لتلك العصابات الرهيبة ، ومنذ اختفت لم أرها ، وسعيت سرا وعلنا للالتقاء بها وفشلت ..وأخبرتك أنني نكحت أكثر من امرأة خشية الزنا ، ولم تنجب إلا تلك الهندية .. وعلمت منها أن ابنتنا حية ترزق ؛ ولكنها تعيش مع رجال العصابات .. وأنا أكتب هذه الرسالة اعلم أنها ما زالت على قيد الحياة .. وقد نكحت أحد رجال العصابات ..لم أتلق خطابا بموتها وهدفهم منها استلاب أموالنا في أمريكا اللاتينية.. لأني تلقيت بعض الخطابات القصيرة في هذا الهدف ..ولكن لكثرة الحركة .. لم تجر لقاءات خاصة في هذا الموضوع .. وأنا خمنت ؛ ولست متأكدا أن محاولة قتلنا التي جرت حيث تسكن يا أديب ربما كانت من أجل أن تعلن وفاتي ، وتظهر هذا الأنثى مطالبة بحقها في مالنا .. فاستأجروا قتلة .. وليظهر الحادث ؛ كأن أعدائي وخصومي في تجارة السلاح هم الفاعلون .

وأنا كتبت الكثير من الأفكار ووضعتها في حجرة الكنز ..ولا أطلب منك نشرها .. المهم حافظ

عليها ، ودع نشرها وكشفها للأجيال الآتية بإذن الله تعالى

واعلم يا ولدي أن أجمل لحظات شيخوختي وحياتي عندما أجالسك في القصر .. وأنظر في عينيك وشبابك .. فهذه الدقائق والأيام أحسن أيام عمري بعدما كبرت سني ورق عظمي .. فكل الأمور المالية منظمة عند شركة محامينا داود ، وهو رجل فاضل وابن صديق فاضل .. فابق صديقا له ولعائلته الكبيرة في البلد .. وعمارة مدينة جاد يشرف على إدارتها محام متعاون مع صديقنا داود .. وأنا استثمرتها هناك .. لتوفير المال لموظفي القصر الصحراوي الذين يزيدون عن الثلاثين فردا بقليل ..وبعد موتي .. يمكنك إخلاءهم وإعادتهم بلادهم مع كامل حقوقهم واحتفظ بسكرتيري مايا الهندي فهو صديق قديم ومخلص ، ويعرف الكثير من أسرار العمل والصفقات .. والتي خفت وقلت حقيقة في السنوات الأخيرة .. فالدول لا تتوقف عن شراء السلاح وتجديده والتخلص من قديمه .. وهذا قدرنا ورزقنا أن نعمل بهذه التجارة .. وكثير من شركاتنا المنتشرة في بلدان العالم هي تغطية لتحقيق مثل هذه التجارة .. فلن تجد يا ولدي مشاكل تشغلك عن حياتك العملية والخاصة .. فالمحامي داود يطلع على شؤونها بشكل ممتاز ويساعده مايا على خير وجه .. ولديّ عدد من الشقق المنتشرة في العاصمة .. كانت تتخذ لحاجات أمنية لي ولضيوفي وشركائي .. وتجارة السلاح ليست خارج القانون .. ولكننا نحتاج مرات لمخالفة القوانين .. لصداقة دولة مع دولة .. نبدو أننا خارج القانون لهذه الدولة .. ونفقات قصرك مرتب أمورها ..لا تكترث لشيء عند وفاتي ..

أشرت لك سابقا في رسالة تركتها عند داود عن كنز .. وتركت بين يديه بطاقة كمفتاح لهذا الكنز .. فالكنز موجود في داخل القصر يا أديب ، وهو عبارة عن أوراق مهمة ومذكرات خطيرة خاصة بي وبعلاقاتي المتشعبة في العالم ..وهناك مجوهرات وأحجار كريمة تيسرت في رحلة الحياة وضعتها مع تلك الوثائق في المكان السري في قصرنا العامر في جوف الصحراء ووضعت مراحل وألغازا توصل إليه .. فهي ليست معقدة ؛ لتقول إن جدك يريد أن يحرمك من بيع القصر الذي ستدفن عظامه وبدنه فيه .. في مكان حددته لداود .. وهو في الجزء الثاني من القصر .. في

البستان .. وأيضا ليست تلك الأحاجي سهلة .. فقد قرأت عددا من الكتب المهمة في إخفاء الدفائن والمجوهرات والرموز والإشارات .. فبذلت جهدا متواضعا لفعل ذلك في قصرنا وأنا لا أريد حرمانك من هذه الثروة .. فلقد تركت لك كل المال ..فأنت الوارث الوحيد .. قد تظهر تلك العمة الهندية .. وأنا لم أنس ذريتك يا أديب .. فكثير منها سيكون لهؤلاء الأحفاد الذين أراهم بعين الغيب .

سأخفي الكنز الصحراوي في أسرار وخارطة سرية تعلمتها من تلك الكتب ..فلا تيأس .. فكر حاول ..

فقد طلبت من المحامي ألا يباع القصر قبل إخراج الكنز .. وأنا أمنعك أدبيا من بيعه قبل الوصول لذاك الكنز .. أنا أعلم أنك ستملك القصر بحكم الميراث الشرعي .. لكن ابحث ستصل .. وعندما تصل يحق لك أن تتخلص منه وأنني أسامحك ..

وإذا وصلت بجهدك أو بجهد غيرك .. ووصلت للوثائق لا تحاول نشرها فهي تشكل خطرا كبيرا على حياتك .. لكن عليك بالمحافظة عليها إلى زمن يصلح فيه نشرها للتاريخ .. وذلك دعه لأبنائك الذين أراهم بعين الغيب

أعود لموضوع العمة المجهولة التي لم أعرف بموتها رغم ما بذلت من جهد لرؤيتها وإنقاذها .. وقد يظهر لها أولاد يطالبون بمالهم .. فلا تغتر بما يقدم إليك من أوراق وشهادات عليك أن تتأكد من صدقها وصحتها .. فالاحتيال اليوم يتم على مستويات دولية عالية .. وعند المحامي من الأوراق والمعلومات الكافية لدحض أي افتراء يا أديب .. ولكن الشياطين حيلهم لا تنتهي ويبغون ويطمعون ويفسدون في الأرض .. فيجدون امرأة تزعم أنها ابنتي .. ليأخذوا ثروتي . ابحث عن الكنز يا أديب قبل بيع القصر .

جدك بسيم محمود الجدية

الجمعة ١٢/ ٦/ ١٩٨٧

٧

كان هنالك رسالة أخرى مطولة كتبها جد أديب لحفيده ومما جاء فيها : أنت أديب فعلا يا أديب أنا سعدت جدا بتخرجك من الجامعة .. وكنت على استعداد لفتح شركة خاصة لك ولكنك رفضت كما تناقشنا في ذلك .. ولليوم لا أعرف سبب رفضك لذلك .. وكذلك رفضك الزواج أنا كنت أتخيل أنك ستلتقي بأنثى خلال دراستك ويحدث الزواج .. أنا حرت في أمرك يا أديب رغم هدوءك وصفاء ذهنك تتهرب من مسؤولية إدارة أملاكنا .. ما الذي في دماغك يا مهندس أديب ؟ الصمت شعار لك ..

أعلمت حضرة المحامي وأكدت له رغبتي بعدم بيع قصر جدك بسيم .. وجعلت فيه كنزا عظيما ليكون حاجزا للعجلة في الخلاص منه ..

أنا لا أخشى عليك القتل بعد وفاتي ، ولا أرى أنك ستحتاج للقصر ؛ ليكون مكانا لك ..وأنا أظن أن أعدائي بسماعهم خبر موتي سيفرحون .. وأنتهي من حياتهم .. مع أنني خففت نشاطي في تجارة الأسلحة ، وتحركاتي قلّت ..لكنهم يترصدون بي شرا ..

فقد التقيت أثناء تجوالي في بقاع الدنيا عصابات وعصابات وأوقعنا بكثير منها في شباك الحكومات الوطنية .. فكثر أعدائي بينهم .. فمنهم من أسر ، ومنهم من قتل .. فعليّ ثارات لهم لا يمكن التساهل فيها ونسيانها .. أعمالنا في الأرجنتين والبرازيل وبوليفيا وأفريقيا على خير ما يرام كما أطلع على التقارير التي تأتي من شركائي ومن محامينا في بلاد العالم .. فقد صاحبنا رجال العصابات لحاجتنا لتمرير الكثير من الصفقات .. فهناك بين هذه العصابات والمنظمات السرية تصاحبنا وترافقنا .. ثم تعادينا وتخاصمنا ، ولليوم لم أعرف الطرف الذي فجرنا ببيت والدك .. رغم الشكوك التي راودتني نحو بعض الأطراف والعصابات ..

وكذلك ابنتي الهندية لم أعرف مصيرها لليوم ..رغم اختفاؤها من عشرات السنين .. ربما قتلت ولم تسجل الحكومة شهادة موتها .. ربما زالت حية ونسيت أباها وأمها .. لا تفرط يا أديب في كنزنا .. إذا لم تصل إليه فليبق لذريتك .. لعل أحدهم يصبح مثل جده بسيم الجدية تاجرا

جوالا في أنحاء العالم .. المال قوة ..

أتمنى أن تقضي حياتك بسلام وصفاء واستقرار .. وأن توهب الزوجة الطيبة التي تنجب لك الذرية الصالحة .. أنت وديع وهادي يا ولدي .. وذكي ولكنك لست بالذكاء الحاد العبقري ذكاؤك طبيعي ككثير من خلق الله .. ولكن عليك أن تحاول حل الرموز والشيفرات التي وضعتها لتصل .. سوف تصل ..

أنا سمعت رغبتك بالخلاص من القصر الصحراوي ، وتتعجب ممن يعيش بعيدا عن الناس .. فأنا أصحابي الكتب بما فيها من الشعراء والصحفيين والرجال .. هؤلاء أحياء عندي وأستمتع وأنا أقرأ ما كتبوا وعمن كتبوا ..

ووضعت أمانة في عنق المحامي ألا يباع القصر قبل كشف سري وامتلاكك للمجوهرات والوثائق .. ربما يكون من حظ أبنائك يا أديب ..

حاول يا ولدي ولا تظن أنني أسخر منك ، ولم أضع أسرارا وأفكارا لهذا الكنز .. ربما تصل لمرحلة وتقول جدي : يسخر مني .. لا حيلة ولا وسيلة للكنز .. أنا لا أمزح .. الكنز حقيقي يا أديب .. واحذر الدجالين والمحتالين .. ربما تكون هذه آخر رسالة اكتبها في شأن الكنز الخفي سأضع في طريقك مفتاحا مهما .. أشرت إليه في رسائل سابقة .. واعلم أن الكنز في القصر .. في غرفة من غرفه .. والقصر فيه ما يقارب مائة غرفة ما بين حجرة وحمام ومكتبة ومطبخ ومخزن وبئر .. وقاعة .. وخدمي كما تعلم لا يعلمون في أي غرفة أقضي ليلي .. في أي طابق في أي غرفة نوم .. حتى حرس القصر لا يعرفون مكان نومي كل ليلة .. إذا رن الهاتف رن في عدد كثير من غرف نومي فأرد من حيث أكون ..

جدك بسيم الجدية

الأربعاء ٢٩ / ٩/ ١٩٩٣

٨

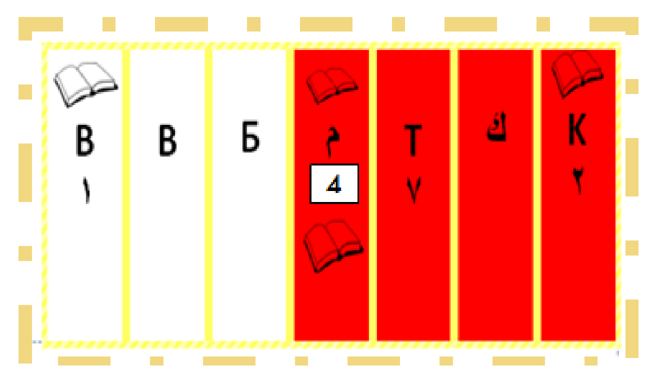
لما قرأ بشر الرسالة الثالثة ووضعها على المائدة الصغيرة قال: أين خريطة الكنز ؟

قال أديب : لا خرائط مع هذه الرسائل .. هناك ثلاث رسائل أخرى لا أهمية لها في البحث عن الكنز وهي في داخل هذا المغلف إذا رغبت بقراءتها فافعل وخذها معك واقرأها في بيتك .. فأنا وسعاد لم نر فيها امرأ يهم قضيتنا .. هي تكرار لما قرأت الآن .

ـ إذن كيف سنبحث عن الكنز ؟ كأنني فهمت أنه ترك شيئا نبدأ منه

ـ هناك بطاقة ..مثل كروت التعريف فيها رموز وحروف وأرقام .. ها هي يا سيدي !

وأظهر بين يديه بطاقة دفعها لبشر .



أمسك بشر بالبطاقة ، ونظر إليها بدقة وفكر ، هي بطاقة كالتي يستخدمها الناس للتعريف على عملهم وعناوينهم ونشاطهم وهواتفهم ، لا شيء على ظهر البطاقة بيضاء مصقولة وعلى وجهها إطار مقطع .. حروف أرقام رمز لكتاب أو كتب .. مقطعة إلى سبعة مستطيلات طولية .. برواز أصفر .. قسم منها باللون الأحمر أربعة مستطيلات ، وثلاثة باللون الأبيض ثلاثة مستطيلات

تأمل المحامي الصحفي الكرت بضع دقائق ثم قال : أنا بالطبع لم أفهم شيئا .. هل فهمتم منها شيئا ؟!

ضحك أديب وسعاد وقال : طبعا لما أعطاني المحامي داود هذه البطاقة ، ولما قرأت الرسائل أخبرته أنني لم أفقه شيئا منها .. فزارني وقرأ رسائل الجد كلها ، ونظر إلى هذه البطاقة بعض الوقت مثلك الآن وقال : هل هذا عنوان ؟ لا يوجد رقم تلفون صندوق بريد.

قال بشر : ولكن كما علمت ذهبت للقصر لفك شيفرة هذه البطاقة .

قال أديب : بعد عجزنا أنا والمحامي عن فهم شيء منها ذهبت بصحبة فريق عرفني عليهم المحامي لفك شيفرة الكرت .. أحدهم ضابط مخابرات متقاعد ، وقد قضى عمرا في صنع الشيفرات وفكها وحلها .. ورجل آخر أستاذ متقاعد ، وله اهتمام بالكنوز والشيفرات وقراءة كتب الأسرار ، ورجل ثالث متقاعد من الشرطة قسم البحث الجنائي ، وله اهتمام ونشاط في مثل هذه الأمور .. جمعهم داود وعرض عليهم المهمة .. وبعد ترتيب سافرنا للقصر الصحراوي ومكث بعضهم أسبوعا ، وبعضهم الشهر ، ولم نصل لشيء مهم ؛ ولكنهم فهموا هذا الكرت بعد تفكير عميق .. فالكرت يعني المكتبة .. انظر إلى هذه الجهة من المكتبة وأشار إلى جهة معينة من المكتبة التي يجلسون فيها .

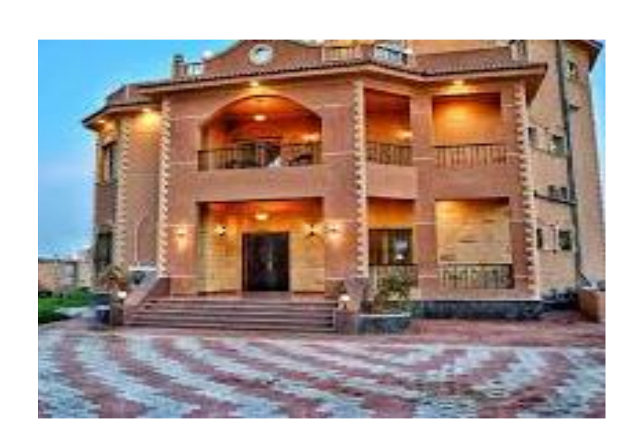
فقال بشر منفعلا : فعلا إن الكرت يشبه هذه الجهة من المكتبة !

ـ في القصر ثلاث مكتبات ، في كل مكتبة واجهة كهذه الواجهة .. كل طابق جعل جدي فيه مكتبة .. فيقول الضابط الكبير إن مكتبات الثاني والثالث صممت من أجل اللغز ، لم تصمم ابتداء .. في الواجهة المقصودة سبع خزائن، أربع باللون الأحمر وثلاث بالأبيض ، وبرواز أصفر أو ذهب أصفر ، وكل خزانة سبعة رفوف ، وكلها مليئة بالكتب ..وتبين لهم أن الحروف الظاهرة على البطاقة هي أول حرف من كلمة مكتبة بسبع لغات منها العربية والإنجليزية والروسية والتركية والفارسية ؛ لكن لماذا هذه اللغات السبع ؟ فالعربية مكتبة فالإنجليزية بوك شوب وهكذا .. عرفنا في هذه الرحلة الكرت ماذا يعني عندما رأينا المكتبة والرموز الحرفية ؟ علمنا ماذا تعني ؟ أما الكتاب في الخانة الأولى والرابعة مرتين والسابعة مرة والأرقام الأربعة ماذا تعني ؟ هل رمز الكتاب هو رسم مساعد أن هذه الحروف تعني كتب ؟ لم نعرف .. بعد فشلنا عدنا ، وبعد حين عاد الرجل الخبير بالأسرار وطلب الذهاب إلى القصر ثانية ، وبعد أسبوع عدنا بخفي حنين كما يقال ، لم نفقه شيئا زيادة على المرة الأولى . فقال ونحن نفترق : عليك بقراءة كل هذه الكتب أو تبحث فيها لعلك تجد ورقة رسالة أخرى .. وأنا ليس لي همة

يا أبا ناصر .. ولا أحب ذلك القصر ، وصرفت النظر عن بيع القصر احتراما لجدي ووصيته .. وترك الأمر كما هو .. حتى تحل الشرطة قضية مقتل الجد .. فأبقى المحامي القصر على ما كان ، ولم يصرف أي موظف قبل إغلاق الملف ، وله ربما سنتان ولم نعرف القاتل ولا الكنز ..فهذه قصة الجد بسيم وكنزه .

فقرر بشر قائلا : لدينا لغزان يا أديب .. لغز جريمة القتل الغريب .. ولغز الكنز المالي والوثائق المهمة والخطيرة

ـ أجل أيها الصديق .



٩

عاد بشر للالتقاء بأديب وزوجته سعاد ، ولما قضوا عشاءهم انتقلوا للجلوس كعادتهم في مكتبة القصر ـ مكتبة الجد بسيم التي كان يجلس فيها كلما حن للحياة مع حفيده الذكر الوحيد الباقي من سلالة بسيم الجدية ـ واستقرت خالة أديب في غرفة الاستقبال حيث التلفزيون والمدفأة التي تستأنس بها رغم أن التدفئة المركزية تشع الدفء في جميع أنحاء القصر

قال بشر بعدما استقر قعودهم على المقاعد الأثيرة والمريحة في جوف المكتبة ، ووضع الرسائل التي أخذها وقرأها في البيت على منضدة صغيرة وعلق : لم تضف شيئا جديدا كما قلت لي .. بعض مشاهد حياته ، والمهم فيها التركيز والتحفيز على البحث عن الكنز قبل بيع القصر .. فهي تكرار لما جاء في الرسائل الثلاث الأول .. والكرت هو مفتاح اللغز الأول للكنز .

ـ هل وجدت شيئا جديدا ؟

ضحك بشر وقال : لست بالمحترف ، ولا حتى الهاوي في مثل ذلك ، فحتى الكلمات المتقاطعة التي يهواها الكثير من قراء الصحف .. لست فهيما في حلها .. ولا حتى السودكو الياباني .. لدي ثقافة فقط يا أديب .. وقتي دائما مشغول .. اسأل سعاد عن ذلك ..

ضحك أديب وقال : لا داعي لسؤال سعاد فأنا أصدقك .. وأنا مثلك لا تستهويني هذه التسليات إلا في الحدود الدنيا .

فقالت سعاد التي لزمت الصمت منذ بدأ شقيقها في الاستماع والاهتمام بموضوع الكنز : بشر لا هواية له إلا الكتابة والقراءة .. قليل من اللعب كان يمارسه في البيت أو في النادي الذي كان يشترك فيه والدنا قبل موته .

دعوا لعيسى الذي أتوا على ذكره بالرحمة ولجميع أموات المسلمين .

وقال بشر : قلت إن الرجال الثلاثة الذين استعنت بهم أنت والمحامي الكبير الدكتور داود محمد فسروا هذا الكرت بأنه واجهة إحدى المكتبات .. ولكنهم وجدوا في القصر ثلاث مكتبات ، كل مكتبة فيها واجهة تشبه البطاقة .. وقضيتم شهرا دون الكشف عن مفتاح وشيء آخر

يبدد الظلام والغموض .

ـ نعم ، الضابط الكبير أحد رجال فك الشيفرات ، هو الذي كشف فكرة الكرت وواجهة المكتبة لما لاحظ واجهات المكتبات الثلاث ربط بين الكرت والواجهات .. ليس كل جدران المكتبة .. جهة واحدة فقط . فقال الكرت يدلنا على الواجهة التي علينا الاهتمام بها ووجدنا كل واجهة سبع خزائن ، وكل خزانة سبعة أرفف .. وكلها مليئة بالكتب ، وقسم أحمر وقسم أبيض . فقال الرجل: صممت هذه الخزائن من أجل لغز جدك بسيم يا أديب وكان واضحا أن مكتبة الطابق الثاني والثالث أضفن من أجل لغز الكنز .. لأن المكتبة في الطابق الأول مصممة مكتبة ابتداء ..لأن خزائنها صممت في الجدران أثناء البناء .. إنما وضع لها الخشب والديكور وإطارات للزينة والديكور .. وحولت جهة منها فيما بعد ؛ لتكون سبع خزائن ، وكل خزانة بسبعة أرفف ..كان واضحا أن التعديل كان من أجل البطاقة واللغز .

وعرفنا أيضا أن الحروف السبعة تعني الحرف الأول من كلمة مكتبة بلغات سبع .. بماذا نفسر ذلك؟ ربما كما قال أحدهم للتأكيد أن بحثنا يجب أن ينصب في المكتبات فقط .. وبحثوا أيضا عن مكان يصلح لإخفاء الكنز ، فلم يجدوا مكانا لإخفاء المجوهرات .

ـ عدد الكتب كثير في مكتبات القصر .

ـ حوالي مائة ألف كتاب ومجلة .. وجدي له قدرة على التعامل بثلاث لغات يا بشر سوى العربية تعلم نصف الإنجليزية أيام انتداب بريطانيا على بلاد الشام وبعض الفرنسية .. وتعلم البرتغالية في أثناء وجوده في أول هجرته للبرازيل .. وبعض الإسبانية .. ثم الهندية لما نقل بعض نشاطه إلى الهند .. فلذلك تجد في مكتبته ، وحتى هذه التي نجلس فيها كتبا ومجلات من تلك البلاد ، وبتلك اللغات .. ومرات لا يحتاج من العاملين معه للترجمة .. المهم فسروا الحروف بأول حرف من كلمة مكتبة بتلك اللغات من قارات مختلفة .. فهلا وجدت شيئا تفسيرا آخر ؟

ضحك بشر وقال : يا صديقي يا أديب .. أنا لم أفكر بحل آخر ..ولن أستطيع أن أفكر به .. لست من هواة فك الشيفرات والرموز والكنوز .. فخالي محمد محسن لما سمع بعض الكلام من

شقيقاتي حول الكنز ورسائل جدك .. طلب مني الاهتمام بالموضوع والاستماع إليك .. لنعمل على معرفة مكان إخفاء الكنز .. الأرقام لم يعرف أولئك الخبراء عنها شيئا ..

ـ لأ ، لم نفهم منها شيئا رغم مكثنا الوقت الكافي والممل هناك ، وإن قال أحدهم ربما تعني كتابا في رف .. الرفوف كثيرة وممتلئة بالكتب .. أي رف في أي خزانة ؟ هناك إحدى وعشرون خزانة كل خزانة فيها سبعة رفوف .. قاموا في البحث في بعض الرفوف بدون جدوى .. لأنه غير واضح لنا عن ماذا نبحث ؟.. رسالة .. شيفرة .. كتاب بأي لغة .. يصاب المرء وهو يطلع في الكتب بالإحباط واليأس .. فقال أحدهم : لابد من التنقل في المراحل تلو البعض.. مرحلة تتبع مرحلة .. فنحن لم نعرف المرحلة التي بعد الكرت .. وهل الكرت صمم لمرحلة واحدة أو لأكثر ؟ .. وبعد عودتنا طلب أحدهم الزيارة مرة أخرى فذهبنا ولم نجد شيئا جديدا إلا مزيدا من الإحباط يا بشر .. فقال لي أسرار جدك في المكتبة ؛ ولذلك صمم في كل طابق مكتبة ، ومكتبة الطابق الأول أعظمهن وأكبرهن .. هل لدى خالك الفاضل خطة معينة نعمل عليها ؟

قال بشر وهو يرشف ما تبقى من شاي في كوبه : قال خالي لابد من زيارة القصر ومعرفة أسراره لحل هذا اللغز .. والقصر كما أخبرتنا بني على مرحلتين مرحلة في حياة والدك ومرحلة بعد الغدر به .

ـ أجل يا سيدي كنت طفلا عندما بدأ الإنشاء الأول .. وكمل بعد الحادث بسنتين .. انتهى في عام ٨٤ كنت في الصف النهائي من الدراسة الثانوية.

ـ آ يا سعاد هل عندك شيء ؟

تبسمت سعاد وقالت : سمعت كل كلامكم من اليوم الأول ، وقرأت رسائل الجد قبلك ومعك وبحماس وشوق ؛ ولكن أديبا يقول لا تتعبي فكرك حتى تضعي مولودك ، فجدي لا يريد بيع القصر ؛ فلذلك وضع هذا اللغز ، ولن يكون حله سهلا .

فضحك بشر وقال : المهم أن هناك حلا .

فقال أديب باسما : أكيد ما دام قد وضع هذا الكرت ، وهذه الرسائل بين يدي .

بعد صمت قصير عاد بشر يقول : أريد أن تعطيني عناوين الرجال الثلاثة ؛ لأقابلهم وأستمع إلى وجهات نظرهم في لغز الكنز الخفي لغز جدك بسيم

ـ حالا .. وعليك بلقاء المحامي داود محمد .

ـ شكرا ، وسأفعل بعد لقاء أولئك الرجال .. وقبل مغادرتي اسمح لي بسؤالك سؤالا خاصا ـ فأشار له برأسه أن نعم ـ لماذا لم تتزوج في حياة جدك بسيم رغم لهفته الشديدة لذلك كما يبدو في هذه الرسائل ؟!

ـ بصراحة كنت مرعوبا من ذلك الحادث المرعب يا بشر .. كنت غير راغب بربط امرأة في حياتي ذلك الوقت ..وكنت متوقعا لانفجار آخر .. كنت قلقا وما زلت قلقا .. وكان لقائي بشقيقتك الفاضلة على غير ميعاد محفزا لي على الزواج ..القصر حقيقة محصن .. والسيارة الخاصة بي محصنة والأعمار بيد الله عزّ وجل .. التوترات .. كان الجو يزعجني يا بشر .. ولكن بموت جدي ـ رحمه الله ـ خفت حدة هذه التوترات .. ولم يحدث شيء مثير بعد مقتله وعدم معرفة القاتل ما زال يؤرقني .. ولكن لابد للحياة أن تمضي .. وكما قلت قبل لحظات التقائي بالسيدة العزيزة سعاد شجعني على الإقدام على الزواج فأرسلت خالتي إليكم .. وكانت الفاضلة قد مهدت لها الطريق .. وكان قدر الله قدرا مقدورا .

نهض بشر مصافحا لسعاد وقال : حفظك الله يا أديب .. أنت إنسان فعلا كما يقال اسم على مسمى .. هادئ ووديع .. أو كما يقول جدك حمل وديع ولا تحب المشاكل ولكن العبء الذي حملك إياه جدك كبير ؛ بل يريد تحميل أبنائك جزءا منه وحادثة مقتل جدك ما آخر أخبارها ؟

ـ التحقيق أغلق حتى تظهر أدلة جديدة .. كيف ستظهر ؟! لست أدري .. هناك جريمة .. هناك اتصال الضحية بالطبيب .. الذي وصل إليه فوجده مضروبا بالرصاص .. جريمة وقاتل ورصاصة من رصاص القصر .. ولم توجد طلقة مفقودة لدى الحراس الخمسة .

قال بشر : أنت اليوم مطمئن على حياتك من الغدر والعدو الغامض !

ـ أنا ما زلت أعيش كما كنت أعيش أيام جدي لكن بحذر أقل .. لليوم لم أعرف قتلة أسرتي

قديما .. وكذلك جدي .. لماذا صرع هؤلاء وهذا ؟! هل القتل للانتقام فقط ؟ لم يحصل سطو لم يطلب أحد مالا .. لم تظهر عمتي البرازيلية ولا نعرف بحياتها وموتها .. هل لها أولاد كما يعتقد الجد ؟ .. رغم ما أعرفه عن جدي .. فحياته مليئة بالغموض والأسرار .. والحق لا يهمني معرفة هذا الغموض وهذه الأسرار .. لأن الرجل قضى جل شبابه متنقلا بين مناطق الحروب والقتال ولكن لو علمت لم قتل فذاك مقبول ومريح للنفس .

أعاد بشر مصافحة سعاد وأديبا وهما يقفون أمام البيت يودعونه فقال : رحمه الله .. رتب لي لقاء مع المحامي يا أديب .

ـ سأفعل .

قالت سعاد بعد قفلهم الباب : لن يهدأ لبشر بال حتى يحل لغز الكنز .

ابتسم أديب : أتظنين ذلك يا سيدتي الكريمة ؟! إنك متفائلة جدا .

ـ هو الآن يعتبرها قضية صحفية .. وهذا طبع أخي إذا اهتم بقضية ما .. ولا تنسى أن خالي في الموضوع .

ـ لعل الله يوفقنا هذه المرة .

ولما انطلق بشر بسيارته قال : بعون الله سنحل لغز الكنز ، ولغز جريمة القتل ما دام القاتل محبوسا في القصر لليوم !



١٠

أخذ بشر أرقام هواتف الرجال الثلاثة الذين استعان بهم أديب للمساعدة في كشف مكان الكنز الصحراوي ، فلما اتصل بهم معرفا بنفسه ، فوجد أنهم يعرفونه ويقرأون الكثير من مقالاته في الصحف والمجلات المحلية ، ويعرفون خاله محمد محسن ، وقد شاهدوه في بعض محطات التلفزة معلقا مناظرا ، فالدكتور بشر رجل معروف في الوسط الإعلامي ، وهو قد درس القانون ، ثم الصحافة ، وحصل على شهادة دكتوراه في الإعلام .

فزار أول الثلاثة اللواء المتقاعد من الأجهزة الأمنية منسي عودة ، فاستقبله الضابط الكهل ، ورحب به بكل محبة ، وقال وهما يجلسان في غرفة الضيوف في بيته الواسع : أنا سعيد باللقاء بك يا دكتور بشر .. وعجبت من حديثك حول الكنز الصحراوي واهتمامك بالموضوع ؟!

ـ أنا لي اهتمام به منذ عهد قريب يا سيدي .. فالسيد أديب منذ شهور تزوج شقيقتي الصغرى المهندسة سعاد .. وتزوجها بعد وفاة جده .. ووصل الكلام حول الكنز لي ولخالي محمد محسن فطلب مني خالي الاهتمام بقضية مقتل السيد بسيم الجدية وكنزه الصحراوي .. وقابلت المهندس أديبا ، وقرأت الرسائل الخاصة بموضوع الكنز ، ورأيت الكرت المفتاح ، وسمعت منه عن جهودكم الجبارة ..

دخل الشاي إلى الغرفة فسكب الضابط الأكواب وقال : يا أهلا بك يا ولدي العزيز !

فشكره بشر ، ورشف رشفات متتابعات من كوبه ، ثم عاد يقول : وصلت لي أخبار الكنز كما قلت ، وتحدثت مع أديب .. فالرجل الميت تعلم من خلال قراءة رسائله لحفيده أديب مليء بالغموض والأسرار ..والسيد أديب تأثر جدا بحادث مقتل أبيه وأمه في ذلك الانفجار المرعب وصدم ونأ بنفسه عن مغامرات جده .. فلما لمس الجد من الحفيد الذكر الباقي له من صلبه تهربه من الزواج ، وتحمل المسؤوليات الكبيرة لإدارة الثروة التي يملكها ذكر له القليل من المعلومات حتى يحافظ على نفسه ويحذر .

ـ كلامك في محله يا أستاذ بشر .. فالمهندس من الواضح أنه قليل الاهتمام بحياة جده كما تقول

والجد أنا أعرفه أثناء عملي في المخابرات .. فهو رجل قوي وشجاع ومغامر ، وله أصدقاء على مستوى رؤساء دول .. فهو تاجر أسلحة كبير .. وتنقل في مشارق الأرض ومغاربها .. وهو قد استقر هنا رغم صغر بلادنا سكانا وأرضا ؛ لأنه وجد الأمان هنا أكثر من تلك البلاد .. هنا العصابات الدولية المنظمة ضعيفة ..رغم أجهزة الأمن القوية عندهم ؛ لكن البلاد والسكان أكثر فيسهل الإجرام المنظم .. وله هنا عدد كثير من الأقارب من أبناء العم والخال ..وهو مغامر جيد .. وهو رجل يراعي القانون، ويعمل في حدود القوانين المحلية والدولية .. لكن لا تخلو مغامراتهم وتجاراتهم من صفقات مريبة ؛ لكنها تقولب بشكل قانوني مثلا يمنع تصدير السلاح والذخيرة لبلد معين .. هم يلتزمون بهذا القانون ظاهرا .. فعن طريق طرف ثالث يبيعون السلاح .. وهذا الطرف الثالث يظهر أنه محايد .. فيأخذ السلاح ، ثم يهربه للممنوع بيعه له .. وربما في مثل هذه الصفقات تتضاعف أموالهم .. إنها تجارة كما يقولون ولو أنك التزمت الحظر فغيرك سيظهر ويبرز ليسد الفراغ .. تجارة ذكية ومعقدة .. والحروب لا تعرف القانون إلا شكلا .. فكيف إذا كانت الحرب أهلية ؟ .. فلا قانون دولي يحكمها .. وهذه الحروب توفر لهم سوقا كبيرة .. فيجد التاجر منهم أنه يبيع للفريقين بعلم أو لا يعلم ..ومجال الصفقات السرية متاح .. وهؤلاء التجار إذا علمت أسماؤهم أصبحوا في خطر شديد .. فهم أعداء للطرفين .. مع أن همهم هو المال فقط ..لا يهمهم من انتصر ومن انهزم ..وهذا يا أستاذ بشر لا ينكره السيد بسيم ..وهو كان خائفا على أديب خوفا واضحا للعيان في رسائله ..وأن الخطر محيط بهم .. وحماه بماله بإنشاء القصر المحصن وأجهزة الحماية .. والسيارة المصفحة ، وبعض الحرس ..لأنه لا يستطيع حبسه .. بل كانت الدولة تحمي الرجلين بنوع من الحماية الخفية ..لا تكاد ليلة تمضي إلا وتقف سيارات النجدة قرب القصر بدون أن يشعر أديب وغيره بذلك ، وربما ما زالت المنطقة من وظائف رجال البوليس .. فالسيد بسيم قدم لها الكثير من الخدمات السرية والخفية من أهمها صفقات سلاح جيدة بأثمان بخسة ..فحمايتنا سرية للغاية وأنا نفسي التقيت به عدة مرات بحكم الوظيفة .. أما هو لم يطلب منا لشخصه أي حماية حسب معلوماتي

؛ لأنه ذكي الفكر وكثير التنقل ..وعندما تطلع على حماية القصر الصحراوي سوف تقر بفطنته وذكائه .. ومع ذلك صرع في قصره ، ولليوم لم يحدد شخص القاتل ممن يرقدون في ذلك القصر

ـ فعلا ، رجل كان يتوقع أن يصرع في شارع عام في سيارة في تفجير .. قتل برصاصة واحدة فقط !

قال منسي : فعلا غريب هذا ؛ لكنه الأجل !..أنا لما تعرفت على المهندس أديب بواسطة المحامي داود محمد .. وقرأت الرسائل التي كتبها السيد بسيم لحفيده للكشف عن الكنز ، وتلك المذكرات التي أثارت شهية رجال الأمن عندنا أكثر من الذهب اطلعت على محاضر التحقيق والطب الشرعي وملف التحقيق الجنائي .. وجدت أن مقتله غامض .. ورغم مرور أكثر من سنة على معرفتي بالسيد المهندس ، وعلى تدخلي في تلك القصة ؛ فإنها ما زالت تؤرقني وتشغل فكري كثيرا ؛ ولكنني لم أصل لشيء يا سيدي الصحفي .. والرجل الميت كما تعلم له شركات في أمريكا اللاتينية .. وهو شريك مهم طبعا .

ـ أعلم بالعموم عنها .. وهي ما زالت تدر على حفيده المال .. وأعلم أن أرصدته هنا أسهم في شركات كبرى وأرصدة حسابية ، ومجموعة من العقارات في العاصمة ومدن أخرى كجاد أقرب مدينة على القصر الصحراوي .. لم ينشئ السيد أي شركة تجارية هنا .. مع أني سمعت أختي سعاد زوج المهندس تتحدث أن السيد بسيما كان يهم ببناء فندق سياحي ..

قال منسي : ربما رأى وجود شركة خاصة أنه يعرضه للخطر ..أو لأنه ليس له ذرية تهتم بهذه المشاريع .. وله أرصدة في ألمانيا والنمسا ..هو رجل مليونير إن لم يكن ملياردير .. الذي فهمته من المحامي لصهرك أنهم لا يعرفون كل ما يملك .. لم يحصر بعد ..

قال بشر : إذن في قضية مقتله لم تصل الشرطة لشيء يوصل للجاني ..

ـ المنفذ أحد الناس في القصر ..هذا يؤكده التحقيق لكن من هو ؟ لم تتوفر أدلة واعترافات من جميع ساكني القصر .. والعقل المدبر خارج القصر .. فحسب التقارير والتحقيقات لم تصل الشرطة لشيء .. فكيف قتل ؟!..أسوار القصر عالية للغاية ومكهربة من أعلى وعليها أجهزة

إنذار .. وغرف النوم المخصصة للرجل كثيرة في القصر.. وحتى خادم الغرفة لا يعرف أين ينام السيد تلك الليلة ؟ .. فعندما يحتاجه السيد للمجيء إلى غرفته يستخدم جهاز خاص بينهما .. فيهرع الرجل إليه .. هو في الغالب ينام في الطابق الثاني والثالث .. لأن أكثر عمال القصر يسكنون في الطابق الأول .. وفي ساعة من الليل تنعزل الطوابق عن بعضها يصبح الجميع كأنهم في سجن أو أقفاص مغلقة .. أنا اطلعت على نظام الحماية المعقد هناك .. فكيف وصل الجناة إلى غرفة النوم تلك الليلة ؟.. لن يعرف حتى يعترف الجاني .. فكل غرف نوم السيد في ذاك القصر لها هاتف واحد ..فيستطيع أن يرد دون أن تعرف الغرفة التي تكلم منها إذا رن الجرس يرن في كل الحجرات .. رغم دقة التحصين وصل إليه الجناة ونالوا منه .. القصر فيه يا أستاذ بشر ما يقارب الثلاثين نفرا .. يقومون بأعمال مختلفة .. وهم من جنسيات مختلفة .. فتآمرهم ليس سهلا فهم من أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا .. ولا يتكلمون العربية ، لا يتكلمها بطلاقة سوى سكرتيره الخاص مايا .. وليلة الجريمة كان في الهند ، وجاء بعد مقتل السيد على تلفون من زوجته رامان الهندية ..وكان كما قال لي أحد الضباط غاضبا ومعتبرا أن غيابه سبب مقتل السيد وأن القاتل استغل فرصة إجازته وسفره العاجل والضروري .. فالشرطة بذلت جهدها ، وإن توقفوا عن التحقيق فما زالت القضية تحت الاهتمام .. وانتظار تطور ما يحرك القضية .

ـ والكنز ؟!

ـ والكنز ـ يا دكتور بشر كما تعلم من الرسائل ـ وضع كحجر عثرة في طريق بيع القصر فور موته .. وكان لدى الجد بسيم أمل أن يولد لحفيده ذرية تهتم بآثار السيد بسيم .. فهو قد مات وقد ترك حفيده الذكر أعزب ..فالرجل يطمع أن يولد من سلالته ابن شجاعا مغامرا كجده بسيم .. وهذا في علم الغيب .. وأن يتوارث كثير من الأبناء مهنة الآباء .. أو قل بعضهم .

قال بشر مؤكدا المعنى : هذا لمسته فعلا في رسائله ، ومن همساته للمحامي كما نقل لي بعضها أديب ، وقد التقيت بالمحامي داود محمد ، ولكن لقاؤنا لم يمتد بسبب ضغط العمل لديهم ، وقررت أن أخصه بزيارة كهذه في بيته لأسمع منه .

عاد منسي يقول : الكنز!.. قرأت مثلك رسائل السيد بسيم التي كتبها على فترات متباعدة .. وفي الرسالة الثالثة الأمر كان واضحا بأن الكنز خبئ من زمن طويل .. أو بدئ بإخفاء الجواهر والوثائق مع إنشاء القسم الأول من القصر والبناء .. قبل أن تسيطر فكرة اللغز على فكر السيد وربما أضيف إليه أشياء أخرى فيما بعد .. لا نعرف ، وحاولنا الحديث مع الخدم في القصر ؛ لكنهم أجانب لا يفهمون اللغة العربية ، ومجموعاتهم أقارب لبعض .. زوج وزوجته .. وزوج وزوجته .. فهم لا علم لهم بوجود كنز ، ولجهلنا بلغتهم لا نثق بكلامهم وصدقهم .. فبعضهم له سنوات طويلة في القصر منذ أسس ..وكلهم متزوجون .. ما عدا ابنة عامل الغسيل والكوي فهي حديثة العمل معهم .. كانت متورطة في تعاطي المخدرات رغم تخرجها من الجامعة .. ووافق السيد على إلحاقها بالعمل أمام دموع والديها .. بل ادخلها مركز معالجة الإدمان حين أتت من أمريكا اللاتينية ..وحتى سكرتيره الهندي تعجب من حديثنا عن الكنز .. فلم يجر بينهما حديث حوله .. فلم نعرف منهم شيئا يساعد في الوصول للكنز .. والشرطة لم تعرف منهم شيئا يساعد في فهم الجريمة .. الكل كان متفاجأ من الجريمة ..ومعنى ذلك أن خدمتهم انتهت في القصر ..أطباء القصر فقط من العرب .. وبعضهم يأتي من العاصمة ، وبعضهم من المستشفى الصحراوي في جاد .. أو ممن عملوا فيه ، وفتحوا عيادات بعد تركهم للمستشفى .. والطريق بين القصر ومدينة جاد مائة كيلو متر تقريبا تحتاج لساعة وبعض الساعة .. لأنها طريق ترابية .. ومن هنا المسافة تزيد على مائتي كيلو متر .. فالقصر يشكل واحة في قلب تلك الصحراء .. ولولا الفلوس الكثيرة ما استطاع الرجل بناءه .. فكان بين اتصال بسيم المختنق كما بدا للطبيب وفهمه بعد مصرعه ، والوصول للقصر يحتاج لزمن يزيد عن الساعة والنصف .. والطبيب يعرف المكان والطريق .. فالسيد بسيم له عمارة ؛ كأنها سبع طوابق في مركز مدينة جاد ، يؤجرها له محامي متعاقد معه ، وهو رجل قانون متقاعد من القضاء يبلغ الستين سنة .. لما تقاعد من عمله في المدينة هذه كقاضي عاد لبلدته جاد ، وفتح مكتبا مع شريك له .. وصل الطبيب للقصر ومعه شرطي وشخص آخر ؛ كأنه طبيب ..استقبلهم حارس البوابة بدهشة ، فهم لم يبلغوا عن

قدوم زائرين كالعادة والنظام المتبع ..اتصل الحارس بالداخل ففتحوا البوابة الإلكترونية من غرفة السيطرة .. ودخلت سيارة الطبيب المعروفة للحراس ، وأصبحت بين السورين الخارجي والداخلي .. لابد من زيارة للقصر لتتعرف عليه يا سيد بشر .. لتعرف حل لغز الكنز ومقتل الرجل .

ـ سأفعل إن شاء الله .

ـ تحدث الطبيب مع خادم غرفة السيد بسيم .. فأخبر الخادم الطبيب أن الرجل صلى المغرب ، وتناول طعامه في المكتبة في الطابق الأول ، ثم وجد ميتا في الطابق الثالث .. وأما المكتبة فهي مكتبة عظيمة بالنسبة لقصر وبيت خاص ؛ كأنها مكتبة عدة جامعات .. وكثرة الكتب فيها ؛ لأنها بأكثر من لغة .. وله في كل طابق مكتبة كما في قصر أديب واحدة أيضا .. تزيد الكتب عن مائة ألف كتاب كما فهمت من السكرتير الهندي مايا .. وفيها كتب بعدة لغات كما قلت قبل لحظات .. فالرجل يقرأ ويكتب بلغات مختلفة .. والرجل قارئ كبير .. ولكني لا أعتقد أنه قرأ كل ما ملك من كتب .. المكتبة الرئيسية في الطابق الذي تناول فيه عشاءه الأخير ـ رحمه الله ـ فالمكتبات في الثاني والثالث أضيفت من أجل لغز الكنز يا بشر .. لم تصمم مكتبات أثناء الإنشاء والبناء .. ففي الطابق مخازن تابعة للمكتبة .. وصممت في كل مكتبة واجهة بسبع خزائن وسبعة رفوف .. لتكون على شكل واجهة الكرت المفتاح الأول في لغز الكنز .. فلما شاهدت تلك الواجهات أدركت أن الكرت أو البطاقة هو إشارة لهذه الخزائن .. ثم فسرنا أنا والزميلان الآخران الحروف بأول حرف من كلمة مكتبة بسبع لغات .. منها العربية كحرف الميم .. بوك شوب الباء الحرف الأول من مكتبة باللغة الإنجليزية .. وكذلك سائر الحروف منها الروسية التركية الفارسية .. لكن لم نفقه ماذا يريد من إدخال هذه اللغات ؟! إلا إذا أراد التأكيد على أن الحل في المكتبة .. أي أن البحث في المكتبة أو المكتبات.. أو التشويش على الذي يفكر في حل اللغز .. لأننا كما عملت في قسم الشفرة .. نستخدم مرات حروفا وأرقاما للتضليل لا يهتم بها الذي يريد حل الشفرة .. إنها لتضليل العدو إذا لقط هذه الشفرة ..فربما استخدم

بسيم هذه الفكرة للتشويش والإعاقة فقط .. تأملت المكتبات بشكل جيد ودقيق لعلي اكتشف إشارة منهنّ .. المكتبة في الطابق الأول هي الكبرى .. ومصممة مكتبة ؛ لأن الخزائن من نفس جدران البناء والتصميم .. ثم وضعت الإطارات الخشبية والرفوف الجميلة لها .. ثم حولت جهة منها لتناسب البطاقة عند وضع اللغز فأزيلت بعض الخزائن لتبقى سبع منها فقط أربع حمراء الإطارات وثلاث بيضاء .. والأطراف فارغة إلا من بعض الموائد وأجهزة الحاسوب والطابعات .. وفي الطابق الثاني حولت حجرة لمكتبة صغيرة بواجهتين ، وضعت لهما خزائن خشبية ثمينة من أجود أنواع الخشب والألمنيوم ..إحداهما تشبه البطاقة بسبع خزائن وسبعة رفوف.. والمقابلة ست خزائن وبينهما موائد للقراءة والغرفة مفتوحة من الجهتين بأبواب زجاجية .. وخالية تلك الجهات من رفوف الكتب .. في الحجرة لوحات فنية معلقة فوق الخزائن وهي مناظر طبيعية .. أشجار وبحار .. وغابات .. ومكتبة الطابق الثالث مثل مكتبة الطابق الثاني شكلا وديكورا وهندسة .. وأنا اعتقد أنهما صممتا هاتين المكتبتين من أجل اللغز والكنز .. وهذا ما أكده مايا الهندي .. فهو يعمل في القصر منذ بداية إنشائه ..أو بالضبط كما قال لي عندما انتهى القسم الأول منه .. وهو قد شيد على مراحل المرحلة الأولى كانت الحفر عن الماء .. وتم اكتشاف الآبار ثم وضع خزانات ضخمة للماء والبدء بالبستان .. الذي خلف القصر .. ثم عملت المخازن الأرضية .. والقاعة الجميلة قاعة الطيور .. أو النسور .. وصمم الطابق الأول وبني .. وبعد وفاة ابنه يحيى أضيف سور آخر بعلو طابق ونصف .. والطابق الثاني والثالث .. والرسائل تدل على أنه وضع الكنز قديما منذ عام ٨٤ .. فكرت في الألوان الحمراء والبيضاء ، فلم ألهم شيئا نحوها .. ولكن لما شاهدنا الكرت والخزائن في الطوابق أدركنا أن الكنز له علاقة بالمكتبات .. ولما فهمنا الحروف تأكد لنا هذا المعنى .. ولكن بعد ذلك عجزنا عن فهم شيء إضافي .. أما الأرقام الموجودة على الكرت فلم أفهمها .. ربما تكون رقم رف ؛ ولكن في أي خزانة .. حاولنا تنفيذ ذلك الفهم فلم نعرف عن ماذا نبحث ؟ وبعد مكث أسابيع اعتذرنا للسيد المهندس وعبرنا عن فشلنا .. أعدت قراءة الرسالة الثالثة فلم يضف فيها شيئا

جديدا ، ولم يضف شيئا بعد ٨٧ و ٨٩ وربما أضاف مجوهرات ووثائق أخرى ؛ ولكن العجيب في الأمر أن السكرتير وأهل القصر لم يلحظوا شيئا مما نتحدث به وعنه .. وهذا يدل على حرص وذكاء الرجل

فقال بشر : أشكرك يا سيدي اللواء على تعاونك معي ، وعلى هذه المعلومات القيمة ، وعلى الوقت الذي منحته لي .. وعندما اجتمع بزملائك في البحث عن كنز الجد بسيم ؛ ربما نشكل فريق عمل جديد لنحاول مرة أخرى .. ونناقش الأفكار المناسبة لحل هذه الألغاز .

ـ على الرحب والسعة يا ولدي الغالي! .. المتقاعد من الخدمة يسر ويسعد عندما يجد شيئا يشتغل به كهذا اللغز .



١١

استقبل شاهر المدرس المتقاعد الصحفي بشر عيسى بصدر رحب ، ولما عرف أسباب اهتمامه بكنز القصر الصحراوي قال باسما : يا مرحبا بك يا دكتور بشر .. فالمهندس أديب هو أديب حقا ، ونعم الصهر لكم .. حياك الله وبياك في بيت أخيك الأكبر .

ـ أشكرك يا سيدي .. أنت تعرفت على أديب عن طريق المحامي داود محمد ؟

ـ نعم ، استعان بي الرجل مرة في قضية من قضايا مكتبه ..وعرف هوايتي في قراءة الشيفرات والألغاز ، وأنني أملك أرشيفا جيدا في البحث عن الدفائن والكنوز والقبور والسفن الغارقة فطلب مني المشاركة في كشف أسرار هذا الكنز .. ولكن القراءة والبحث الحقيقي لا يستويان ولكن القراءة قد تساعد إلى حد ما

ـ أكيد ؛ لأن السيد بسيما جاءته هذه الأفكار من قراءة مثل هذه الكتب التي اطلعت عليها وقرأتها .

ـ أحسنت ! ولكننا لم نفك أسرار الخريطة التي رسمها للوصول للكنز حتى أنني شككت أنها لعبة أو حيلة ؛ ليمنع نهائيا بأسلوب ناعم بيع القصر.. ويظل الرجل يفكر في الكنز والوثائق وبعد نظر وتأمل رفضت هذه الفكرة ، فرجل خبير عاقل كبسيم لا يعقل أن يلبس ويسخر من حفيده ..

ـ ربما يطمع الرجل بولادة أحد من أحفاده يهتم بتراثه وأسراره والسير على دربه في المدى البعيد

ـ فكرة ! وهذا للتاريخ

ـ حسن يا سيدي !.. هل فكرت أو كونت فكرة عن مصرع الرجل في قصره ؟!

فقال شاهر : تحدثنا مع اللواء منسي ، وحدثنا عن استنجاده بطبيب البلدة القريبة من القصر بعد صلاة المغرب .. والحقيقة رغم حبي لقراءة قصص الجريمة والحوادث العالمية والمحلية .. لم أفكر كثيرا بالجريمة ، وقد عجزت الشرطة عن تحديد شخص الجاني رغم إقرارهم أن الجاني أحد الموجودين في القصر لاستحالة دخول غريب القصر كما يقولون .. فأنا يا سيدي اشتغل

ذهني في الوصول إلى الكنز أكثر من الجريمة .. فتشت في الغرف والحمامات والمطابخ والبستان وخارج الأسوار ، بحثت عن نفق سرداب فلم أصل لمكان إخفاء الكنز .. سررنا بكشف اللواء لواجهة من واجهات المكتبة المطابقة للبطاقة .. ولكن لم نتجاوز تحديد مكان اللغز أنه المكتبة .. الحروف السبعة أكدت لنا أن العمل في المكتبة ؛ لكن أين بالضبط وكيف ؟!.. هل للخزائن السبع دلائل ما ؟.. هل للخزانة الواحدة المكونة من سبعة أرفف دلائل معينة؟ .. هل للون الأحمر والأبيض دلالة ما ؟ .. عجزنا عن فهم شيء آخر يا صديقنا الفاضل .. جمعنا الحروف لنخرج منها بكلمة بإشارة .. فكرنا شهرا .. فلم نجد إلا أن تلك الحروف الحرف الأول من كلمة مكتبة بعدة لغات .. لماذا هذه اللغات ؟! لم نرسُ على بر .. الأرقام لم نفقه منها شيئا إلا إنها لمرحلة أخرى .. لم نصل لتلك المرحلة ..

قال بشر : ولكن الكرت دل على الواجهة التي يجب أن يهتم بها ، فتشابهه مع واجهات المكتبات الثلاث يؤكد أن له دلالة عليها ، وتجزئته لسبعة مستطيلات إشارة على الخزائن السبع والألوان للكرت ؛ ربما لها دلالات أخرى والله اعلم

ـ صحيح ولكن الأرقام ماذا تعني ؟! فسرها بالرفوف أي رفوف .. فتنشنا عن شيء في تلك الرفوف عن ماذا نبحث فيها ؟ هناك حلقة مفقودة لم نعرفها .. نبحث عن كتاب .. ما اسم الكتاب ؟ عن بطاقة أخرى ؟

قال بشر : يرى اللواء أنه يجب البحث عن المراحل مرحلة مرحلة ..عندما ننتهي من مرحلة نبحث عن التي تليها ..فالترتيب خطوة خطوة هو الأفضل

قال شاهر : أكيد هذا، لابد من التسلسل في الانتقال .. فمرحلة البطاقة التي تركها الرجل بين أيدينا دلتنا لحتى ذلك الوقت على أن نشاطنا يجب أن يحصر في المكتبة .. في واجهة معينة .. هذه آلاف الكتب في الواجهات الثلاثة .. فاستعراضها صعب وقراءتها أصعب وأعقد ، وفيها كتب بلغات أجنبية كالبرتغالية والإسبانية .. فلم نفهم ماذا يريد منا فهمه في المكتبة ؟ الحروف دلت على لفظ مكتبة بلغات سبع .. لماذا اللغات السبع ؟

ـ يا سيدي الكريم بعد أن أسمع أقوال حسن عبد الرحمن سنعمل على اجتماع مائدة مستديرة وسيكون معنا خالي محمد محسن الصحفي المعروف .. ونفكر بحل هذا اللغز .

ـ أنا تحت أمرك يا أخ بشر ، ويسرني المشاركة في هذا اللقاء ، والمساعدة في حل لغز قصر السيد بسيم الجدية .. فأنا بعدما قضيت شهرا في ضيافة صهرك أديب المحترم عدت للقصر مرة أخرى بعدما راجعت عددا من كتب تهتم في مثل هذه المواضيع .. وعجزت أيضا عن فهم شيء .

وتحدثا في أحوال عامة ، ثم استأذن بشر عيسى بالانصراف على أمل اللقاء .



تابع بشر تحركاته حول قضية الكنز الخفي التي تعهد لخاله بمتابعتها وحلها أو يصلون لطريق مسدود .

استقبله حسن عبد الرحمن المشارك الثالث في محاولة الوصول لمقر الكنز النهائي ، وبعدما تم التعارف بينهما ، وقد ذكر بشر أسباب اهتمامه في الموضوع ، فسر حسن لمعرفته ببشر ، والمصاهرة التي بينه وبين أديب المهندس ، فعقب قائلا : هو شاب أديب كاسمه .. وأعطاني انطباعا أنه مهتم بالأمر لرغبته على إظهار حبه لجده بسيم الذي يسر له كل هذه الأموال والحماية .

وحسن شرطي ضابط صف خدم في الشرطة في جهاز المختبر الجنائي ، وكان بارزا في عمله ، ولما أنهى خدمته من فريق الشرطة عمل في أمن خاص أهلي أو مدني ، وكان من ضمن عمال الأمن في المجمع الذي توجد فيه شركة محاماة داود ، فتعرف على المحامي وموظفي المكتب ، وأصبح بينهم ود وعلاقة خاصة فترة من الزمن ، ولما تغير مكان عمل حسن ظل على اتصال بين الحين والآخر بالسيد داود .

قال بشر : أنت ذهبت معهم للقصر بصفتك هاو في البحث عن الدفائن ؟

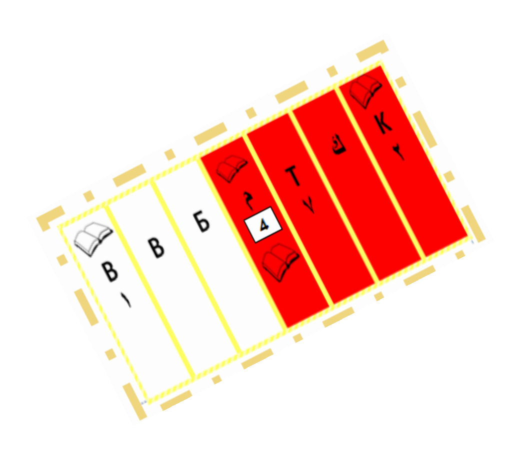
ـ عرفت هذه الهواية أيام خدمتي في الشرطة ، واطلعت على الكثير من وثائق ودفاتر يهتم بها

الباحثون عن الكنوز .. فعرفت رموز حيات دواب طيور .. استخدمها أصحاب الدفائن للدلالة على أماكن دفن الكنوز .. وقد كنت حدثت المحامي عن بعض هذه المغامرات .. فلما تعرض لقصة الكنز الصحراوي تذكرني وتحدث معي .

ـ طيب .. ماذا تقول في كنز القصر الصحراوي ؟

ـ ضمني المحامي للفريق .. وأخذت معنا جهاز الكشف عن الذهب والمعادن .. ولكن لم نوفق لم نجد رسومات معينة على الجدران.. القضية لم تكن سهلة .. نحن بحاجة لمفاتيح أكثر للوصول إلى الكنز .. رغم فهمنا أن الكنز مربوط بالمكتبة .. بحثنا في المكتبة بين الرفوف يوجد آلاف الكتب والمجلات ، وجدنا بعض الكتب تهتم بالشيفرات السرية ، ولم نجد فيها شيئا مهما يساعدنا على الوصول للكنز .

ـ على كل حال سنعيد الكرة مرة أخرى .. وخالي محمد محسن مهتم في الأمر .. ولسوف ندعوك لاجتماع لمناقشة خطوات العمل ؛ لعلنا أن نصل لشيء هذه المرة .



١٢

عقد الاجتماع المنتظر في قصر أديب على مائدة العشاء ، فبعد أن تناول الضيوف الطعام المقدم لهم جلسوا في غرفة استقبال واسعة ، ووضع أمامهم خدم البيت الفاكهة الطازجة والمكسرات والقهوة المرة وأنواعا مختلفة من علب العصير والكولا .. والخالة أم سالم عادت تجلس في غرفة التلفزيون ، وأمامها هي الأخرى سلة الفواكه والمشروبات الساخنة ، وقدامها أو قريب منها مدفأة خاصة .. وجلست النساء في قاعة خاصة قريبة من قاعة الرجال .

رحب السيد أديب بضيوفه من جديد أحر ترحيب ، وشكرهم على الاهتمام بقضيته وتعاطفهم معه ، ولما انتهت المجاملات والدعوات لخص لهم بشر القضية التي يلتقون من أجلها ، وشكر لهم تعاونهم وجهدهم للمساعدة في حل لغز الكنز الصحراوي ثم قال : كلنا اطلع على رسائل السيد بسيم ـ رحمه الله ـ خاصة الرسائل الثلاثة المهمة .. ونحن نجتمع هذا المساء للبحث عن الكنز الذي أراد الرجل أن يصل إليه حفيده قبل أن يتمكن من الخلاص من القصر الصحراوي بالبيع أو غيره .. واتفقنا أن الجد الجدية وضع هذا الكنز عقبة أمام حفيده ليمنعه من بيعه سريعا وترك لنا الجد كرتا أو بطاقة صغيرة كمفتاح لحل موضع الكنز الخفي .. وكلنا على ما اعتقد نقر أن الرجل امتاز بالذكاء والشجاعة ومقارعة أماكن الخطر والعصابات في أمريكا اللاتينية وآسيا وقد توصلتم أن الكرت رمز وإشارة لواجهة أو واجهات المكتبات في القصر الصحراوي والأحرف السبعة تؤكد هذا المعنى ، وأن المكتبة فيها خريطة الكنز السؤال لكن أين ؟ لم تصلوا للكتاب أو الرسالة للخطوة التالية .. هذا ملخص القضية الأولى التي اجتمعنا من أجلها أيها الرجال .. فماذا عندكم من اقتراحات من ملاحظات بارك الله فيكم ؟

خيم عليهم الصمت للحظات ثم قال اللواء منسي : أنا أقترح أن نذهب جميعا إلى القصر الصحراوي لقضاء نهار فيه .. نخرج مبكرين في يوم عطلة ، ونتناقش هناك ؛ لعل شيئا يحدث من جلوسنا جميعا هناك ؛ لأن الرجل أكد لنا أن كنزه في القصر ؛ بل داخل القصر في إحدى الغرف الكثيرة التي قد تصل إلى مائة ما بين حمام وغرفة .. ما رأيكم بهذا الاقتراح ؟

قال المحامي : أيها السادة الكرام ..حادث مقتل صاحب الكنز السيد بسيم الجدية خلال بضعة أشهر سيكمل موته السنتين .. ولليوم لم نعرف الجاني الغادر الأثيم من بين سكان القصر .. ولليوم لم يتصل أحد يطلب شيئا .. سوى أنني تلقيت بعض الرسائل من المحامين في البرازيل ومدن أمريكية جنوبية يعرضون بيع حصص بسيم في تلك الشركات .. وصديقنا المهندس يرى أن تباع وتحول الأموال للاستثمار هنا ؛ لأنه لا يحلم يوما بالسفر لتلك البلاد ..أو تحول إلى بنوك أوروبا والبلاد العربية .. وأنا أخذت الكلام على شكل جدي ، وأسعى على تنفيذه .. ولا أعتقد أن هذا الطلب له دخل في الجريمة .. لأننا إذا بعنا سنضطر لصرف سكان القصر الصحراوي ، وبعض من يعمل هنا .. وسنلجأ لعمالة محلية .. فعلينا إغلاق ملف جريمة القتل مع ملف الكنز

قال محمد محسن الصحفي الكبير : أنا تحدثت مع بعض الأصدقاء الذين لهم باع في التحقيقات الجنائية والبوليسية ..ووقع الاختيار على العقيد المتقاعد حاتم بُس ، فهو كما أخبرت من أفاضل وأكفاء ضباط التحقيقات في الجرائم خاصة القتل .. وربما أخونا الفاضل اللواء منسي يعرفه .

ـ نعم أعرفه معرفة جيدة ، وهو كما ذكرت ، وهو من أكفأ الضباط الذين عملوا في قسم الجنايات الكبرى على مستوى البلد والمنطقة العربية

عاد محمد يقول : والسيد أديب بعد حديث معه وافق على تكليفه بكشف الجاني لإغلاق ملف القضية بالتزامن مع ملف الكنز والقصر .. وسيساعده في التحقيق كما أخبرني العقيد حاتم زميل له اسمه مالح رشيد .. فهم يحققون في الجريمة ، ونحن نحقق في الكنز .

ودار نقاش وحوار بينهم حول القضيتين ، وحول اقتراح منسي بزيارة القصر الصحراوي على صورة نزهة صحراوية ، وختم الصحفي بشر اللقاء قائلا : جميل كل ما قلناه ـ أيها الكرام ـ الليلة !.. وتغمرنا السعادة بالتعرف على حضراتكم واللقاء بكم.. وعليّ أن أرتب معكم في أي جمعة سنرحل إلى القصر العتيد .

قال منسي : رتب الأمر يا دكتور بشر .. فهذا الأمر سيسلينا خاصة نحن المتقاعدين ، فنجد شيئا منشطا لأدمغتنا .

ثم أخذ الضيوف بالانسحاب رويدا رويدا ، والمهندس أديب يشكرهم ويصافحهم ومعتذرا لإزعاجهم في قضاياه الخاصة ، ولما انصرف الجميع وأغلق باب الطابق التفت إلى زوجته سعاد التي كانت تقف خلفه مودعة لشقيقها وزوجته وخالها وزوجته وقال باسما : كيف حالك بعد هذا الاجتماع الحاسم ؟ ومتى ننتهي يا سعاد ؟!

تبسمت لزوجها وقالت : قل هل بدأنا يا عزيزي ؟

ـ أعتقد هذا .



رتب بشر الرحلة وحدد الجمعة المناسبة ، ووافق الجميع عليها ، وكان التجمع في السادسة صباحا أمام بوابة قصر أديب الجدية ، ولأن الرحلة جماعية ستكون في باص حافلة سياحية صغيرة ، وسيقودها سائق أديب الهندي نور ، وهو من رجال وأعوان السيد بسيم ، فهو سائق وحارس في نفس الحين ، ومعه زوجته وأطفاله الثلاثة ، ويسكنون في الطابق الأول من القصر وكان داود قد اتصل بزميله المحامي في مدينة جاد ـ المدينة القريبة من قصر بسيم الصحراوي ـ اتصل به ليلة الجمعة ليرتب لهم وليمة من أحد مطاعم تلك البلدة ، فعرض الرجل ضيافتهم ؛ ولكن المحامي شكره واعتذر له ، ودعاه لمشاركتهم الطعام في القصر ، وبين له رغبة الضيوف بأكل طعام خاص دون طعام القصر المتوفر فيه طهاة وخدم ، وابتاع أديب وبشر مجموعات من صناديق العصير والمثلجات والماء وكميات من الفواكه الطازجة ، وحضرت ترموسات الشاي والقهوة ، واشتريت المكسرات والموالح ، فقد جعلها القوم نزهة ورحلة إلى الصحراء وزيارة للقصر العتيد .

ولما تجمع القوم في ذلك الصباح الربيعي الجميل ، وصعدوا للحافلة السياحية التي استأجرها لهم المحامي ، وقد ركنوا سياراتهم الخاصة بجوار القصر ، ولما كمل ركوبهم ، وصعد معهم

أحد الخدم ليقدم لهم المشروبات أثناء الرحلة التي قد تستغرق أكثر من ساعتين إلى ثلاث ساعات .. أمر السائق بالانطلاق إلى الصحراء صحراء لغد ، فهو يعرف طريقه جيدا لفعله ذلك من قبل ، ونظر بشر لساعته وقال: السابعة والنصف أيها الأصدقاء نتمنى لكم رحلة طيبة ونزهة ممتعة إلى قلب الصحراء ..

وبعد ما يقارب ساعات ثلاث كانوا يقفون أمام القصر الصحراوي ، وكانت سيارة مطعم تقف قبلهم أمام القصر تحمل لهم فطورهم ، فتح حارس القصر الباب الرئيسي لهم ، وهو يفتح أوتوماتيكيا بواسطة محرك كهرباء ، وكان السكرتير الهندي مايا ، وزوجته رامان في استقبالهم وجاء بعض الخدم يدخلون الطعام إلى داخل القصر ، وادخلوا صناديق الماء المعلب والعصائر والفواكه وترموسات القهوة والشاي ، ولما انصرفت سيارة المطعم دخل الرجال التسعة القصر ثم تبعهم السائق نور ، والخادم اللذان اندمجا مع السكرتير الهندي وزوجته بالحديث عن أخبارهم وبلادهم .

وبعد أن دخلوا السور الأول .. كان البوابة الثانية في السور الثاني مفتوحة لهم ، وكان الرجال الجدد يتأملون عمارة القصر بفضول وتعجب .

فهو قصر كالقلعة أو الحصن في قلب هذه الصحراء القاحلة ، فهو كذلك جنة فيها أو واحة ، فكان بشر يقول في نفسه هذا يحتاج لجيش لاجتياحه ! وعقب قائلا ورغم هذا التعملق لقد نال أعداؤه منه .. رحم الله السيد بسيما .. نالوا منه في عقر داره وحصنه !.. من هو المجرم الذي استطاع اقتحام هذا العرين واغتياله برصاصة واحدة بعد تحذيره ؟ !

وقبل أن نسير مع الضيوف القادمين لحل لغز القتل ، ولغز الكنز فلندع صديقنا بشرا يصف لنا القصر كما شاهده ورآه .

قصر شاهق في جوف الصحراء ، يذكرك بقصور الصيد القديمة ، مبنيٌ بالحجارة البيضاء الملساء ، نفس الحجارة التي يبنى بها في المدن المعاصرة ، يرتفع عن الأرض بطوابق ثلاثة وأسفله طابق أرضي وتحته طابق كمخازن طعام وماء وبذور وكوي وغسيل ثياب .

سوره الخارجي يرتفع لمحاذاة الطابق الأول ، وهو يحيط بالقصر والبستان الكبير الخلفي للقصر وعلمت أن تحت الأرض خزانات ماء ضخمة كالخزانات التي تستخدم في محطات الوقود .. وأن في بستانه بئر الماء الرئيسية التي ينقل منها الماء لتلك الخزانات الضخمة في أرض البستان ، وكذلك الخزانات الواقعة بين السورين .. السور المحيط بالعمران مركب عليه أضواء كهربائية قوية كالتي تستخدم في إضاءة ملاعب الرياضة ، وهي كما قيل لي تجعل الصحراء في الليل كالنهار وتكشف كل قادم للقصر حتى مسافة بعيدة ، وتضاء من شبكة داخلية ومولدات كهرباء ضخمة ومتطورة تقبع في غرفة كبيرة خلف القصر .. ولها غرفة تحكم خلف حجرة الحارس على يمين الداخل من البوابة الأولى.. ومعها غرفة السيطرة على التدفئة المركزية والمكيفات .. ويوجد على السور أو أعلاه أجهزة إنذار ، وعليه من أعلى أيضا أجهزة صعق تمنع اجتيازه عند تفعليها.

هذا بالنسبة للسور الأول وله بوابة واحدة فولاذية ضخمة تفتح أوتوماتيكيا من غرفة سيطرة وتحكم في الطابق الأول مشرفة على البوابات وفضاء القصر الخارجي ، والذي يجلس فيها يرى البوابة ، وتفتح بأمر من حارس البوابة الذي يجلس في غرفة صغيرة تتسع لسرير واحد .. وفي قلب البوابة نافذة صغيرة يستخدمها الحارس لمخاطبة من في الخارج .

منذ زمن يسير وصلت شبكة كهرباء الدولة للقصر ، فكانت هناك أعمدة كهربائية في طريق القصر كأنها آتية من مدينة جاد ، ومثلها شبكة أعمدة هاتف كلها أقيمت على نفقة السيد بسيم وبالنسبة لشبكة الهاتف وصلت منذ شيد المكان ، ولكن أكثر اعتماد القصر على الشبكة الداخلية في الإنارة للقصر نفسه .

أما الصرف الصحي فقد صممت عده حفر امتصاصية خارج القصر ؛ ولكنها ضمن أرض السيد بسيم ، ولها أنابيب لا يمكن لأحد التسلل منها لداخل القصر

عندما ندخل القصر من البوابة الضخمة والمرتفعة إلى حوالي ثلاثة أمتار ثم فوقها قوس وبناء حتى يتصل بارتفاع السور العالي ، نجد غرفة الحارس على يمين الداخل للبوابة.. وفي نفس

الجهة غرفة تستخدم كغرفة نوم وفيها حمام ومطبخ .. وعلى نفس الامتداد غرفة التحكم الكهربائي والتدفئة المركزية ، وتجد أحواض من الأزهار منتشرة بين هذه الغرف .. وعلى يسار البوابة للداخل .. أرض مزروعة كأحواض ومواقف سيارات .. وتوصلك حيث فتحات الخزانات المائية الضخمة المحيطة بالقصر .

السور الثاني أقل ارتفاعا من الأول .. وله بوابة حديدية عليها رسومات نحاسية جميلة لحيوانات الغابة ، وأيضا تفتح أوتوماتيكيا من غرفة التحكم في الطابق الأول حيث يكون أحد الحرس يديرها ، والمسافة بين البوابتين حوالي تسعة أمتار .

ويوجد على ظهر أو سطح القصر عدة أبراج صغيرة للحراس ؛ ولكن لم يكن فيها حراس ، ولم تستخدم منذ إنشاء القصر لهذا الغرض ، لكنها واضحة للعيان موهمة للناظر أن فيها حراسا .

للسور الداخلي المحيط ببناء القصر بوابة خلفية ينفذ منها الشخص إلى البساتين الخلفية حيث الشجر والثمار الممتدة على أرض واسعة بين السورين ، ولون السورين على صفار كلون رمال الصحراء رغم أنه مشيد من حجارة ملساء بيضاء ، قد طليت باللون الصحراوي في كثير من الأماكن .

تستطيع السيارة الدخول من الباب الرئيسي إلى الداخل ، فهناك أكثر من سيارة تقف كل منها في موقف خاص بها ، سيارات خاصة بالقصر ، وسيارات مصفحة للسيد بسيم .

بعد اجتياز البوابة الثانية يقابلك مدخل القصر نفسه حيث يواجهك مدخل الطابق الأرضي بعد صعود لسبع درجات من الرخام ، ويوجد على يمينك ممر يؤدي إلى المسير نحو البستان من جهة اليمين ويصعد بك إلى مدخل الدرج حتى الطابق الثالث أو الطابق الأرضي والقبو الذي تحته ..وممر اليسار أيضا يدور بك من جهة اليسار إلى البستان أو الصعود للطوابق من جهة اليسار كنظام بعض المستشفيات والفنادق لها أكثر من مدخل .

وبوابة السور الثاني الداخلي فيها باب صغير لدخول الأفراد بدون فتح الباب الكامل ، وهو يفتح أوتوماتيكيا كسائر أبواب القصر ، بل وجدنا أن طوابق القصر تعزل كل طابق لحدة في

الليل .. يغلق الطابق بأبواب متحركة ، لا يستطيع أحد الانتقال من طابق إلى آخر خاصة الطوابق الثلاثة في ساعة معينة من الليل.

دخلنا من الباب المؤدي للطابق الأرضي حيث وجدنا صالة واسعة ، بعد صعودنا الدرجات السبع.. ولما تصبح فيها ترى قاعة رخامية في الجهة المقابلة للداخل وتلمس الهواء البارد .

همس لي أديب : هناك بوابة سرية للقصر من سرداب متصل بالصحراء ؛ ولكني لم أرها ، ولا أظن أن أحدا يعرفها .. ربما من البستان أو داخل القصر .. ربما من طابق المخازن .. ولكننا لما قدمنا قبل سنوات للبحث عن كنز جدي .. لم نجدها ولم نعرف مكانها .

ـ ولا السكرتير الهندي مايا !

ـ ولا مايا .. سمعت جدي يتحدث لي عنها مرة .. عندما قلت لو حصرت يا جداه من جيش أو عصابة قوية .. فقال هناك منفذ سري لقلب الصحراء .

فهززت رأسي طبعا متعجبا من ذكاء هذا الرجل في إنشاء هذا البناء الشاهق هنا في هذه الصحراء .

دخلنا الطابق الصالة الكبرى ، وعلمنا أن تحتها طابق يعتبر كمخازن للقصر ، فيه مواد الطعام وفيه حجرة كبئر ماء يأتي إليها الماء من الآبار الضخمة ، ومنها تصعد لخزانات مياه على ظهر القصر وتوزع على حمامات ومطابخ القصر .. وهذا الطابق أنشئ في أول البناء أثناء الحفر للآبار ثم أقيم الطابق الذي دخلناه ، وهو على مستوى الأرض ، ثم أقيم الطابق الأول .. وبعد حين يسير بعد حادث موت والد أديب زاد بسيم فيه الطابق الثاني والثالث فصار بناء من خمسة أدوار والطابق الأول بعد أن تصعد الدرج وتدخله من الباب الأيمن أو الأيسر تجد مجموعة من الغرف والأجنحة تمتد على شكل حرف نون معكوسة .. حتى تصل الدرج من الجهة اليسرى إذا دخلته من اليمين.. ومكان النقطة النونية مجموعة من الحجرات ، منها غرفة التحكم والمراقبة الأمامية .. وضمنها المكتبة الضخمة.. وبعض الحجرات كمكاتب للإدارة .. والمطبخ الرئيسي وقاعة الطعام ، وهناك صالتان كناديين .. وسكان القصر موزعون في أغلب غرف الطابق الأول

والقليل منهم في الطابق الثاني .. فهم قريب من ثلاثين موظفا وعاملا وصالة الطعام العامة في الطابق الأول .. وعلمت أن الغرف كثيرة ؛ ويقع في كل طابق حوالي ثلاثين غرفة بين مطبخ وحمام وحجرة نوم .. وأكثر بقاء السيد كان في الطابق الثالث حيث يعيش بمفرده .. وله غرف نوم قليلة في الأول .. لا أحد يعرف أين ينام في كل ليلة ؟ .. مع بعضهم أجهزة إلكترونية خاصة يتصل بهم ويذكر لهم مكان نومه عند حاجته لخادمه أو سكرتيره .. وفي هذه الغرف المخصصة لنوم السيد الكبير تلفون متصل بمقسم داخلي .. فعندما يحتاجونه يرن في جميع الغرف الخاصة به .. فيتكلم معهم دون أن يعرفوا مكانه بالضبط وهناك خط تلفون لا يمر عبر المقسم متوفر في بعض الأماكن كمكتبه الخاص في الطابق الثالث والمكتبة في الثالث والثاني والأول .

قال بشر : باب هذه القاعة ـ قاعة الطيور في الطابق الأرضي حيث يستقبل الزائر بعد قطعه مسافة الصحراء ـ يعد الباب تحفة فنية من أجود أنواع الخشب كالأبنوس أو الماهوجني ، وملصق عليه صور لبعض الطيور الصغيرة من الأمام والخلف ، وهي داخل إطار من النحاس الطبيعي ، وهذا الباب تحت مظلة من القرميد الأحمر حتى الدرج الذي صعدناه ، وعرضه ثلاثة أمتار ، وارتفاعه متران ونصف تقريبا .. الباب لوحة فنية كبيرة وجميلة .

وتابع الرجل قائلا : لما أصبحنا في القاعة الكبرى رأينا في الصدر مجموعة من الأعمدة الرخامية الضخمة تذكرك بالأعمدة الرومانية والإيطالية ترتفع لأكثر من خمسة أمتار تشكل قاعة داخل القاعة ، وفيها مقاعد وثيرة من الأرائك والكنبات الراقية ومساندها على شكل طيور ، وهذه الأعمدة الرخامية عددها تسعة ، أي كل ثلاثة تشكل خط مستقيم ، بين كل عمود والأخر ثلاث أمتار ، والعمود بسمك متر.. فتصبح القاعة تسعة في تسعة ، وعلى أعلى رأس كل عمود ثلاثة طيور جارحة ، عمود مجسم عليه نسور ، وآخر صقور ، وآخر عقبان ، وآخر غربان ، وآخر طواويس ، وآخر طير البوم ، وآخر باز أبيض ونسر الكوندور وصقر الشاهين .. بعضها ينشر أجنحته ، وبعضها يضمها ، وبعضها فاتح فمه ، وبعضها مغلقه .. وسقف القاعة سماء مليئة بالطيور ، والأعمدة الرخامية على جدرانها أشجار عليها صور عصافير وسناجب

وبومات ..

وقال بشر : وعلى يمين المدخل للطابق الأرضي ممر يتجه لدرج الطابق الأول ، ، وهناك مدخل يقودك للدرج الذي على اليسار حيث البستان أو الصعود للطوابق العليا .. وتجد حجرات سوى قاعة الطيور إحداها لتغيير الملابس أو خلعها ، وغرفة كمطبخ صغير ، وحمام ومرحاض وأحواض للغسل مغاسل .. وفي جدار قاعة الطيور أو الأعمدة التسعة باب لا يستخدم إلا نادرا كقطعة من جدار تلك القاعة الرخامية وخلفه مصعد يصل للطابق الثالث ، وقد أضيف من سنوات قريبة كما قال السيد المحامي ، ويوصل إليه أيضا من أبواب جانبية ، وفي داخل القاعة ممر خاص يوصل إليه ، وغالبا يستخدم من الطوابق العليا ؛ لأنه يغلق في الليل مع إغلاق أبواب الطوابق حتى لا يستخدمه أحد للصعود للطوابق العليا .

القاعة الرخامية مثيرة للدهشة والإعجاب ، وأنت جالس فيها تشعر كأنك في غابة مليئة بالطيور المتنوعة .. وهي خاصة لاستراحة الضيوف والزوار .

قال بشر معجبا : عندما تجلس فيها تشعر براحة وسعادة بعد رحلة الصحراء ، فيذهب عن نفسك الإرهاق والتعب والكآبة التي أحاطت بك وأنت تجتاز الثمانين كيلو مترا في الصحراء الجرداء الحارة .. هذا كان شعور كل من رافقنا في تلك الرحلة ، فجلسنا على المقاعد الوثيرة المستوردة ، ومكيفات التبريد تملأ الصالة هواء باردا منعشا .. وكانت الأعمدة تسعة ووسطها في نصف القاعة عمود بالرخام الإيطالي الأسود فتسألت ونحن نشرب المثلجات لماذا تسعة ؟ ولماذا هذا أسود ؟ وفي أعلاه ثلاثة نسور تكاد تطير .

قال الصحفي بشر : حقيقة الجلوس في تلك القاعة بين الأعمدة الرخامية التسعة المزخرفة بالأشجار والطيور وتلك الطيور الكبيرة في أعلى الأعمدة .. يشعرك بالسعادة ، وكأنك بغابة وبين الأشجار العملاقة الممتدة إلى السماء ، قدمت لنا الفواكه والفطور والشاي في تلك القاعة.. وشرق القوم وغربوا بالمديح والإعجاب بالسيد بسيم .. وتعجبنا نحن الجدد الزوار الجدد من العمود الأسود في وسط تلك الحجرة ، والأغلب تسأل عن سبب توسطه فيها ولونه الأسود ..

حتى أنك عندما تحدق في عين بعض الطيور تحس أنه سينقض عليك ليؤذيك أو يداعبك .. وتتعجب من صنع مجسمها .. بعد الفطور قمت بتصوير تلك القاعة من جوانب متعددة .. ووعدني أديب بإعطائي المزيد من الصور التي صورت للقصر ومقتنياته .. وأخبرني أديب أيضا أن هناك قاعة مليئة بالصور والرسومات في الطابق الثاني .

وقال أديب ممازحا : يبدو أن سعاد لم تخبرك جيدا عن قصر الجد بسيم !

ـ لم تفصل لي شيئا .. هل رأته هي ؟

ـ قضينا فيه بضعة أيام بعد زواجنا .

ـ سأعمل جولة ـ أنا ومن رغب من الأخوة الأفاضل ـ في القصر وبستانه .. المرء لا تتكرر زيارته لمثل هذه الأشياء العظيمة .. جدك سواح عالمي .. فهذا العمران يدل على خبرة كبيرة له في أنحاء العالم .

١٣

ما زلنا نحن وإياكم في القصر ، وكان الصحفي بشر متعجبا جدا من قاعة الأعمدة الرخامية في الطابق الأرضي للقصر وعلم من السكرتير الهندي أن الصور والتماثيل من تصميم فنانين إيطاليين ويونانيين

فقال لنفسه : فقد وفق السيد في وضع هذه القاعة في استقبال الضيوف بعد مسير طويل في طريق مترب إلى هذه القصر .. جميل أن يجد الإنسان نفسه في غابة بين الطيور والأشجار !

وقد أثارت القاعة بجمالها وحسنها وبردها متعة الزوار الجدد ، وقد بهرتهم هذه الغابة ، فجرى بينهم تلقائيا حديث عن كيفية بناء وتشييد القصر ، ومن وضع الرسوم الهندسية له ؟ وعن شركات الإعمار والبناء التي بنته . وأجاب المهندس أديب : حسب معلوماتي البسيطة .. أن القصر بني على مراحل .. تم الحفر عن الماء ، ولما أخرجت المياه من أعماق الأرض ، وضعت لها خزانات تخزين ضخمة .. بعضها على الجهة اليسرى بين السورين .. ثم بدئ ببناء السور الخارجي وإنشاء البستان الخلفي للقصر ، وفي نفس الوقت بناء الطابق الذي تحتنا .. ثم الطابق هذا حيث هذه القاعة .. والطابق الأول .. وعلمت أن شركات أجنبية التي اشتغلت في هذا البناء .. ثم الطابق الثاني والثالث .. قامت ببنائه شركة هندية عالمية .. وشاركت شركات حماية وأمنية بوضع الأبواب الخاصة وحماية الأسوار .

فقال محمد محسن مادحا : جدك ذكي جدا يا أديب ! ولم أكن أتصوره بهذا الذكاء والخبرة .. لابد أنه الذي كان يتخيل القصر ، ثم يطلب من المهندسين بوضع رسوماتهم .. فهذه القاعة لابد أنه أخذ فكرتها من إحدى القصص والكتب .

ـ تقريبا كما قلت يا دكتور .. كان جدي مستغلا لوقته في المطالعة والثقافة .. ويتأثر بما يقرأ فصنعت المياه المستخرجة هذه الواحة في هذه الصحراء الصفراء.. وكمل بناؤه في الأربع والثمانين أي قبل عشر سنوات تزيد قليلا .

كانت أجهزة الهاتف موزعة في الصالة وبكثرة ، وبعضها له أشكال وصور طيور وحيوان ،

بعضها معلق على حامل ذي شكل معين ، وبعضها على رف بارز وبعضها داخل كوة صغيرة وعلل أديب كثرة الهواتف في هذه الصالة حتى يرد الشخص أو يتصل حيثما يقف أو يجلس ، وأن جده لم يحدثه بسر كثرة هذه الأجهزة المنتشرة في هذه القاعة .

تطرق الحديث بينهم حول صلاة الجمعة ، أين سيؤدونها ؟ وقد اقترب وقتها فقال أحدهم : هل سنصليها هنا أم نسير إلى مدينة جاد إلى أحد مساجدها ؟

مدينة جاد تبعد عن القصر الصحراوي حوالي مائة كيلو متر ، فقال اللواء منسي : يا قوم نحن في حالة سفر .. والمسافر حسب ثقافتي البسيطة يحق له ترك الجمعة ويصليها ظهرا ويجوز لنا قصر صلاة الظهر الرباعية إلى ركعتين .

وقال المحامي داود : ويحق لكم جمع صلاة العصر معها .

فقال منسي : صدقت ، فعندما يحين وقت الصلاة .. نؤذن لأنفسنا ، ونصلي إن شاء الله .. فالأستاذ حسن كان شيخنا في الزيارة السابقة يا أستاذ بشر .

فاستحسن الضيوف إفتاء واختيار اللواء.. فأغلب الضيوف كبار السن ما عدا بشر وأديب والمحامي .

قال بشر : بعدما رتبنا أمر الصلاة صعدنا للطابق الأول حيث المكتبة .. وكان الرخام يغطي جدران البناء من الداخل .. والحجرات والغرف حيث يسكن عمال القصر مبنية على شكل حرف نون مقلوبة ..والنقطة تشكل المكتبة وغرفة التحكم ومكاتب القصر .. وهناك صالة طعام واستراحة ومطبخ رئيسي .. وغرفة واسعة تشكل قاعة جلوس ونادي .. مشينا نحو قاعة المكتبة الكبيرة في القصر .. حيث كانت قاعة جميلة وفيها ديكورات مثيرة .. وسقفها مشيد بالجبص والصور ذات الألوان الممتعة .. وهي من صنع مهرة في الجبص والتصوير من الأجانب ووجدنا الواجهة التي تشكل الخزائن السبع التي يرمز لها الكرت حقيقة .. قسم أحمر وقسم أبيض ، وكل خزانة بسبعة رفوف ، ومصنوعة من أثمن الخشب والدهان .. وفيها طاولات جميلة للمطالعة وآلات تصوير ، وعدد من الحواسيب وبجوارها غرفة نوم للسيد بسيم كان

يجلس فيها ليستريح ، وقال الهندي مايا من النادر أن ينام فيها ليلا ، كان يستخدمها للنوم في النهار ، وهي مغلقة كغيرها من غرف نوم السيد ، وللمكتبة مدخلان متقابلان وبجوارها مخزن خاص بالمكتبة وهو غرفة كبيرة ، وفيه مشغل صغير لتجليد الكتب .

جلسنا في المكتبة وبعضنا أخذ ينظر في رفوف وأسماء الكتب وقال أديب : معظم غرف هذا الطابق مشغولة ومسكونة برجال القصر وموظفيه .. كل رجل وزوجته يسكنان جناح أو شقة والأكل جماعي .. ثلاث وجبات يوميا .. ومع ذلك كل شقة فيها مطبخ صغير للشاي والقهوة وبراد { ثلاجة صغيرة}.. وتلفزيون .. شقة مفروشة .

قصر متوفر فيه أفضل الأشياء المادية ووسائل الراحة ، حتى أن فيه مسابح ماء حيث البستان والأرض المزروعة .. وعرائش من القماش وعرائش الشجر خاصة شجر العنب .. فلم يبخل السيد بسيم بماله وثروته على هذا البناء بالجمال وبوسائل اللهو والمرح ، وبكثرة الغرف ، وكافة وسائل الحماية التي قرأ عنها أو علمها والتي ذكرنا بعضها ، وسنطلع على الباقي خلال سردنا لحل لغز مقتله في جوف قصره هذا ، وكشف سر كنزه .

لقد وافاه الأجل في قصره المشيد في حجرة في الطابق الثالث بعد تناوله العشاء وصلاته لصلاة المغرب .

لقد وصل إليه العدو رغم الأمن والحذر فكيف كان ذلك ؟! فهذا ما ستعرفه بإذن الله تعالى في الورقات القادمة .

لقد وصلوا إليه في النهاية ونالوا منه ، وكيف سيصل التحقيق إليهم ؟ فريق سيصل للقاتل الرهيب في جوف القصر ، وفريق سيصل للكنز والمذكرات الخطيرة .. مذكرات تاجر السلاح المخضرم !



جناح نوم
مصعد
جناح نوم
غرف نوم
مطبخ
قاعة تدخين
قاعة طعام
غرف نوم
حمام
حمام
قاعة جلوس
المكتبة الكبرى
قاعة جلوس
مكتب
مكتب
غرفة التحكم
مكتب
مكتب
مدخل
مدخل

١٤

قمنا نحن الزائرين الجدد بجولة في طوابق القصر ، وصعدنا إلى سطح القصر ونظرنا الصحراء المهيبة ورأينا البستان الخلفي للقصر أو قل الغابة الجميلة ورأينا بعض سكان القصر ينتشرون فيها ولمحنا بعضهم عند مسابح الماء يلهون ويسبحون .

ولما هبطنا للطابق الثالث قادنا اللواء منسي إلى الحجرة التي اغتيل فيها جد أديب الجدية .. كانت غرفة يستريح فيها الرجل إذا ترك المكتبة وهي مجاورة لمكتبة الطابق الثالث .

وواضح للعيان أن مكتبة الطابق الثاني والثالث أضيفتا من أجل لغز الكنز .. فهما عبارة عن حجرات نوم حولتا لمكتبتين بمهارة وفن أيضا .

والغرفة المجاورة للمكتبة غرفة نوم بحمام ، فكان فيها السرير الذي هلك عليه الرجل ، ولها نافذة تطل على البستان الكبير ، ولها نافذة أخرى تطل على مساحة فارغة ..أو ردهة صغيرة بين غرف أخرى وللردهة تلك نافذة تطل على البستان أيضا .

قال منسي لنا ونحن نقف في الغرفة : هنا قتل الرجل !

وشرح لنا منسي كيف وجدت الجثة بناء على أقوال وتحقيقات الشرطة والطبيب المعالج .. فقال : بعد تناوله العشاء وانصراف الخدم ..استلقى السيد على هذا السرير أو جلس عليه .. انتشرت في الغرفة مادة مخدرة فاتصل بالهاتف بالطبيب جادور ..هو لم يقل له إنه يتعرض لخطر داهم .. إنما طلب من الدكتور المجيء فورا .. والدكتور زعم أن في صوته حشرجة .. ووجدت الشرطة آثار قرص ينبعث منه مادة غازية ؛ ولكن الجاني الذي خدر الرجل بواسطة هذا القرص فتح نوافذ الغرفة بعد ارتكاب جريمته .. فلما وصل الطبيب ومعاونوه استنشق القليل من بقايا الغاز المستخدم .. وهو غاز مخدر ..لأنه لم يبق له أثر عند التشريح وسبب الموت الرصاص لا الغاز .. والرجل وجد نائما على ظهره والرصاصة في جبينه .. واخترقت الجمجمة واستقرت في أرض الغرفة أسفل السرير .. ولم يكن هناك مقاومة فدل هذا على أنه كان مخدرا .

فقال العقيد حاتم : لم يقل للدكتور عما ألم به ؟

ـ ربما لم يدرك السيد أنه يتعرض لتخدير ، أو لم يكن يظن أنه يتعرض لمؤامرة داخلية .. فشك في شيء عارض ، ويبدو أنه يحفظ رقم الطبيب ، فضرب رقم الطبيب .. ولكن التخدير أفقده الصواب .. أو أن القاتل منعه من إكمال الاتصال

ـ ولكن تقرير الطب الشرعي يفيد أنه قتل بعدما خدر .. فقولك أنه فقد الوعي أصح والله اعلم أيمكن أن يخدر بواسطة طعام العشاء ؟

ـ ممكن ؛ ولكن كما أشرت لتقرير الطب الشرعي لم يكن التخدير عن طريق المعدة والجوف .. كان التخدير عن طريق الرئة والهواء .. غاز خاص دخل الغرفة أفقده الوعي .. لذلك فتح الجاني النوافذ وأزاح الستائر لتبادل الهواء .

قال العقيد : لكن الطبيب غير متأكد من وجود غاز في الحجرة عندما اقتحمها .

ـ لا تنسى أنه وصل بعد الاتصال بساعتين تقريبا يا سيدي .. والغرفة معروفة للحارس الذي يتفقد الأبراج قبل إغلاق الطوابق ..عندما شاهده أمامها لم يكن قد نام بعد ولم يصل العشاء فالجريمة وقعت بعد صلاة المغرب ، وبعد تناول طعام العشاء ..

قال حاتم : علمت أنه كان يجلس في المكتبة يتحدث بالتلفون ، وكانت المكالمة مع الأرجنتين ، واستمرت نصف ساعة ، وبعدها طلب العشاء ، وأكله في غرفة الطعام ، وليس التي وجد فيها ميتا برصاصة واحدة .. وكان التلفزيون مفتوحا وبغير صوت كان مكتوما .. خادمه الخاص قدم لها الطعام والشاي ، ثم انصرف حسب العادة .. ومن العادة إذا احتاجه ليلا أن يستخدم جهاز الاتصال الذي بينهما ، ويذكر له المكان المتواجد فيه .. فالتصور الشرطي أن الرجل كان يتفرج على التلفزيون ..فأحس بألم أو بالرائحة .. وتضايقت نفسه ، فاتصل بالطبيب مباشرة دون سنترال القصر ..وأثناء المكالمة فقد الوعي كاملا .. ولم توجد بصمات هنا إلا للخادم وخادمات تنظيف الغرف وللرجل بسيم ..

قال منسي : عليك بلقاء الطبيب والشرطي الذي صحبه عند اكتشاف الجريمة ..

ـ سأفعل يا سيدي .. وسنقرأ ملفات التحقيق التي جرت هنا في شرطة المدينة جاد .. وسيكون

لنا مكتبا في عمارة السيد في المدينة .

تحدث منسي عن معلوماته التي اطلع عليها من ملفات التحقيق وتمنى التوفيق للعقيد حاتم ورفيقه مالح .

ولما نزلنا إلى مكتبة الطابق الأول المكتبة الرئيسية خاطب العقيد حاتم المحامي : لم يغادر أحد الموظفين البلاد ؟

رد المحامي : لحتى الآن لا رغم موت الرجل من سنتين ، ولكن إذا تم تصفية شركاته الخارجية أي أخذ نصيبه منها سنضطر إلى إنهاء خدمات كل العاملين هنا وسنقدم لهم حقوقهم المالية المناسبة .. فسيد القصر لم يعد بحاجة إليهم .. والشرطة لم تسمح لهم بمغادرة البلاد قبل القبض على الفاعلين .. والسكرتير الهندي أو الباكستاني عند مقتل السيد كان في إجازة ولما بلغ بالجريمة حضر بأسرع وقت ، وأدلى بشهادته ، وأخبر أن حياة السيد كانت في خطر ، وقد تلقى تهديدات بالتلفون وبالبريد ؛ ولكن السيد لم يعرها الاهتمام الكافي ، وكان يقابلها بعدم الاكتراث ويقول :سيد مايا لم يبق من العمر الكثير ويبتسم

فقال حاتم :إذن كل الخدم والعمال ما زالوا يعملون هنا .

ـ أجل

ـ وحضرة السكرتير الذي استقبلنا هو نفسه مايا .

ـ نعم ، هو لم يكن هنا ليلة الحادث ، كانت زوجته هنا لم تسافر معه .

ـ أيوجد أطفال هنا ؟

ـ نعم ، يوجد أطفال وإذا حان وقت دخول المدراس يرسلون لبلادهم ، ويتعلمون على حساب السيد في مدارس داخلية في بلادهم ، ويأتون في الإجازات الصيفية لوالديهم ، ويرتب سفرهم وإجازاتهم مايا الهندي أو يسافر الوالدان لقضاء الإجازة عندهم .. السيد يراعي العواطف والحاجة الإنسانية ..أما الصغار دون سن المدرسة يبقون مع ذويهم هنا .. والرجل كان يستقبل ويستضيف في هذا القصر ضيوفه الأجانب وشركائه .

ـ هو من غير زوجة كما فهمنا ؟

ـ زوجته الأولى أم يحيى جدة المهندس ماتت قديما قبل موت ابنها يحيى ..ولما هاجر البرازيل أول مرة تزوج امرأة من هناك ، ولدت له بنتا ثم طلقها ؛ ولكنه كان يتردد عليها من أجل البنت والبنت لما بلغت عشر سنوات اختفت أو خطفت ..ولما رجع بعد حين يسأل عنها أخبرته أمها أنها عادت لبعض الوقت .. ولكن لظروف عمله وسفره المتكرر لم يتمكن من رؤيتها ، ولم يلتقيا بعد اختفائها ..وكان يترك لها بعض المال عند أمها ويغادر .. وهو لا يعرف هل هي حية أم ميتة ليوم وفاته ؟ وهل لها ذرية أم لا ؟ كله مجهول

عاد حاتم يقول للمحامي الذي تابع تحقيقات الشرطة سابقا : الشرطة لم تشتبه في أي فرد من هؤلاء ؟

ـ هؤلاء كلهم رعايا أجانب ، ولم تجد الشرطة لدى أحدهم دافعا وسببا لارتكاب الجريمة إلا إذا كان الدافع الانتقام ..

بعد لحظات صمت خيمت على السامعين قال حاتم : كم عدد الموظفين في القصر إذا كان عندك علم بذلك ؟

قال داود : نعم عندي علم يا سيدي ..لأن مكتبنا القانوني هو المكتب الرئيس لمعاملات السيد بسيم منذ أيام والدي ـ رحمه الله ـ فحسب معلوماتي هنا حوالي ثلاثين فردا ربما يزيدون واحدا أو اثنين ..وتوثيق عقودهم لدينا في المكتب .. ونحن نصرف لهم رواتبهم الشهرية أو السنوية أو نصف السنوية حسب رغبة المتعاقد .. وهناك مصاريف أخرى كالتعليم العلاج السفر كان السيد سخيا .. والحقيقة أن رواتبهم تحول من مصارف في البرازيل والأرجنتين من استثمارات الرجل هناك .

ـ سنأخذ كشفا بأسمائهم وتوصيف عملهم ، ونطلع على جوازات سفرهم لنعرف بلدانهم وحياتهم الاجتماعية .. قد نحتاج يا أبا محمد فريقا من المترجمين .

قال داود : استعان البوليس بمترجمين ، ولم يستفيدوا شيئا من أقوالهم .

قال حاتم : حسب معلومات اللواء منسي أن القاتل منهم من داخل القصر ، ولا يمكن أن يأتي من الخارج ولم يكشف .

ـ هذا قول الشرطة هنا ، وفي العاصمة بلبل ولكن من هو ؟ وهل ينفذ أوامر من الخارج ؟ وكيف حدث الاختراق ؟ فاغلبهم يعمل من سنوات طويلة ..وهذا ما حير البوليس يا سيدي الكريم مَن مِن هؤلاء الناس ؟! لم يطلب أحد منهم منذ الجريمة ترك العمل ..مع أن الكل يدرك أن عملهم هنا انتهى .. حتى أننا أوقفنا الإجازات حتى يغلق الملف ويظهر الجاني الغادر .. ولما أغلقت الشرطة التحقيق بدون تحديد شخص المجرمين سمحنا لبعضهم بالسفر والإجازات بحكم الاضطرار .

دهش حاتم وقال: وكم سافر منهم بعد موت بسيم ؟

ـ عدد قليل .. ويشرف على سفرهم وإجازاتهم فعليا السكرتير مايا وزوجته مساعدته ..فنحن لم نفصل أحدا بل نشيع أنهم قد يستمرون في العمل حتى يقرر السيد الجديد أديب إنهاء خدماتهم ، ولدينا كشوفات تبين ترتيب سفرهم ورحلاتهم الخارجية قبل موت السيد .. والسكرتير الهندي هو منسق رحلاتهم وتذاكرهم ومصروفاتهم ، فهو يحسن الإنجليزية ، وكذلك زوجته ، فهما يحسنان الاتصال بهم .. واعلم يا أخي الكريم أن أغلبهم له زوجة هنا عائلات.

قال العقيد : لابد لنا من جلسة مطولة معك يا دكتور داود .. وذلك بعد قراءتي لملف القضية لدى دوائر شرطة جاد وبلبل ..وبعد سماعنا لشهادة الطب الشرعي وكذلك الطبيب جادور مكتشف الجريمة وسأتخذ مكتبا في جاد .

ـ لدينا عمارة كبيرة سنوفر لك فيها مكتبا .

ـ في الغالب سأمضى جل الوقت في القصر خاصة النهار ، وليلنا في المدينة لإجراء الاتصالات الخاصة دون سماع أحد لها من هؤلاء المشتبه فيهم .

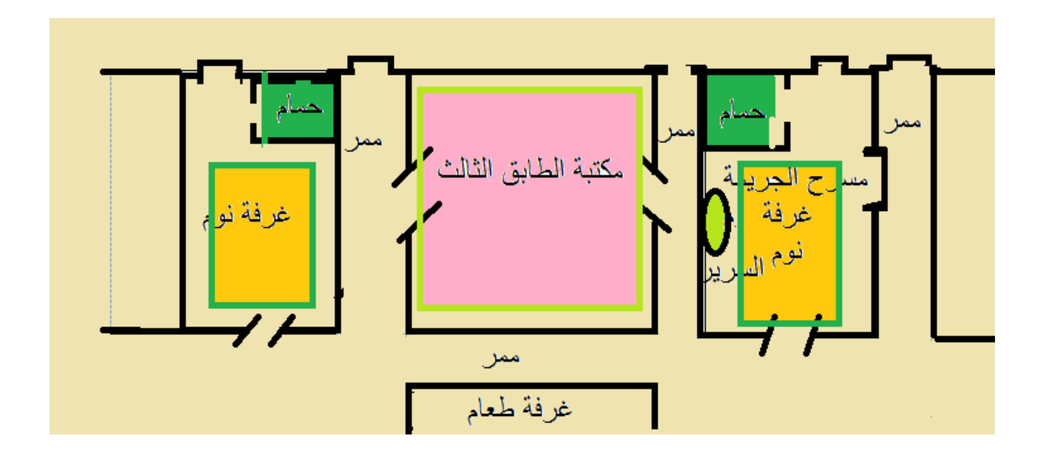
ـ نحن جاهزون لأي خدمة ..وأجرة الفندق وأي تكاليف مهما بلغت نحن مستعدون لتسديدها

ـ نعم ، سكنى الفندق أفضل من العمارة خدمة الطعام والاتصال .

ـ المهندس أديب قال لي قدم كل المساعدة والتسهيلات للعقيد حاتم وزميله .. سنضع تحت أيديكم غرفة في العمارة كمكتب للتحقيق وإدارة التحقيق .. وسيتم الحجز لكم الليلة في الفندق حجرة لكل واحد منكما .. وأي أموال تلزم فنحن جاهزون لها .. فالسيد ترك الكثير منها فهو يستحق منا أن نبذلها لمعرفة اليد الأثيمة التي اغتالته ..بل يرى المهندس أن القبض على المجرم أكبر وأهم من البحث عن الكنز .. فهو وحيد جده أيها السادة ووارث كل ثروته فأنا أدير ثروته هنا أي أتابع تحركات المال وأتابع إيجار العقارات والسكرتير الهندي مايا يتابع استثماراته في أنحاء العالم .. فالمال والنفقات لا تحسب لها حساب ..اختبارات فحوص رسائل مترجمون خبراء تنقلات .

فقال حاتم : سأفعل أنا والزميل مالح كل ما في وسعنا إن شاء الله ﷻ ..وسنصل لليد الخائنة بتوفيق الله تعالى

ـ أرجو من كل قلبي التوفيق لكما بالقبض على الجاني أو الجناة .



١٥

كان اللواء منسي وزملاؤه المكلفون بالبحث عن الكنز يجلسون في المكتبة في الطابق الأول ـ وهي المكتبة الكبرى في القصر ـ يتحدثون عن كيفية حل لغز الكنز ، وكان الشاي يقدم لهم ، ويتذكرون ما أنجزوه في المرة السابقة ، وكان البعض يتأمل في المكتبة والرفوف والكتب ؛ لعلها توحي إليه بمفتاح جديد بفكرة جديدة .. يفكرون بالطريقة التي رسم بها السيد إخفاء الكنز وكان الصحفي محمد محسن يفكر في المكان المناسب لإخفاء الكنز في هذا القصر الواسع الكثير الحجرات ؛ كأنه فندق ضخم وقال لبشر : كثير من الأماكن تصلح لإخفاء الكنز .. كل باب من أبواب القصر يمكن إخفاء الجواهر فيه خاصة الأبواب السميكة الجدران تصلح لذلك .. خلف بلاطة رخامية .. لابد من خريطة تسهل الوصول إليه .

فقال بشر : نعم ، لابد من خريطة يا خال .. فهذه المكتبة وحدها تحتاج لوقت كبير قبل تفتيش هذه الكتب .. وهذه المكتبة بالذات الخزائن في الحائط فيمكن أن يكون وراء كل خزانة مكان سري ، لا يرى فيها من الخشب إلا الرفوف والإطارات المزخرفة .. وكل خزانة عشرة رفوف حتى السقف المزخرف كأنه سماء فوق بحر أزرق .. فهذه الكتب العليا تحتاج لهذا السلم لتناولها ـ وأشار لسلم معدني على شكل رقم ثمانية مركون في الحجرة المكتبة ـ الرجل لديه نظرة جمالية أو ربما شاهد مثلها في إحدى بلدان العالم التي تنقل بينها .

القاعة كلها خزائن مليئة بالكتب ، وفي وسطها موائد أنيقة للمطالعة والجلوس إليها على مقاعد مريحة ، وللقاعة ثلاثة أبواب للدخول والخروج ، وفي إحدى الجهات تلفزيون ، وفي الزاوية الأخرى أجهزة طباعة وتصوير ، وعلى إحدى موائد القراءة جهاز حاسوب شخصي وفي زاوية ثالثة جهاز حاسوب آخر .

تأمل الزائرون الرفوف والجهة التي تشبه الكرت المفتاح ، واتفقوا على إعادة قراءة رسائل السيد ودراستها ؛ لعلهم يكتشفون من خلال سطورها إيحاء معينا معنى جديدا .

فقال محسن : فكرة طيبة ! فلننزل إلى قاعة الطيور نصلي الظهر أو الجمعة إذا أحب أحدنا أن

يخطب فينا .. ثم يقرأ البعض علينا رسائل السيد .

قال منسي : نعم الاقتراح ؛ لأننا لو مكثنا هنا سنة لن نجد شيئا حتى نجد الخطوة أو المرحلة التالية .. فكلنا أتصور يقر للرجل بالخبرة العملية والذكاء والحيلة .

فعاد محسن يقول : وتحت نضع التصورات والاقتراحات لإتمام هذه المهمة .. لا شيء غريب في نظري في هذه المكتبة .. رفوف عليها الكتب كسائر المكتبات .. صح .. سقف القاعة جميل ولوحة فنية .. سماء صافية وغيوم صيفية ، ولا أعتقد أن في رسومها حل اللغز ، ولا أظن أن لها علاقة بكنز السيد الجدية .

فعلق منسي متبسما: هذا فكرنا فيه ، لم نستطع أن نخرج من النظر في السقف برسالة ما .. بشيء ما .. واقتراح السيد محسن اقتراح جميل ..لقد عددنا الرفوف وعددنا الخزائن فلم تكشف لنا أسرارها ..تأملنا مواضيع الكتب والمجموعات فهي كأي مكتبة عامة وخاصة .. لا يوجد فيها شيء مثير وملفت للنظر والفكر .. مكثنا شهرا ها هنا مع الأخوة الكرام فلم نجد شيئا مهما .. حتى وقع في خلدي أنه لا كنز نبحث عنه ؛ لكن لا يعقل أن الجدية ساخر من حفيده وليمنعه من بيعه والاستفادة من بيعه بقصة الكنز ؛ لأنه يعلم أن الحفيد غير مهتم بالحياة في الصحراء .. لا أعتقد أنه يكذب .

فأيد الرجال قول منسي بوجود الكنز حقيقة ، وقال أحدهم : العجيب أن السكرتير التاريخي السيد مايا لم يسمع بالكنز والوثائق السرية الخاصة.

قال أديب معقبا : استغرب الرجل هذه الحكاية ؛ ولكنه اعترف بقدرة الجد على كتم الكثير من الأشياء والأسرار ، فالرجل كما قال يحب الغموض والرموز في أعماله ، وكل الصفقات تعطى رموزا سرية ..كودا معينا .. فهذا من ضمن الصفقات للأسلحة .. وحتى أثناء الاتصالات تستخدم الشيفرات والكلمات السرية للدلالة على الأشخاص أو البضاعة .

هبط الضيوف إلى قاعة الرخام الواسعة وتوضؤا ثم صلوا الظهر والعصر جمعا وقصرا .. وعند الثانية ظهرا كانت سيارة المطعم تقف أمام القصر.. وقام عمال المطعم بإعداد السفرة .. ولما أكل

الضيوف الخروف المشوي والمحشي بالأرز واللحم الناعم والمكسرات ..قدمت لهم المثلجات والقهوة السادة ، ولملم العمال بقايا الطعام وغادروا المكان ، وقام خادم أديب بتنظيف المكان ، ولما عاد الهدوء تابعوا التخطيط والتفكير ، واتفقوا أن يبقوا على تواصل إلى أن يفتح على أحدهم فكرة جديدة ، ثم استعدوا للعودة ومغادرة المكان .. ولكنهم رافقوا المحامي والعقيد حاتم والمقدم مالح إلى مدينة جاد ، والتقوا بمحامي السيد القاضي المتقاعد الذي رحب بهم ، ودعاهم لقضاء الليل في ضيافته .. لكن الزميل داود بين له الهدف من اللقاء به وأبدى الرجل استعداده لخدمة المحققين في القضية من جديد .

ووعدهم بإعداد غرفة في العمارة كمكتب لها ، ووضع هاتف تحت خدمتهم ، وعامل خدمة ، وإذا احتاجوا لكاتبة فوعدهم بتوفير ذلك .. وأنه سيبذل أقصى طاقة للتعاون للوصول للجاني وسيرتب لهم لقاء مع الطبيب جادور ..وكان العقيد قد طلب تأجيل اللقاء به ريثما يعودان للمكث في الفندق.

ورجعوا للعاصمة في الليل بعد قضاء نزهة في الصحراء ومشاهدة مكان إخفاء الكنز ومسرح جريمة اغتيال السيد بسيم الجدية الرجل الغامض الواضح .



١٦

راجع العقيد حاتم وزارة الداخلية والأمن الداخلي ، وقابل السيد الوزير وشرح له مهمته والهدف من الزيارة بكل إيجاز ووضوح ، فرحب به الوزير وأبدى تعاونه الكامل معه ، واتصل أمامه بمدير الأمن العام وقال له وهو يودعه : نحن يهمنا معرفة كل مجرم يا سيدي العقيد .. والمدير محمد راشد هو نفس المدير في نفس فترة الجريمة ، وستجد عنده ما يفيد ، وأتمنى لك النجاح .

وغادره إلى دائرة الأمن الرئيسية ، ورحب به المدير ترحيبا طيبا ـ وهم زملاء ويعرفان بعضهما بحكم عمل العقيد حاتم في الشرطة ـ وحدثه حاتم عن المهمة التي كلف بها .

فرحب محمد راشد به مرة أخرى وهما يشربان القهوة وقال : أنا اطلعت على تقارير القضية ، ورغم اكتشاف الجريمة فور حدوثها .. فهي يكتنفها الغموض ، ومع أن الضباط المحققين اكدوا أن المجرم من داخل القصر لم يعرفوا من هو الخائن بالضبط ؟ ملابسات تمنع اتهام شخص ما ..وإرسال شخص للمحكمة الجنائية بدون أدلة قوية كلام فارغ سيخرج براءة من أول جلسة ..وسكان القصر كلهم رعايا دول أجنبية ، فهم من جنسيات متنوعة الأمريكي الإفريقي الآسيوي .. ولم نجد شاهدا واحدا رأى القتل ..أنا أذكر تلك الجريمة بشكل جيد لأهمية الرجل المقتول ، وأذكر أنني كنت على اتصال دائم بمدير شرطة منطقة جاد .. لأنهم المكلفون بحكم الاختصاص في التحقيق في الجريمة .. ستجد عندنا الملفات والتقارير التي ترسل لنا نسخ منها وعليك زيارة الدائرة هنالك والالتقاء بفريق التحقيق والطبيب الشرعي والطبيب جادور .. وأنا أعرف حق المعرفة قدراتك الشرطية والتحقيقية في الجنايات الكبرى وإذا وفقت في كشف الغموض أكون أنا وسعادة الوزير من أسعد الناس بمعرفة الجاني الأثيم.. وكما طلب السيد الوزير سنقدم لك كل المعونة والمساعدة لخدمة العدالة .. وكلنا في خدمة العدالة يا حاتم .. والأخ مالح رجل كفء أيضا .

مشى العقيد حاتم إلى أرشيف الدائرة ، واطلع على ملف القضية والتقارير المرسلة حول

القضية ، وبعد قراءتها وجد أن نشاطه سيكون في القصر الصحراوي ومدينة جاد .. زار المحامي داود واطلع على جوازات سفر سكان القصر ..ووجد كشفا معدا عن أسماء كل من يعمل في القصر ورقم جوازه وجنسيته وطبيعة عمله داخل القصر ، وحالته الاجتماعية متزوج أو اعزب هل أطفاله معه أو ببلده ؟.. رحلاته للخارج عددها وتاريخ سفره في كل رحلة وتاريخ العودة كشف فيه الكثير من المعلومات المتوفرة عن كل فرد .

وكان في الكشوفات أيضا وقت التحاق الشخص بالقصر والعمل ، فكان الحرس خمسة أفراد فقط ، أحدهم إفريقي ، واثنان من أمريكيا اللاتينية أحدهما بوليفي والآخر تشيلي ، واثنان من آسيا أحدهما فيتنامي والآخر هندي باكستاني .. فتعجب العقيد من هذه التشكيلة فسأل المحامي عن صفة اختيارهم .

فرد المحامي قائلا : قد تجد عند صاحبنا الهندي مايا الجواب أو بعضه .. ومعظمهم معه زوجته كعاملة أو خادمة تنظيف .

وجد أن السكرتير مايا من قدماء العاملين مع السيد ..وأن زوجته الهندية تعمل منذ خمس سنوات فقط ، وكانت أولى سنوات عمله في القصر بدون زوجة رغم أن عمره يقارب الخمسين عاما .

وهناك ثلاثة رجال يعملون كخدم للقصر ومعهم زوجاتهم وهم من جنسيات فليبينية .. وطاهيان ذكران ومعهما زوجاتهم يعملون في مطابخ القصر أحدهما لاتيني أمريكي، والآخر آسيوي .. وفهم من المحامي سبب تنوعهما لأن أكثر ضيوف الرجل من أمريكيا اللاتينية ومن آسيا .. ووجد في الكشف خادم خاص بالسيد آسيوي وزوجته لخدمة السيد شخصيا بتقديم الطعام الشراب تنظيف مكان نومه وجلوسه .. وهناك مسؤول عن المخازن وتوفير المواد بتقديم المطلوب للسكرتير الهندي .. من أطعمة وزيوت ومواد تنظيف وغسيل .. فهو يطلب ما ينقص ويتفقد المخازن وتعمل معه زوجته .. وهناك غرفة غسيل يديرها رجل هندي أحمر وزوجته وابنته الشابة ، وهم من أمريكا الجنوبية ..يغسلون ملابس سكان القصر ثم يكّونها ويسلمونها

لأصحابها ..أما بالنسبة لثياب السيد بسيم فهو متعاقد مع شركة في مدينة جاد لغسل ملابسه وكويها .. وهناك موظف البستان .. وإذا احتاج لمزيد من العمال يذهب لمدينة جاد ويستأجر المناسب للعمل .. وسنتعرف على المزيد من عمال القصر في الصفحات التالية .

يوجد في القصر سيارتان مصفحتان قديمة وحديثة يستخدمهما السيد بسيم ، ولدى السكرتير سيارة خاصة ، وهناك سيارة يستخدمها أهل القصر عند الحاجة ، وتوفر الأشياء للقصر عن طريق موردين ومتعاقدين .

ولما سأل حاتم المحامي عن صفة اكتشاف الجريمة رد المحامي : ألم تزر دائرة الأمن يا سيدي وتطلع على الملفات ؟

ـ فعلت يا سيدي المحامي ..ولكن هنا تقارير مختصرة .. التفاصيل كما تعلم تبقى في دائرة التحقيق والمنطقة التي تتبع لها الجريمة .. وسأسافر خلال أيام .. ولما نستقر في الفندق سأتصل بك لتأكد لهم الحجز لي وللزميل مالح .. وهل جهز مكتب العمارة ؟

قال داود : نعم ، المكتب جاهز .. وضع فيه جهازا حاسوب .. وطابعة وآلة تصوير وخزانة ملفات .. وأوراق وهاتف وفاكس .. وعامل خدمة .

ـ أحسنت يا دكتور داود ..أنا كلفت مكتب ترجمة بتزويدي بعدد من المترجمين .. وسأطلب مساعدتك لنقلهم لجاد عند الاحتياج لسفرهم .

ـ نحن تحت الأمر ؛ لأنه من التقدير والواجب علينا للرجل الميت أن نعرف قاتله ونقدمه للعدالة والقانون .. وأنت تعلم أكثر منا أن البوليس يضيق به الحال لكثرة الحوادث وضيق الوقت فتعلق القضايا إلى حين

ـ شكرا ، كيف عرفتم أنتم بالجريمة ؟

ـ نحن كان الرجل يحدثنا عن الخطر أو الأخطار المحدقة به من العصابات والمنظمات السرية وحتى الدول .. أعداء الرجل كثر وأصدقاؤه أكثر .. فمهنة تجارة السلاح مهنة تصنع الأصدقاء والأعداء في آن واحد فالذي تبيعه السلاح صديق والذي لا تبيعه عدو ؛ ولكنها تدر أموالا

كثيرة .. فكان القصر الصحراوي مستقر الرجل .. وهو شرع في بنائه حقيقة قبل محاولة اغتياله بتفجير بيت ابنه يحيى والد أديب المهندس حيث قصره .

ـ نعم ، اذكر ذلك الحادث الرهيب لقد قتلت فيه أسرة كاملة ، ولم ينج إلا شاب صغير فهو صاحبنا أديب

ـ نعم ، نجا بقدر من الله ؛ لأنه لم يبت تلك الليلة في البيت .. وكان المقصود بالانفجار السيد بسيم الجدية .

ـ كنت على رأس عملي أيام ذلك الانفجار ؛ كأنه كان سنة ١٩٨٢ .

ـ يوم خميس في الثامن من شهر تموز .. المهم أن الرجل عمل الاحتياطات اللازمة التي اطلعت عليها بزيارتنا السابقة للقصر تلك الجمعة .. فعل كل ذلك لينام هادئا .. والمال متوفر بين يديه وهو من مواليد ١٩١٠م ..فقد أخذ عمرا كافيا كما كان يردد أمامي ، ولا أدري هل يصح هذا التعبير ؟ فقد تجاوز السيد الثمانين سنة ، وكانت صحته جيدة إلا من بعض عيوب وسقم الكبر في العمر.. وكان يتعامل مع فريق أطباء هنا في بلبل وفي جاد ، وعلى رأسهم الأخصائي جادور وقد عمل الدكتور جراحا في المستشفى الصحراوي ـ وهو جراح معروف ـ وكان الدكتور متعاقدا مع السيد ..ويذهب للقصر كل شهر مرة ليطمئن على الرجل صحيا ويصحبه طبيب آخر وممرضة ..وإذا اتصل السيد أو السكرتير لبى النداء بأسرع وقت ممكن .. فهو جاهز للخدمة والطوارئ في أي وقت من ليل ونهار .. ويوم عيادته الشهرية يذهب مع مساعده وممرضة عيادته ، ويتناولون الغداء على مائدة السيد ، ويقضون نهارهم بصحبته حتى صلاة العصر .. بل ينزلون البستان أيام الثمار ويأكلون ، وربما يحملون لأهليهم ..وقال لي الدكتور عندما التقيه لدفع أجرته إنه يسر بذهابه ذلك النهار إلى القصر .. وهو يعمل معنا منذ أكثر من عشر سنوات .. أما مساعدوه فهم يتبدلون سواء الدكتور العام أو طبيب الأسنان أو الممرضة فهم لهم عيادة كبيرة في مدينة جاد .

ـ ومرضى القصر الآخرون ؟

ـ يوجد في القصر صيدلية عامة يا عقيد حاتم ..فبعض العاملين لديهم خبرة طبية بسيطة فيقدمون الإسعافات الأولية عند الحاجة ، وإذا احتاجوا لمستشفى فيبعث السكرتير الهندي سائقا ومرافقا للمريض إلى المستشفى ، ويكون قد اتصل بالمستشفى ونسق لاستقبال الحالة أو الحالات ويرسل المريض إما بسيارة الهندي مايا أو سيارة القصر .. وإذا احتاجوا لطبيب ليلي فالدكتور جادور يؤمنه أو يسير بنفسه لمعاينة الحالة .. وإذا كان الطلب ليلا يصحبه شرطي لحمايته ومرافقته.. وهذا بتعاون بين السيد والشرطة؛ لأن السيد يقدم المال والتبرعات لتلك المدينة .. ويذهب الشرطي لحماية الطبيب من الوحوش واللصوص فقد يظهر اللصوص في تلك المناطق بين الفينة والأخرى ..وفي فترة من الفترات داوم طبيب في القصر كطبيب مقيم ؛ ولكن لقلة العمل طلب الإقالة فأقاله السيد أو السيد مايا

فقال العقيد : أيفهم الرجل على هؤلاء الناس ؟

ـ يفهم على البرازيليين بشكل جيد ، وأما الآخرون فيتعامل معهم بالإنجليزية .. فقد تعلم الإنجليزية منذ صغره أيام الاستعمار أو الانتداب ..فالحاجة أم الاختراع .. عندما بدأ التجارة في السلاح أخذ يتعلمها

قال المحقق حاتم: نعود يا سيدي لليلة الجريمة كيف علمتم بها ؟

ـ نعم ، علمنا يا سيدي من الدكتور جادور نفسه اتصل بي مخبرا باغتيال الرجل في قصره ، قال إن السيد اتصل به بعد آذان المغرب مساء يوم الثلاثاء من شهر تشرين الثاني نوفمبر عام ١٩٩٥م قبل أكثر من عام .. وأذكر كان التاريخ ١٤ من ذلك الشهر اتصل السيد به على الخط الخاص وطلب مساعدته وأنه متعب ، وقال الطبيب إن الرجل كان بدون صوت كأنه يختنق يتحشرج فكان متعبا للغاية كما بدا للطبيب ، فاتصل جادور بمساعده الدكتور حازم صنو هو يعمل مع الدكتور في مجمعه الطبي في جاد ، واتصل بمركز الأمن طالبا مرافقا .. ولما تجهزوا انطلقوا إلى القصر في ذلك الليل البارد ، وكانت أمطار خفيفة تتساقط ذلك الليل .. والمغرب في ذلك الفصل يهبط مبكرا لقصر ساعات النهار عن الليل .. فربما كانت الساعة الخامسة والنصف

عندما انطلقوا المهم وصلوا قبل الثامنة بقليل ، ولما اطمئن الحارس تلك الليلة لهم أدخلهم ، وتحدث مع السكرتيرة رامان زوجة مايا ؛ لأن السيد مايا كان مسافرا لبلده في إجازة طارئة وعاجلة ، فاستقبلتهم الزوجة التي لم تصحب زوجها في رحلته مستغربة ، فهي لم تعلم بمرض الرجل ، ولم يتحدث معها ، وتبين أنه تحدث من الهاتف المباشر بدون المرور على مقسم القصر ، اتصلوا بالغرفة التي يمكن أن يكون فيها .. فالسيد عندما يقصد النوم لا أحد يعرف في أي حجرة يرقد تلك الليلة ، فله عدد من غرف النوم ، وكلها لها شبكة هاتف مشترك ، فعندما يرن الهاتف يرن فيها جميعها ، وكلها تفتح على مفتاح واحد أو اثنين كما فهمت من الهندي .. وهناك مفاتيح لها مع السكرتير تستخدم لتنظيف الغرف .. يفتحها السكرتير لهم لتنظيفها وترتيبها .. فعندما يرن التلفون فيها فيتكلم السيد إذا كان مستيقظا ويرد على الاتصال ..وكل من يريد الاتصال من عمال وخدم القصر يكون عن طريق سنترال داخلي موجود في مكتب السكرتير وزوجته .. والمكالمات تسجل وتحفظ لحين من الزمن ربما ستة أشهر ؛ وربما تتلف أشرطة التخزين أو تحفظ في المخزن ، وربما يعاد التسجيل عليها .. فالسكرتير مايا وزوجته هما مديرا القصر .. لم ترد أي حجرة ليحددوا مكان وجود السيد .. فسألت السيدة الخدم والعاملين في قاعة السهر وقاعة الطعام فذكروا أنه تناول طعامه في الطابق الثالث في قاعة الطعام وشرب شايه فيها ، فالرجل مغرم في الشاي رغم كبر سنه ؛ بل يأخذ ترمس شاي لحجرة نومه ، ويفضله السيد على سائر المشروبات من المثلجات وغيرها .. وأثناء الاستفهام أخبر أحد الحرس أنه شاهده يخرج من المكتبة إلى غرفة بجوارها ، وألقى عليه تحية المساء ، وقال : ربما دخلها للصلاة فهي غرفة يقيل فيها عادة في النهار عندما يتعب من الجلوس في المكتبة ، ويصلي فيها الصلوات لأن فيها حماما ومغسلة للوضوء ..وهي لا تستخدم للنوم في العادة إلا للاسترخاء في النهار مع أنها غرفة نوم كما بينت رامان عائلة السكرتير .. فصعد القوم إليها تصحبهم السكرتيرة رامان كان الطابق الثالث مطفي الإنارة إلا من أضواء خفيفة في بعض الزوايا والأطراف ..أضاءت السكرتيرة الأنوار وعند الغرفة المشار إليها من قبل الحارس وشاهده يدخلها ، وجدوها مقفلة

وطرقت السكرتيرة الباب ثم فتحتها .

وأضاءت النور ، وكان الرجل مقتولا برصاصة في رأسه ودمه على السرير والوسادة وثيابه والسجاد .

وبعد لحظات صمت وحزن قال العقيد : وهذا المبلغ الحارس ألم يشتبه فيه رجال الشرطة ؟ وماذا كان يفعل في الطابق الثالث ؟

ـ تبين لنا أنه كان يتفقد السطح في مهمة روتينية ، وذلك مهمة من مهمات الحرس قبل إغلاق أبواب الطوابق على ساكنيها ..لأنه إذا أغلقت الأبواب سينعزل كل أهل طابق في طابقهم ويتواصلون ليلا بالهاتف الداخلي .. فيقوم أحد الحرس بجولة مراقبة سريعة من على ظهر القصر وإنزال من يكون يسهر على السطح .. وهذه الجولة حسب ما أذكر تكون بين الصلاتين المغرب والعشاء .. وأثناء نزوله لمح السيد خارجا من المكتبة نحو الغرفة المجاورة .. فحياه وتابع نزوله للطابق الأول حيث غرفة السيطرة .

ـ أتكلم مع السيد بسيم ؟

ـ قال بالإشارة حياه .. وفحص الشرطة ثيابه بحثا عن نقطة دم فلم يثبت ذلك .. والسلاح المستخدم في الجريمة يمتلك الحرس مثله .. وفحصت الأسلحة الموجودة لدى الحرس ورصاصاتهم وأعدادها فوجدت كما هي مثبتة عند السكرتير.. لم تستخدم المسدسات منذ زمن وقامت الشرطة والمختبر الجنائي بكل ما يلزم .. وستجد ذلك في ملفات شرطة جاد

ـ ما اسم هذا الحارس ؟

ـ هو الحارس الإفريقي (سينكالا كامارا)

ـ رأيته يوم زيارتنا للقصر .. فهو الذي فتح لنا البوابة الرئيسية

ـ صدقت أيها العقيد

١٧

عقد حاتم ومالح اجتماعا ناقشوا فيه الجريمة قبل الرحيل لمدينة جاد وقال حاتم : الرجل كان يشعر بتهديد مستمر لطبيعة عمله في تجارة السلاح ، فتعرض لعصابات تعمل ضد بعضها خاصة في دول أمريكا اللاتينية .. وكذلك من أجهزة مخابرات الدول التي كان يورد لخصومها الأسلحة والمتفجرات .. وتعرض منذ زمن بيت ابنه يحيى والد المهندس أديب لانفجار كبير ونجيا منه لعدم وجودها تلك الليلة في المنزل .

فقال مالح : ومن مقتله إلى محاولة القتل السابقة زمن طويل من ٨٢ إلى ٩٥

قال حاتم : لم يحدث بعدها أي محاولة هنا حسب المعلومات المتوفرة ؛ ولكنه ظل يلازم الحذر والحيطة ، ويستخدم السيارة المصفحة في تنقلاته داخل البلاد ، وقلّ حضوره في اللقاءات العامة والقصر الصحراوي اتخذت فيه الوسائل والأدوات الأمنية اللازمة حتى وصلوا إليه في نهاية الأمر ، ووقع ما كان يحذره .

قال مالح : إذن ترى أن الخائن في القصر كما ترى الشرطة .

قال حاتم : لأنه يا سيدي لم يثبت وجود أحد دخل القصر ذلك اليوم ، وشاهد اكتشاف الجثة أربعة أشخاص أحدهم شرطي .. والقصر مسرح الجريمة ، والحارس الإفريقي سينكالا كان آخر من رآه قبل الجريمة حسب التحقيقات التي أخبرني بها المحامي .. والدكتور جادور هو سبب اكتشاف الجريمة ، وهو ذهب للقصر استجابة لاستغاثة الرجل به .

قال مالح : نعم ، قرأت ذلك .. اتصل به بعد غروب الشمس حين صلاة المغرب قائلا يا دكتور إنني أموت أنا بسيم وكان صوته مخنوقا ومحشرجا وانتهت المكالمة ، وجمع الدكتور أعوانه وذهب وبعد ساعتين كان هناك ، وارتبك أهل القصر لمجيء الدكتور دون علمهم بهاتف النجدة ، وصعدوا برفقة السكرتيرة رامان بعد أن لم يرد على الهاتف ، فوجدوه مضروبا برصاصة واحدة من نفس أسلحة الحرس الشخصية ، والغرفة مغلقة ولا تفتح من الخارج إلا بمفتاحها الأصلي ..ولما فتحتها السكرتيرة بعد إحضار المفتاح الخاص بالسكرتير كانت الجثة والتشريح

الطبي لم يثبت وجود مخدر مع الطعام ؛ وربما استنشق غازا مخدرا كما رجح الشهود
قال حاتم : فهذا يدل على أن القاتل الفاعل من داخل القصر أو نقول المنفذ للجريمة من الداخل وهو يعرف نظام القصر الأمني ، ويعرف الثغرات فيه .. فتحقيقات الشرطة كما فهمت من المحامي لم تثبت دخول شخص من الخارج ذلك اليوم ..ولم يشاهد شخص يختفي داخل القصر ويخرج منه بعد اكتشاف الحادثة .. ولكن الرجل قتل في إجازة السكرتير المدير مايا الهندي لماذا؟؟! هل لغيابه دلالة معينة ؟ دلالة لتنفيذ الجريمة .. هل استغل غيابة لتنفيذ القتل ؟ أم هو له دور في القضاء على سيد القصر ؟ هل جرى بينهم سوء تفاهم دفعه ليشارك في هذه الجناية ؟ وهل غيابه مبرر ؟ أسئلة سوف نحاول الإجابة عليها
قال مالح: علينا يا سيدي أن نحدد وقت ارتكاب الجريمة بالضبط لنعرف أين كان كل شخص وقت الجريمة في تلك الدقائق الحاسمة .. وكل من يتوفر له الشهود في الوقت المحدد يبعد من قائمة الاشتباه .. فوقت الاتصال على الدكتور جادور علينا تحديده لنقصر المدة التي ارتكبت فيها الحادثة ؛ لأن الجريمة بدأت قبل الاتصال عندما استنشق الغاز المخدر .
ـ عندما نلتقي حضرة الطبيب نستطيع تعيين ساعة الاتصال ، ونستعين بسجلات الاتصالات إذا ما زالت محفوظة لدى الشركة .. هم يحفظونها لزمن معين ؛ ربما خزنوها على أقراص صلبة وسيرافقنا فريق من المترجمين أثناء الاستجواب لسكان القصر تعاقدت معهم أنا والمحامي ، وسيكون رحلينا غدا ظهرا يا أخ مالح وسنقضي أول ليلة بالفندق مع ضيوفنا المترجمين والكاتب وسنقابل ضباط التحقيق في القضية الموجودين هناك ، وسنطلع على تحقيقات شرطة جاد .. وسنجتمع بالطبيب الشرعي للمنطقة ، ورجال المختبر الجنائي ، وصور مسرح الجريمة سنطلع عليها .. وبعدها سنقابل جادور الطبيب ومساعده والشرطي المرافق لهم تلك الليلة .. جهز نفسك يا صديقي .. وسيكون لقاؤنا عند مكتب المحامي داود محمد .
قال المقدم مالح : أنا جهزت حقيبتي، وأنتظر ساعة الصفر ، ونسأل الله تعالى أن نوفق في الوصول للجاني والجناة في هذه الجريمة الغادرة التي لم يعرف دافعها بعد

قال حاتم : الدافع لحتى الآن مجهول إلا إذا كان الانتقام فقط ، هل هناك لحتى الساعة أشخاص أعداء يحقدون على الرجل وسعوا للانتقام ؟ .. ينتقمون لأشخاص كان له دور في موتهم أو تسليمهم للشرطة .. وإما خسروا معه صفقات فحقدوا عليه نسأل الله تعالى أن نوفق في كشف غموض هذه الجناية الكبرى يا أخ مالح .



وصل العقيد حاتم وفريقه عصرا لمدينة جاد ، ونزلوا الفندق (أبيض جاد) ، وكان المحامي عبد الحي محمد في استقبالهم ومرحبا بهم ، وتم تجديد التعارف بينهم ، ونزلوا غرفهم ، وبعد أن وضعوا حقائبهم في غرفهم رافقهم المحامي إلى المطعم حيث أعد لهم مائدة من أطايب الطعام حسب ترتيبات المحامي داود ، وأقسم المحامي على غدائهم في اليوم التالي في نفس المكان وبعد الغداء عادوا للفندق الذي لا يبعد عن المطعم سوى عشرات الأمتار ، وعند الغروب تمشى حاتم ورفيقه إلى عمارة السيد بسيم .. والعمارة أيضا تقع في نفس منطقة الفندق وهي عمارة من عدة أدوار ، وكان المحامي المتعاون مع مكتب داود في انتظارهم حسب الاتفاق وقادهم إلى المكتب الذي أعد لهم لإدارة عملية التحقيق ، وسلم عليهم بواب العمارة ، ومشى أمامهم إلى المكتب الذي كان مفتوحا حسب اتصال المحامي به ، وهم التقوا به في المرة السابقة فوجدوا المكتب معدا بشكل مناسب من طاولات مكاتب حاسوب الآت طباعة وتصوير خزانة ملفات خزانة معدنية صلبة .. ومكثوا ساعة من الزمن استلموا خلالها مفتاح الخزانة المعدنية ومفاتيح الأبواب ، والمحامي يقول : سيفتح لكم الأقفال السيد ماهر عواد (البواب) وستكون غدا صباحا سكرتيرة طابعة وعامل خدمة في هذا المكتب.

قدم الرجلان الشكر الجزيل لحضرة المحامي على جهده الكبير معهم ، واتفقوا على أن يبقوا على اتصال بينهم وقال لهما : أنا تحت أمركم أيها السادة ولا تنسوا موعدنا على الغداء غدا إن شاء

الله .. وأتمنى لكم التوفيق .. فنحن يهمنا معرفة الجاني والانتهاء من هذه القضية التي ذهب ضحيتها السيد الكريم ..كان نعم الأخ والصديق .

ـ شكرا لكم يا سيدي القاضي .. أنا أعرفك جيدا .. ورأيتك أكثر من مرة في المدينة العاصمة أثناء عملك في سلك القضاء قبل تقاعدك .. وأنا في المرة الماضية عندما التقينا أقول لنفسي إنني رأيت هذا الوجه .. حتى وضح لي داود أنك عملت فعلا في القضاء ، ولما تقاعدت تشاركت مع قريب أو صديق لك في مكتب محاماة .. يا أهلا ومرحبا بك يا سيدي وأخي عبد الحي .. وكلنا يعمل لتحقيق العدالة في الأرض قدر الإمكان .

ـ أنا يا سيادة العقيد حاتم من أهالي هذه المدينة جاد ، فلما تقاعدت من سلك الدولة قلت بدلا من الجلوس على المقاهي أو في النوادي أشغل الوقت بالمحاماة خاصة لما التقيت بالصديق والشريك المناسب عامر ياسين .

ـ بوركت والآن اسمح لنا بالانصراف للفندق ، وتصبح على خير، وجزاك الله خيرا

ـ رافقتكم السلامة ..

ولما دخلوا الفندق مشوا إلى صالة الطعام الخاصة في الفندق وتناولوا عشاء خفيفا .. وكان زملاء الرحلة قد تعشوا وهم يجلسون في صالة الفندق يتسلون ويسمرون وطلبوا شايا ثم قهوة .. وكان التلفزيون ينقل مباراة كرة قدم على الهواء ، فكان رواد الصالة يتابعون بصمت وترقب وشغف ، ولا تسمع سوى رشفات الشاربين .. والذي لا يهتم بالرياضة صامت احتراما للآخرين .. وكان التهامس يسمع بين الفينة والتي تليها .. وكان التهامس حول الرياضة وتعلق الشباب في هذه الأيام في كرة القدم تعلقا كبيرا حتى الهوس .. ثم صعدوا بعد حين للمبيت على أمل الاجتماع في الصباح عند الساعة العاشرة .

ولما كان الاجتماع قال حاتم للمترجمين الثلاثة: سأذهب والمقدم مالح إلى مديرية الأمن ، وأقابل الضباط الذين شاركوا في التحقيق وتلك القضية ، ونسعى لسماع الطبيب الشرعي القائم على تلك الجثة هو ورفاقه .. وأنتم خذوا حريتكم في الحركة ، ونلتقي على مائدة القاضي عبد الحي

محمد حمدان ، وفي المساء نعقد اجتماعا لترتيب زيارة القصر ، ونبدأ بمقابلة العاملين داخل القصر .. وأنت يا محمد { الكاتب} اذهب للمكتب حتى موعد الغداء فتأتينا إلى المطعم فالرجل يحب إكرامنا من أجل خاطر السيد بسيم والمحامي داود .. هيا أيها الزميل مالح .

كان الفندق قد أمن لهم سيارة بسائق فاعتذروا عن السائق وقبلوا السيارة ؛لأنه سوف يسوق بنفسه هذا اليوم ، وتناول المفاتيح من مدير الفندق شاكرا ، وتسلم السيارة المخصصة لهم ، فكانت سيارة حديثة وحالتها ممتازة وجاهزة للانطلاق ، فانطلقت نحو دائرة أمن جاد الرئيسية حيث طلب لقاء مدير الدائرة وأعلمه بسبب الزيارة ، ورحب المدير بحضرتهم وأعلمه أن الوزير حدثه بذلك ، وكذلك رئيس الشرطة وأنه كان في انتظار اللقاء بهم ، فشكره الضابطان المتقاعدان ، وعاد المدير يكرر رغبة الوزير بالتعاون معهم وتسهيل المهمة أمامهم ، وأثنى المدير على العقيد حاتم وذكر أنه كان كنزا في الشرطة ، وأنه كان فارس الميدان في التحقيقات الجنائية أثناء خدمته .

فقال العقيد : أشكرك يا سيدي .. وهذه سنة الحياة والخدمة الوظيفية ؛ ولنترك الفرصة للأجيال الجديدة .

ورحب المدير كذلك بالزميل مالح وقال : الأخ مالح لا يقل فطنة عنك يا عقيد حاتم .

وحضرت القهوة وقدمت للضيوف ، وطلب المدير الضباط الموجودين أثناء التحقيق في قضية مقتل السيد بسيم الجدية ، وقال المدير : السيد بسيم كانت علاقته جيدة معنا ، وكان تحت الحماية غير المباشرة من جهاز الأمن .. وذلك عن رغبة المسؤولين في توفير الحماية الخفية له خاصة عندما يخرج من القصور والمباني .. فهو صديق لعدد كبير من رجال البلد والدولة .. فكنا على تعاون تام معه ؛ ولكنه في ذلك القصر كان تحت حماية نفسه بعد حماية الله ﷻ فحماية القصر تحتاج لكادر ضخم كما تعلم ؛ وقد كنا نسير بعض دوريات الشرطة لتلك الصحراء بين الحين والآخر والحقيقة لم نسجل أي محاولة للتسلل للقصر أو حتى الاقتراب منه .. وأحيانا يتحدث أفراد الدورية مع عناصر القصر ، ويشربون معهم الشاي والمثلجات سواء في دوريات الليل أو النهار

وهذا الجهد البسيط يثير الفزع في المتربصين .. وسبحان الله تعالى كان موته داخل الحصن .. فبيننا صداقة ومعرفة وكان يزورنا ويشرب الشاي معنا ونزوره ونتغدى على مائدته هنا وهناك وكان يأتي بزواره الأجانب لجاد ويتغدى معهم أو يتعشى .. وكان الرجل معروفا على مستوى المنطقة ويتبرع للجمعيات والمؤسسات الخيرية النشطة في جاد وقراها .. وما زال المحامي داود يقدم لها العون والمساعدة .. فحفيده أديب الذي لابد أنكم التقيت به كما قال لي المحامي القاضي حمدان إنه طلب منهم الاستمرار في تقديم المساعدات التي يقدمها جده سواء للأفراد أو الجمعيات أو النوادي الرياضية .. لذلك الكل في هذه المدينة يرغب برؤية الغادر في قفص العدالة .. والرجل ـ رحمه الله ـ له عمارة ضخمة هنا يستثمرها .. وهو أنشأها كما قال لي شخصيا للاحتكاك بأهل هذه المدينة القريبة من قصره والمجيء إليها .. واعلموا أني كنت ألحظ انزعاجه عند وجود أجانب في مدينة جاد .. وكان يتحسس عن جنسياتهم في بعض الأحيان .. وكان قلقا أكثر من اللازم من وجود أجانب من أمريكا الجنوبية

ولما انتهوا من شرب الضيافة دخل بعض ضباط فريق التحقيق وجرى التعارف التقليدي بينهم وبعضهم وجد نفسه قد خدم مع العقيد حاتم والمقدم مالح وجرت أحاديث الذكريات والمواقف الإيجابية والسلبية ، وبين لهم المدير الهدف من هذه اللقاء ، وشرحوا للمحققين ملابسات تلك الجريمة ، ولم تزد عما وضحه له المحامي داود محمد ، ولكن العقيد بعد سردهم وسماع ملاحظاتهم طلب الاطلاع على محاضر التحقيق والتقارير الجنائية والطبية .

فتركوا مكتب المدير حيث الأرشيف ، واطلع الضابطان المحققان على محاضر الاستجواب التي قامت بها الشرطة في القصر ، ثم قابلوا مدير المختبر الجنائي في أمن جاد ، ورأوا أشرطة فيديو تصوير الجريمة أو مسرح الجريمة ، ورأوا الصور الفوتوغرافية لمسرح الجريمة ؛ لأن القانون الجنائي اليوم يسمح بتصوير مسرح الجريمة ثابت وحركي ، ولما انتهى الاطلاع وسماع رأي الضباط في الجريمة عقد اجتماع خاص لتبادل المعلومات فقال حاتم : أيها السادة ماذا كانت انطباعاتكم عن الحادث ؟

قال المحقق مرزوق : ذهبنا لمكان الحادث كأي حادث ، وكانت سيارات النجدة والشرطة قد سبقتنا لتحريز المكان ، وكان ذلك ليلا فعند نصف الليل بقليل ، وصلنا هناك للكشف على مسرح الجريمة .. عاينا المكان ، وكان المجني عليه مستلقيا على ظهره فوق سريره ، وقد نزف من الدماء الكثير ، ورصاصة واضحة اطلقت على جبهته ، وكان المسدس قد وضع على جبينه وضغط على الجبين واطلقت الرصاصة الوحيدة ، والحرق واضح على حواف الفتحة .. ويبدو كما أثبت التشريح فيما بعد أنه كان في حالة تخدير بغاز استنشقه لم نحدده ، وهو ظن أنه في حالة مرض فاستغاث بالطبيب الخاص مباشرة .. تلفون متصل بالشبكة دون المقسم الداخلي للقصر كانت ملابسه العليا غارقة بالدم والسرير والمخدة والأرض حيث تساقط قبل أن يتخثر .. وقد اخترقت الرصاصة جمجمته والسرير .. وقد مات على الفور كما بين التشريح الطبي والرصاصة سبب الوفاة وتهتك الدماغ .. وكان الرجل مقتولا بملابسه الرسمية لم يكن يلبس ملابس النوم ثم علمنا أنه تعشى عشاءه الخفيف في قاعة الطعام وشرب الشاي ومشى لتلك الحجرة للصلاة والرجل يحب السهر يقضي وقتا طويلا وراء التلفزيون أو القراءة والكتابة ، ثم ينام في مكان مجهول تماما للموظفين كلهم داخل حجرات النوم الخاصة به .. وكانت الجاكيت معلقة على حمالة في نفس الغرفة التي وجد بها مقتولا .. لم يلحظ أي مقاومة بينه وبين القاتل ، ولم يوجد في بطنه مادة مخدرة ..ويرجح الطبيب أنه استنشق غازا مخدرا وفحصنا الغرفة فحصا دقيقا فلم نكتشف آثار للغاز المستخدم سوى علامة على مدخل الغرفة قد تكون علامة قرص تخدير وجدت نافذة الغرفة مفتوحة فهذا يدل ويشير أن أحدهم فتح الشباك ليذهب أثر الغاز.. فهذه قرينة دلت على استخدام غاز تخدير .. ونحن وصلنا بعد أكثر من خمس ساعات على موته واغتياله .. والتحاليل أفادت وجود شيء في رئته لكنهم لم يعينوا ماهيته وما الغاز الذي خدره ؟ فتح القاتل النافذة وغادر .. وثبت أن الرجل فتح لقاتله ولكن كيف ؟ لم نجد تفسيرا ؛ لأن الباب لا يفتح من الخارج إلا بمفتاح .. ولم يثبت أن أحدهم استخدم مفتاحا إلا إذا فتح هو للقاتل وخدره القاتل .. لكن ليس هناك مقاومة .. لأن الرجل طلب النجدة من الطبيب جادور

ثم سكت الاتصال .. حققنا مع الجميع وشددنا مع الحارس الذي عرف الحجرة التي كان فيها السيد بسيم .. والاعتراف فيه إدانة وفيه براءة ؛ ولكن لم تنقص عهدة الرصاص التي لديه ، ولم يستخدم سلاحه منذ عهد بعيد .. في القصر نظام حراسة معقد وجيد هل اطلعتم عليه ؟

رد حاتم : سمعنا عنه ولم نختبره ؛لأننا لم نزر القصر إلا مرة واحدة .

ـ في الطابق الأول هناك غرفة الحراسة والمراقبة الرئيسية حيث يرى الجالس فيها مدخل القصر وحارس البوابة وتشاهد الفضاء من الجهة الأمامية .. وفيها مقربات تلسكوبات .. ومنها تشغل أجهزة الإنذار المنتشرة على السور ، ولديهم آلات صعق تعمل حسب الطلب ففي لحظات يتحول السلك في أعلى السور إلى أداة صعق بالكهرباء القوية .. ويقوم على الحراسة خمسة أفراد من جنسيات خمس .. يتبادل الحراسة على البوابة الرئيسة يوميا ثلاثة أفراد من السابعة صباحا وحتى السابعة مساء .. وترتيب عملهم مع السكرتير الهندي ويقضي الاثنان الباقيان اليوم بدون عمل رسمي داخل القصر .. فيجلس أحد الثلاثة في غرفة التحكم بالبوابة الرئيسية في الطابق الأول فإذا أشار له البواب بفتح البوابة فتح البوابة الأولى فقط ، وهناك زر يضغط عليه البواب مع إشارة بيده .. فيرتفع صوت منبه في الغرفة .. فيفتح للداخل أو الخارج .. وهؤلاء يتبادلون العمل بين البوابة والمراقب .. وفي الساعة التاسعة ليلا في فصل الشتاء والعاشرة صيفا يعزل كل طابق عن الأخر هيدروليكيا ميكانيكيا ، ولا يسمح لعامل أو موظف أن ينتقل لطابق أعلى بدون علم السكرتير أو يكون مكلفا بمهمة صيانة تنظيف خدمة للسيد .. فتنقل الأفراد في الطابق الأول في الأماكن المخصصة لهم وأماكن العمل ويسمح لهم بالذهاب للبستان واللعب في مؤخرة القصر .. وإذا احتاج السيد شخصا بعد إغلاق الطوابق على ساكنيها فيكون عن طريق المصعد وبعلم السكرتير والحرس ، فيشغل المصعد عن طريق غرفة السيطرة فيصعد الخادم الخاص .. فالجريمة محبوكة ومخطط لها من زمن ورغم تحقيقنا مع كل أفراد القصر وسؤالهم لم نستطع اتهام أي شخص منهم ولا حتى الاشتباه بشخص معين لعدم وجود أدلة مادية .. فالكل مشتبه به والكل غير مشتبه به ، والحارس الإفريقي لو كان قاتلا لما دلنا على مكان

رؤيته الرجل ..لم يتردد بتقديم شهادته وكان من الطبيعي أن يصعد لسطح القصر فذلك من ضمن أعمالهم الروتينية القيام بجولة سريعة من على ظهر القصر قبل إغلاق الأبواب على سكان القصر ليلا ، وحارس البوابة الرئيسية بعد السابعة يصعد لغرفة المراقبة ويقتسمون ساعات الليل ، ولديهم تلفزيون فيها كسائر الغرف الموزعة على العمال وزوجاتهم .. بل في كل غرفة تلفزيون وفيديو وأشرطة فيديو حسب بلدانهم .. المهم رغم بحثنا ونظرنا في الوجوه والناس عجزنا عن تحديد شخصية القاتل من بينهم ، لم يدل أي أحد بشهادة تتهم أحدا .. ومن اليقين في نظرنا أن الجريمة أو قل منفذها من داخل المكان .. واحد أو أكثر لسنا ندري ، وكلهم يسكن في الطابق الأول ما عدا السكرتير وزوجته يسكنون في الطابق الثاني .

اثنى الضابطان على زميليهم خير الثناء وطلبوا لقاء الطبيب الشرعي .

وقال حاتم : وسنقابل الطبيب جادور الذي وصل لمسرح الجريمة أولا

فقال مرزوق شارحا : هو تحدث عن اتصال من الرجل المقتول قبل مقتله .. وثبت لدينا صحة هذا الاتصال وأن مصدره القصر وأن الرجل يطلب المساعدة .. وفهم الدكتور أنها مساعدة طبية ، ولم يتحدث عن نجدة وجريمة .

رحب الدكتور جادور بالعقيد حاتم والمقدم مالح وكان لقاؤهم بعد تلبية دعوة الغداء التي دعاهم إليها المحامي عبد الحي حمدان ، فقال الطبيب بحماس بين : لقد سررت جدا لما علمت بأن التحقيق سيتجدد في قضية موت السيد بسيم الجدية ـ رحمه الله تعالى ـ هذه الجريمة الغامضة وكيف حصل الاختراق القاتل ؟ .. فلما حدثني مدير أمن جاد بأنك راغب باللقاء بي أصابني الحبور .. فهذا الرجل الباسل لا يجب أن يفلت قاتله من العدالة الدنيوية .. فمرحبا بكم .. فالرجل عزيز عليّ ..

وقدمت لهم القهوة الترحيبية والماء البارد ، ولما ابتعد خادم الدكتور في عيادته في مجمعه الطبي في جاد قال الطبيب : ما المطلوب مني ؟

قال حاتم : نحن قرأنا أقوالك في محضر البوليس ، وأن السيد بسيما اتصل بك طالبا مساعدتك

لألم ألم به ، وأن صوته بدا لك مخنوقا ضعيفا .. أتذكر اليوم شيئا يا سيدي عن تلك اللحظة الدقيقة ؟

بعد صمت وتفكير قال جادور : مكالمة لا تنسى ، اتصل الرجل بي على رقم البيت وهو المستخدم نادرا بيننا .. وهذا يدل على أن الرجل كان واعيا ؛ ولكن بدا لي صوته مخنوقا مبحوحا وضعيفا يا دكتور جادور إني متعب أسرع إليّ ، إنني أموت أنا بسيم بهذا المعنى وانقطع الاتصال ، ولم أسمع صوت رصاص تلك اللحظة .

وضعت السماعة وأدركت أن الرجل مريض جدا ، وكانت هذه أقصر مكالمة بيننا .. عادة نتحدث ، ويذكر لي متاعبه حتى آخذ معي بعض الأدوية التي قد تنفعه .. لم يخطر في بالي القتل والاغتيال رغم أنه كان يتحدث عن ذلك في بعض الأحيان أما أن يحدث ذلك في القصر لم أكن أتصوره أيها السادة الكرام !!

وبعد صمت تابع فقال : اتصلت بالدكتور (حازم صنو) طبيب يعمل معي في هذا المجمع .. والممرضة اعتذرت لانشغالها بمرض والدتها أو والدها .. وذهبت لنقطة الشرطة ، ولما وافق شرطي على مصاحبتنا انطلقنا بسيارتي .. وكان بين الاتصال وبين وصولنا القصر حوالي ساعتين ، ولما علمت السكرتيرة الهندية غرضنا تعجبت أولا ، وأخبرتنا أن السيد لم يتحدث معها معلما لهم بطلب الطبيب ؛ ليستعدوا لاستقباله لفتح البوابة ومراقبة الطريق من قبل الحراس ، فحدث ارتباك واضطراب ، واتصلت الفتاة من مكتبها في الطابق الأول ، والرجل لا يعرف أحد أين يقضي ليلته ؟وذلك على مدار الأيام .. فالتلفون يرن في كل حجرات النوم المخصصة له في جميع الطوابق .. وهواتف غرف الموظفين تستقبل وترسل عن طريق السنترال الموجود في غرفة أو مكتب السكرتير والسكرتيرة .. لم يرد بالطبع السيد بسيم لوفاته، ولا يوجد كاميرات في الغرف أضيفت بعض الكاميرات منذ عهد قريب من موته لمراقبة الممرات والبوابة الخارجية وتصوير الداخل والخارج ، والمسؤول عن متابعة الكاميرات وكل نظام الحماية السكرتير مايا وزوجته رامان ، فهم أعرف الناس بذلك النظام المعقد داخل القصر وخارجه ، وبينما نحن نبحث عن

طريقة لمعرفة مكان السيد بعدما علمنا أنه تعشى في الطابق الثالث وشرب شايه فيه .. تحدث الحارس الإفريقي أنه رآه يدخل حجرة قرب مكتبة الطابق الثالث ، وذلك أثناء عودته من تفقد السطح وإلقاء نظرة على الصحراء المحيطة بالقصر كان يهبط عن السطح متجها للمصعد فرأى السيد يدخل الغرفة المجاورة للمكتبة ، وهو عادة يصلي فيها عندما يكون في الطابق الثالث قرب المكتبة فحياه بابتسامة وركب المصعد ، ولم ير أحدا في ذلك الطابق سوى السيد .. فأخذت السكرتيرة المفاتيح وصعدنا مسرعين للطابق الثالث ، ووجدنا الغرفة مغلقة ففتحتها السكرتيرة المدربة ودخلت وأضاءت النور .. وكلنا متوجس خيفة يا سادة من تلفونه المختصر بي ، ومن عدم اتصاله بالسكرتيرة لتخبر الحرس بمجيئ وأنه طلب الطبيب ، وأيضا عدم رده على تلفون القصر زاد القلق في نفسي ..وقع في نفسي أنه في غيبوبة وربما الموت الطبيعي .. ولم يخطر في بالي الاغتيال والقتل أضيئت الحجرة .. ولما نظرت للسرير ظننته للوهلة الأولى نائما .. ثم لمحت الدماء فصرخت صرخة مكتومة وقالت : دماء وهي تشير لوجهه !.. كان يضع على منضدة كتاب عن تاريخ المسلمين في الأندلس نسيت عنوان الكتاب .. وكان بجوار الكتاب كوب عصير فارغ أو ربما ماء .. ونافذة الغرفة مفتوحة وألقيت أنا وزميلي نظرة سريعة عليه ، فكان ميتا فاتصلنا بدائرة الشرطة في جاد ، وجلسنا أمام الغرفة ننتظر قدوم شرطة التحقيق ، وطلبت لنا السكرتيرة شايا ، وأمرت بعدم إغلاق أبواب الطوابق ؛ لأن وقت الإغلاق لم يحن بعد ، ففي فصل الشتاء تنعزل الطوابق في التاسعة ليلا ويصبح السيد وحيدا ، وكان مقتله في فصل الشتاء عام ٩٥ أو قل في الخريف تشرين الثاني / نوفمبر .. حقيقة كنت حزينا للغاية ، وربما ذرفت بعض الدموع ألما وتنفيسا ؛ ولكني أقول إن الخائن لابد أن يكون من سكان القصر ، وله معرفة في تفاصيل ونظام الحماية في القصر ، وله معرفة بالثغرات الأمنية .. وحسب الطب الشرعي وفحص المكان والجثة أن الرجل استنشق غازا مخدرا .. فلما أحس وشعر بالضيق اتصل بي ظانا أنه مريض ، ولم يخطر بباله أنه يخدر لاستبعاد ذلك من فكره وعقله ، وخاصة في قصره المحصن وأن يغدر به أحد العاملين معه لطول العشرة بهؤلاء العمال والخدم ، وكذلك أخبرت السكرتيرة

قلة اختلاط الرجل بالكثير منهم رجالا ونساء ، وربما لا يعرف الكثير منهم شخصيا ، إنهم يتعاملون مع السكرتاريا ، وكما قيل لا ينفع حذر من قدر .. فدس عليه خائن أو أكثر وصبروا حتى وثق بهم السكرتير وزوجته فغدروا به .. وبالنسبة للنافذة المفتوحة في حجرة الموت في فصل الخريف وفي الصحراء فبعد التشريح فُهم لي ولغيري سبب فتحها هي ونافذة أخرى في ردهة مجاورة للغرفة التي اغتيل فيها .. فُهم أنها فتحت ليزول أثر المخدر الغازي من الغرفة بهواء طارد أو ربما استخدمت لإدخال الغاز المخدر .. والراجح أنه فتحت بعد الجريمة لطرد رائحة الغاز ، ولم يستطع الطبيب الشرعي والمختبر تحديد نوع الغاز المستعمل بدقة ، وجدت بقايا منه في الرئة أدت إلى إضعاف الرجل وشله .. استطاع القاتل قتله بدون مقاومة كان مخدرا ولكن من فتح له الباب؟ لا ندري .

فقال مالح : هل مع القاتل مفتاح ؟ !وكيف عرف أنه في هذه الغرفة بالذات ؟!

قال جادور : تابعت التحقيق مع رجال الشرطة .. فهناك أشياء محيرة .. فالسكرتيرة الهندية كانت مثلنا في دهشة وحيرة وذهول وخوف.. والتحقيقات لم تثبت شبهة على أحد من أهل القصر ، ومع ذلك يجب أن يكون القاتل من الداخل لصعوبة دخول غريب القصر ، ويعرف ترتيبات الأمن والحماية ، ويصل للرجل ويفتح الغرفة ويغتاله .. أسيادي في الداخل قاتل ذكي من هو ؟ من هو ؟ كم أنا محب ومتشوق لأن أعرفه ؟! .. أرجو أرجو من الله تعالى أن توفقوا في معرفته وتقديمه للعدالة والقانون .. فصاحبنا بسيم يستحق منا ذلك رحمك الله أيها السيد بسيم .

١٩

رتب العقيد حاتم والمقدم مالح مع مدير أمن جاد أن يقدم لهما مجموعة من أفراد الشرطة لمرافقتهم إلى القصر الصحراوي ؛ لإحداث الرعب في نفس أو نفوس الجناة ، فاستجاب المدير لذلك ، وكلف سيارة نجدة لمرافقتهم ومجموعة مسلحة من دوريات الأمن ، ولما وصلوا للقصر بعد حين فتح لهم الحارس البوابة ، واستقبلهم السكرتير مايا ورامان زوجته ـ وقد كانا على علم بمجيئهم ـ وانتشر الشرطة على باب قاعة الطيور ومداخل الطابق الأول بأسلحتهم ، ووقفت سيارة عند بوابة القصر ، وكان العقيد ليلة أمس طلب من السكرتير إخبار الموظفين بفتح التحقيق من جديد لإغلاق ملف القضية ، وأن الشرطة مصرة وعازمة على اكتشاف الجاني وفي غرفة في الطابق الأول أعدت للتحقيق وقف أمامها شرطيان بلباسهما الرسمي ، وأسلحتهم الألية ، وجلس فيها العقيد حاتم ومساعده مالح والكاتب محمد والمترجمون الثلاثة وفنيو التسجيل ، وقائد فصيل الشرطة المرافقة والسكرتير مايا فقال العقيد : سنبدأ بالحديث معك يا سيد مايا . فجلس مايا على مقعد مقابل لحاتم وقال : تفضل يا سيدي إني أحسن العربية .. وكان موته صاعقة بالنسبة لي ، وتمنيت لو لم أسافر تلك الأيام .

قال العقيد : كيف التقيت بالسيد بسيم الجدية ؟

سكت لحظات وتردد في الإجابة أو كان يفكر ، ثم قال له حاتم : أنت من القارة الهندية .. العمر ٥٣ .. هكذا يقول جواز سفرك الموجود لدى المحامي داود .. ولك أكثر من عشرين سنة تعمل مع السيد بسيم !

وكان العقيد يقرأ من كشف أعده له المحامي داود محمد قبل أن يغادره لجاد ، وقد أشرنا إليه سابقا .

ترك مايا السيجارة على منفضة السجائر وقال بحزن ظاهر للرائي : اعلم سيدي الضابط أن المجرم حقق جريمته وأنا في إجازة ، وندمت أشد الندم ؛ لأننا كنا على علم بخطر محدق بالسيد لكن موت أبي في الهند دفعني للسفر لترتيب أمر الأسرة ، فاستغل المتآمرون غيابي ونفذوا مأربهم

وأنا متأكد أن بيننا قاتل.. ولكن ظهور حكاية الكنز المخفي في هذا القصر وعدم بيع القصر حتى يظهر الكنز هي التي أثبتت أن القاتل موجود بيننا .. كانوا يظنون أنه بعد مقتل الرجل سيمكث القاتل الخفي شهرا شهورا ، ثم يقوم الوارث بالتخلص من القصر والتخلص من موظفي القصر ، فلم يعد لنا فائدة بعد الفشل في حماية السيد الكبير .. وأنا حاولت منذ عدت بالوصول للقاتل فلم أصل لشيء ..ولكن القاتل المنفذ للجريمة له أسياد في الخارج ، وأرى أنهم يسكنون في جاد أو يترددون عليها ، وأعتقد أن الآمر للجريمة من خارج البلاد .. دعني أشرح لكم نظام الحراسة والأمن في هذا القصر قبل أن أتحدث عن معرفتي وصلتي بالسيد الكبير لتعلموا أن الاختراق أمر ليس بالهين .

ـ تفضل يا مايا نحن مهمتنا الاستماع فكلامك جميل ومهم .

قال مايا بعد تنفسه العميق : السور الخارجي المحيط بجميع القصر بناء وبستانا مرتفع كما شاهدتم في الزيارة الأولى ، والأضواء الكاشفة المنتشرة والقائمة عليه قوية تكاد تضيء الصحراء بالليل ، ولا تعتمد على مصدر طاقة واحد إذا تعطل أحدها لا تتعطل كلها ، فحتى البستان يبدو نهارا في الليل ، فلا يمكن لشخص أن يتسلق الأسوار ويدخل دون أن يكشف والسور عليه أجهزة إنذار سرية من أفضل الأجهزة في العالم ، وحُدث الكثير منها من سنوات قليلة قد مضت والسور الداخلي مرتفع وإن كان أقل ارتفاعا من الخارجي ، وهو الآخر عليه نقاط إضاءة حادة ونقاط إنذار ، فلو وقف عليهما طائر تضيء الأجهزة في غرفة التحكم والسيطرة المتطورة باستمرار.. ولقد ألقيتم نظرة عليها سابقا .

ـ نعم يا مايا

ـ خط الدفاع الأول البوابة وهي ضد الرصاص ، وبعض القنابل اليدوية ، وتفتح من غرفة السيطرة أوتوماتيكيا بالتيار الكهربائي .. لا يمكن لحارس البوابة فتحها باليد .. والأسوار عند الحاجة مكهربة تصعق كل كائن حي ، وكذلك البوابات تصبح مكهربة عند الاضطرار والحاجة الخطيرة .. ولدينا حراس خمسة من جنسيات خمس يتناوبون على البوابة الرئيسية ولا

منفذ للقصر إلا منها .. وفي الليل يتناوبون على غرفة السيطرة ، وإذا احتجنا لفتح البوابة لطارق يوقظ أحدهم حسب النظام لفتح البوابة .. لا تترك غرفة السيطرة بدون حارس منهم حتى ولو أراد الذهاب للمرحاض أو الطعام يجب أن يبقى واحد فيها .. ويسمح له فيها بمشاهدة التلفزيون والدخان إن كان من المدخنين .. ومنذ أنشئ هذا القصر حقيقة لم تختبر فعليا هذه الإجراءات .. لأن وصول الأجانب إلى هذه الصحراء أمر صعب ؛ ولكنه غير معجز ..ونحن كل ستة أشهر نجري تمرينا وتدريبا لهذه الأجهزة والأدوات .. ويعمل في اليوم الواحد ثلاثة حراس واثنان لهما استراحة كاملة داخل القصر أو خارجه ، والذي يحرس عند البوابة له النوم داخل كوخه أو غرفة البوابة ولديه جهاز تلفزيون للتسلية ، أما في غرفة السيطرة فممنوع للمكلف بالحراسة والمراقبة النوم ؛ لأنه هو الأصل فإذا رأى شيئا يقترب من القصر ضغط زرا لتنبيه الحارس للبوابة فيتلقى إشارة أنه مستيقظ ، وإذا كان نائما استخدم لتنبيهه جرسا صوتيا مزعجا ..فيستيقظ ويعطي الإشارة ويستعد لفتح البوابة .. فيراعى في النظام الحاجات الإنسانية البدنية .. وتراعى مصلحة السيد في الحماية والحراسة .

ـ تابع أيها السيد .

ـ عندنا أبراج على سطح البنيان لا تستخدم ولا يوجد فيها حراسة ؛ لأننا بصراحة لم نحتاج إليها يوما .. ويصعد أحد الحرس يوميا يتفقد السطح وحول القصر من الأعلى .. ويخلي السطح من أفراد القصر إذا كان أحدهم في الأعلى ، ويتفقد الأبراج وخلوها ممن يختفي فيها .. ومعه جهاز متصل بغرفة السيطرة إذا واجه شيئا عليه أن يستخدمه لإرسال إشارة سريعة أن هناك خطرا .. ولما ينته التفتيش يغلق باب السطح بمفتاح خاص يكون مع الحارس ، وهو يغلق آليا عند الاضطرار .. لأن السيد يسمح لسكان القصر بالصعود لظهر المكان خلال ساعات النهار وعلى السطح خزانات مياه تحتاج لتفقد وصيانة وكذلك شبكات التلفزيون والأطباق الفضائية في الفترة الأخيرة .. وعلى ظهر القصر مقراب لمراقبة الصحراء عند الضرورة .. واعلم أن كل طابق في وقت محدد كل ليلة يغلق ويعزل عن الطوابق العليا الأخرى ، وقاعة الطيور والطابق

الأرضي لا يسمح لأحد بدخولهما إلا لضيوف القصر .. وهما مغلقان باستمرار إلا عند التنظيف والحاجة .. وأبواب الطوابق مصفحة ضد الرصاص والمصعد عند إغلاق أبواب الطوابق يتوقف عن العمل البتة ، وتفصل عنه الطاقة الكهربائية من حجرة السيطرة والتحكم .. فكل ساكن يبقى في طابقه حتى أنا وزوجتي ننعزل في الطابق الثاني ، لأننا الوحيدون من نعيش فيه ، وأيضا ممنوع عليهم الصعود للطوابق العليا بدون عمل معين ؛ ولكن ضبط ذلك فيه مشقة بسبب أنه يصعد البعض للنظافة لخدمة السيد لتوصيل شيء لغرفة لطلب شيء من السيد مباشرة ..وهذه أضعف نقاط الحماية في القصر ؛ لأن المهام تختلط لحاجة القصر إلى نظافة متكررة فنرسل عددا من العمال فربما يلحق بهم آخرون لمساعدة من يحتاجهم ، وعادة مثل هذه الأعمال تكون في الصباح حتى فترة الظهر لكن عند إغلاق الأبواب لا يمكن لأحد التسلل للأعلى ، من أجل هذا أقول أن القاتل من سكان القصر وعاش بيننا للقتل ، وقتل بدم بارد ؛ لأنه عاشر الشيخ ، وأكل من طعامه ، وأخذ مالا من خزنته ، ويعرف نظام القصر الأمني أو يعرف بعضه وارتكب جريمته قبل إغلاق الأبواب .. يا سيدي المحقق عند انتهاء الدوام اليومي لهم النزول للبساتين والمسابح والألعاب .. ولكل أسرة شقة خاصة بها ، والأكل جماعي يقدم لهم في صالة الطعام في أوقات محددة ، وهنا صالة السهر واللهو ، وفي كل شقة أو جناح حمام ومطبخ صغير ويمكن للعامل أن يدخل المطبخ العام للمزيد من الطعام والشاي والقهوة والمثلجات فهو غير مغلق .. الخمر ممنوعة داخل القصر من أراد الشراب فليذهب في إجازته الأسبوعية لمدينة جاد أو غيرها ليشرب الخمر .. وممنوع إدخالها للقصر ولو سرا .

وإذا مرض شخص عليه أن يتصل بي أو بزوجتي رامان ، وأنا أقدر الحاجة إلى طبيب خارجي وربما يعطى بعض المسكنات لتخفيف الألم ، فلدينا صيدلية إسعاف أولي في الطابق الذي نجلس فيه ، يشرف عليها صيدلي من مدينة جاد يمر علينا كل نهاية شهر ليتفقدها وهو جاهز عند الطلب ، وفرنا قديما طبيبا للقصر ، ثم رأينا عدم الحاجة إليه .. لأننا عند الضرورة نطلب سيارة الإسعاف من المستشفى في جاد أو المستشفى الخاص الصغير في آخر جاد .. ولدينا مجمع الدكتور

جادور فيه قسم طوارئ صغير .

أشعل الرجل سيجارة وقال : مقتل السيد الكبير حدث في فترة غيابي أولا وثانيا في فترة لم تغلق فيها الأبواب للطوابق فيمكن للمتربص الاستفادة من ذلك .. واعلموا أن توظيف هؤلاء الأفراد ليس بالهين والسهل .. والكثير له زمن طويل معنا ..لكن النفوس تتغير وتشترى .. الآن سأتكلم عن نفسي وعلاقتي بالسيد بسيم الجدية .. السيد الكبير كما تعلمون من كبار تجار السلاح في العالم ، وهو ضمن شركات خاصة بهذه التجارة أي لا يعمل بمفرده والحروب هي مصدر ثروتهم وتجارتهم ؛ ربما يبيعون للطرفين المتقاتلين ؛ لأن العواطف والانحياز لا يجب أن يدخل في عملهم .. فهم لهم علاقات تجارية مع كبرى شركات إنتاج الأسلحة والرصاص والقنابل والألغام والصواريخ وحتى الطائرات الحربية تجارة كغيرها من التجارة ، وإن تديرها دول وتشرف عليها لكن هناك شركات ومصانع ليس لها ارتباط بدول ، فالرجل له علاقات بعصابات دولية تتجر بالذخيرة والرشاشات وغيرها من قطع الغيار ، وحتى عصابات المخدرات تتقاطع مصالحها مع تجار السلاح ؛ لأن بعض الدول والمتمردين يدفعون ثمن السلاح من أموال المخدرات ؛لأنهم ليسوا دولا عندهم ضرائب وميزانيات ، تجارة السلاح إجمالا معقدة وفيها سماسرة كثر .. وله شركاء في الهند مسقط رأسي أنا ، والهند بعد الحرب العالمية الثانية كانت بؤرة حرب وقتال خاصة بعد خروج الإنجليز المستعمرين وتقسيم البلاد إلى دويلات مثل الباكستان .. فكانت بلادنا بؤرة صراع دولي ، ثم ظهرت دولة بنغلاديش للعيان ونيبال وسيرلانكا وكشمير .. فهي مرتع خصب لتجار وسماسرة الأسلحة .. قرأت مرة إعلانا في جريدة هندية عن طلب رجل أعمال لسكرتير وكنت أعمل سكرتيرا في شركة هندية خاصة ، فقابلت الرجل بسيم الجدية وهو يجيد الحديث والحوار باللغة الإنجليزية رغم أنه لم يدرس في جامعة ؛ لكن الحياة علمته ذلك ، ووقع عليّ الاختيار ، وفهمت ووعيت طبيعة العمل والأخطار المحدقة بي وبعملي ، وبعد تردد وافقت على العمل وقدمت استقالتي من شركة بلدي.. فالأجر كان كبيرا في شركة السيد بسيم وشركائه ، وعلمت أن عملي سيكون عمل سكرتير خاص

بالرجل ، وإن كان راتبي سآخذه من الشركة القابعة في الهند ، وعلمت منه أن حركته دائمة ، فصرت أتنقل معه عبر قارات العالم يوما في البرازيل حيث لهم مجموعة من الشركات والأسماء التجارية ؛ ربما تكون الشركة مسجلة لتجارة الدقيق أو الحليب وهي تتاجر بالأسلحة، فيكون الحليب أسلحة والدقيق أسلحة .. ويوما آخر في فرنسا خاصة أيام حرب فيتنام الفرنسية .. ويوما في دولة عربية .. ولما كان يأتي لهذا البلد كان يسمح لي بزيارة أهلي وزوجتي ، لقد كان لي زوجة قبل هذه التي معي هنا ؛ ولكنها ماتت في فيضان أصاب منطقتنا في بلادنا الكبيرة كما تعلمون .. وأما زوجتي رامان فقد تزوجتها منذ سنوات قليلة ، فهي فتاة متعلمة في الجامعة وجيدة .. فهذه بداياتي مع الشيخ الكبير بسيم الجدية رحمه الله الرحمة الكبيرة .. أما عن استقراري في هذه المدينة والبلاد فخيرني الرجل بين البقاء والاستقالة فآثرت مرافقته إلى الأبد ، فقد كان الرجل كريما معي ، وأعرف الخطر المحدق به من الأصدقاء والأعداء خاصة بعدما نجا من حادث تفجير رهيب قبل سنوات من موته .

فقال العقيد : أتشك في أحد معين يا مايا ؟

ـ حقيقة أشك في كل موظف يعمل معنا من أمريكا اللاتينية .. فهم الأكثر عداء للرجل أقصد عصابات تلك البلاد ، ولديهم غريزة الحقد والانتقام والثأر ، وله أعداء أشداء من عصابات المخدرات والتهريب .. فأمريكا بجبروتها العالمي عاجزة على القضاء على عصابات المخدرات والمهربين الزاحفين من المكسيك وكولومبيا ، وقد خطفوا ابنة له قديما في البرازيل ، وعمرها عشر سنوات للمساومة ولم يفلحوا في ذلك ، وقيل إن أحدهم تزوجها أحد أفراد العصابات أما أحد معين لا أستطيع ذلك أيها السادة صدقوا أنني بعد عودتي حاولت أن أجعل من نفسي مخبرا سريا فلم أنجح ، وأنا على استعداد للتعاون الكامل .

ـ وباقي الموظفين كيف تختارونهم ؟

ـ كلهم أجانب بالنسبة لهذا البلد ، وهم من عدة جنسيات .. التنوع من وسائل الحماية وعدم الاختراق للقصر ، وثانيا ليبق هؤلاء في القصر على طول أو أغلب أيام السنة .. فالمواطن المحلي

سيصعب عليه البقاء هنا باستمرار .. له أهل وأقارب وزيارات .. قضية أمنية حسب علمي .. فهؤلاء ستبقى حركتهم قليلة .. هذه وجهة نظره يا سيدي .. وتنوعهم يصعب عملية التواطؤ عليه .. فالحراس الخمسة من بلاد خمس ، أحدهم برازيلي والثاني بوليفي والثالث من فيتنام والرابع من الباكستان والخامس من أفريقيا .. لغاتهم مختلفة لا يفهمون على بعض إلا بلغة وسيطة كالإنجليزية مثلا .. فهذا في رأيه يضعف تآمرهم وخيانتهم .. وهكذا سائر الموظفين في القصر .

فقال العقيد مبتسما : وهذا خط دفاع آخر !

فقال الهندي مايا بحزن وأسف : ومع ذلك أيها السادة وصلوا إليه .. وأنا مثلكم متلهف لمعرفة اليد الآثمة الجبانة الغادرة مع يقيني أن العقل المدبر لهذه الجريمة من خارج القصر ؛ وربما يجلس الآن مع عشيقته في بلاده يحدث الناس عن انتصاره واغتياله لخصم له .. وهم أغروا القاتل بفعلته ونجاته ، وأن القصر سيغلق بعد الجريمة بأيام ، وربما أشهر ..وسينتهي بسيم الجدية من التاريخ .. ومع ظهور الكنز وبقاء القصر انحشر الجاني ، واضطر للصمت حتى لا يكتشف .. ولا أحد طلب طلب إخلاء حتى لا يشتبه به.

٢٠

استطاع العقيد حاتم إثارة الرعب والقلق في نفوس العاملين في قصر السيد بسيم بإظهار الشرطة المسلحة والإيحاء بأن الشرطة عازمة ومصممة على معرفة الجاني الخائن الغادر رغم مرور ما يقارب السنتين على الجريمة .

استدعيت رامان زوج مايا بعد مغادرة مايا للاستجواب ، وبعد الترحيب وقرأ العقيد المعلومات الموجودة في الكشف المعد بأسماء ووظائف سكان القصر ، ذكرت أنها التحقت بالعمل في القصر بعد اقترانها بمايا في أثناء إحدى إجازاته ، التقيا في مناسبة زواج عن طريق قريبة له ، ثم تزوجا ، وجاء بها إلى القصر بعد موافقة السيد الكبير ، وهي متعلمة ومتخرجة من قسم إدارة الأعمال ، وذكرت أنها لم تأخذ إجازة خارج القطر منذ التحقت بالعمل ، ولها طفل واحد ، وذكرت نشاطها ليلة الحادث فقالت : كانت الأمور تسير كالمعتاد ، لم ألحظ شيئا متغيرا خلال النهار عما ألفناه .. كل شخص في موقعه ، وتحدث معي السيد في فترة الصباح على الهاتف وسألني عن وضع القصر ، فقلت له كل شيء على ما يرام .. لم يشكُ مرضا ، ولا ألما .. وتابعت نشاطي المكتبي كسائر الأيام ، ومررت على المطبخ وتحدثت مع الطهاة ، ودخلت غرفة التحكم المجاورة لمكتبي أنا وزوجي ، وتحدثت مع الحرس .. وتابعت شغل الخدم في تنظيف الطابق الأول والثاني الغرف المفتوحة طبعا كقاعة الاجتماعات والمحاضرات والمكتبة .. فالمكتبات لا تغلق أبوابها حتى مكتبة الطابق الأول الرئيسية ، ويسمح لمن يرغب بالقراءة الجلوس فيها ، وبعد العصر زرت البستان ورأيت عددا لا بأس به من الموظفين هناك وعدت لمكتبي ، وكنت أقرأ في كتاب عن إندونيسيا أكثر دولة فيها مسلمون ، وصدمت عندما تحدث معي الحرس عن قدوم الطبيب ، وكنا قرب الساعة الثامنة إلا ربع مساء ، فالسيد لم يتحدث معي عن طلبه الطبيب ؛ ولكنه في العادة عندما لم يكن مايا في القصر يستخدم الهاتف المباشر {دايركت} يستغني عن المقسم في اتصالاته الطبية ، فتركت المكتب ونزلت حيث البوابة ـ وكان الحارس يفتح لهم الباب بعد موافقتي على فتحها قبل الهبوط للبوابة ـ فلم يخبرني السيد باستدعاء

الطبيب ، وأنا لم أعلم بمرض أحد ذلك النهار وأول ذلك الليل .. فنحن لم نطلب طبيبا وعادة استدعاء الطبيب من ضمن عملي أنا ومايا ..قمنا باللازم اتصلت بغرف النوم الخاصة بالسيد لنعرف في أي غرفة هو موجود ، فلم نتلقَ ردا ، فزاد رعبي ووقع في قلبي موت الرجل بسبب الشيخوخة والهرم ، فتكلمت مع الحرس عن رؤيتهم للسيد مساء اليوم فأخبرني أحدهم عن رؤيته له وهو يغادر السطح ، وكنت سأطلب منهم جلب خادمه الخاص لي ـ والخادم بعد أن يتعشى السيد لا يعرف أين يبات السيد ؟ عندما يحتاجه يضغط على جهاز خاص بينهما ، فيذكر له أين هو ؟ لكن الحارس الإفريقي سينكالا كامارا اختصر الخطوة ، وذكر أنا رآه عندما كان يفتش السطح ويغلق بابه .. رآه في غرفة بجوار مكتبة الطابق الثالث ، فأخذت مفاتيح غرف الطابق الثالث كلها ، وركبنا المصعد والخوف والقلق على حياة السيد ينتابني .. وصلنا الغرفة حركت أكرة الباب فكان مغلقا ، فتحت الباب بالمفاتيح التي حملتها معي ، أضاءت النور والتفت نحو السرير ، وكانت الصاعقة .. الرجل كأنه نائم ؛ ولكنّ الدم يملأ وجه وسريره ، وقام الدكتور جادور بالواجب الطبي ، ثم تحدث مع البوليس المحلي ، وبعد ساعات كان المكان يمتلأ برجال الأمن والبوليس ، وانتشر خبر مقتل السيد في القصر ، وبدأ التصوير والتحقيق الأولي .. وقمت أنا بالاتصال بهايا ناقلا له الخبر ومعزيا ، وأعطيت الشرطة هاتف المحاميين داود وحمدان وهاتف السيد أديب حفيد الرجل ، وكنا قد أغلقنا الطابق الأول والثاني فور اكتشاف الجريمة .

فقال العقيد : إذن اتصال السيد بسيم بجادور لم يتم عبر مقسم القصر .

ردت رامان: لدى السيد خط هاتف لا يمر عبر المقسم ؛ لذلك تجدون في بعض الغرف أكثر من هاتف متجاورين ..فالسيد يحب أن يتصل أحيانا دون المقسم الداخلي زيادة في الأمان والسرية ومكالمات سكان القصر كلهم ما عدا السيد تمر عبر مقسم القصر الموجود في مكتب السكرتاريا بجوار غرفة السيطرة ، ونستقبل الاتصالات الخارجية عن طريق المقسم خاصة لموظفي القصر وتسجل المكالمات كلها ما عدا مكالمات خط السيد الخاص وهناك إجراءات أمنية أخرى تتبع

ـ أتشكين يا سيدة رامان بشخص معين ؟

ـ أغلب سكان القصر من قدامى العاملين .. فبعضهم منذ أنشئ القصر ، وبعضهم له أكثر من عشر سنوات ، وأقلهم ثلاث سنوات قبل ليلة الجريمة ، فالحارس الإفريقي عند الحادث كان له في الخدمة تقريبا ثلاث سنوات ؛ ولكنه عمل حارسا للسيد الكبير في أحد بلدان أفريقيا ، وكان يعمل هنا قبله حارس أفريقي ، فلما مات أثناء إجازة في بلده ، أحضر سينكالا كامارا للعمل مكانه أو نقل للعمل هنا ، وأذكر أيضا أن ابنة رجل الكوي والغسيل (ماريانا توماس برينو) التحقت بنا هنا منذ ثلاث سنوات ، الشابة الصغيرة عندما انتهت من جامعتها ، ووافق السيد على عملها مع أمها وأبيها في القصر قل حالة إنسانية خاصة ، وهناك السائق الهندي {بكار} له ثلاث سنوات أيضا عند وقت الحادث .. فهؤلاء أقل الناس خدمة وعملا هنا .. فالكوى {توماس} وزوجته يعملان في القصر منذ بني القصر ، وقبل سنوات تعلقت ابنته المتخرجة من الجامعة بالمخدرات ، ولما كانوا في زيارة لبلدهم ورأوا حالها ترجوا السيد أن يسمح لها بالبقاء معهم ، فجاءت وأرسلها لمركز علاج الإدمان بضعة شهور ثم ألحقها بالعمل مع والديها في غرفة الغسيل والكوي ، وهي دائما كئيبة وحزينة ، وتدخن بشراهة وكثرة ، وتصرف كل دخلها على الشراب والدخان ، وحاولت إدخال الخمر على القصر ، فرفض السيد ذلك ؛ فلذلك تخرج كل أسبوع للعاصمة أو جاد لشرب الخمر ؛ وربما تعاطي المخدرات ولا أدري كيف تحصل عليها ؟! وعندنا نظام رحلات ونزهات للموظفين والعاملين معنا ، والذي يراه السيد كثير السكر فيصرفه من العمل وينهي عقده ، وكان السيد ينتظر إنهاء خدمات الكوى وزوجته بانتهاء عقدهم مع شركة الضمان الاجتماعي ليصرف الفتاة معهم .. وقد حاولت مرة إدخال المخدرات للقصر لتتعاطها .

ـ من أين تحصل عليها ؟

ـ لا أعرف بالضبط يا سيدي .. فالتفتيش عند العودة لابد منه ، كل من يخرج في رحلة في إجازة في مشوار في علاج يفتش بكل دقة عند عودته .. ممنوع إدخال مواد مسكرة ومخدرة وأسلحة

وذخيرة بأنواعها المختلفة .. ومرات نطلب رجال مكافحة المخدرات ونستعين بهم لعمل جولة في القصر .

فقال حاتم : هذه الفتاة لابد من رؤيتها لنعرف من أين تحصل على المخدرات ؟ .. فهل يسمح بخروجهم يوميا أسبوعيا ؟

قالت : إن لم يكن أحدهم مريضا يرتب لهم المحامي داود زيارات ورحلات قد تأخذ يوما أو أكثر إلى أماكن سياحية أو إلى حدائق عامة ومتنزهات .. ونسمح لهم يوم الأحد بزيارة المدينة بضع ساعات مدينة جاد طبعا .. يذهبون لمن يرغب بحافلة صغيرة تأتي من المدينة منذ الصباح وعلى التاسعة ينطلقون ،وقبل المغرب يقفلون إلا من استأذن للنزول للعاصمة على رغبته ونفقته ولا يذهب الجميع طبعا في نفس الوقت .. والكل هنا عائلات يا سيدي .

ـ هل يمكن تجنيد شخص أثناء رحلات العاملين ؟

قالت : عندما ينزلون المدينة يتفرقون ويخبرهم السائق بأن وقت العودة الساعة كذا ، ويذكر لهم مكان التجمع ، ومن يتأخر عن موعد الحافلة يعود وحده أو من معه أو ينام في المدينة على نفقته الخاصة ، ويقبل في الصباح بسيارة أجرة ، وعليه أن يتصل بالقصر مخبرا لنا بتأخره ورغبته بقضاء الليل في مكان كذا .. السيد يوم الإجازة يترك لهم الحرية في السهر واللهو .. القصر ليس سجنا .. فإمكانية تجنيد شخص واردة ؛ ولكن إدخال شيء مما سبق وذكرته لكم من الممنوعات لا يمكن إدخاله ، وإلا الحرس كلهم يتحملون المسؤولية على وجود شيء لا يسمح في وجوده .. والاتصالات كما أخبرتم تحت المراقبة وتسجل ، ورغم طول العهد كنا نتابع المهام

ـ شكرا سيدة رامان .. وعلينا أيضا مقابلة الحارس الإفريقي أيها السادة .. فهو آخر من رأى السيد حيا عدا قاتله .. لو أرسلتيه لنا من فضلك .

وجاء الحارس سينكالا كامارا وبعد جلوسه والترحيب به قال المحقق : كان دورك تلك الليلة المؤلمة على قلبك أن تتفقد السطح وتغلق الباب أليس كذلك؟

تبسم الرجل وبانت الأسنان البيضاء اللامعة وقال : نعم ، حزنت جدا لمقتل الرجل الطيب لقد

عاشرته سنوات وسنوات قبل أن أسكن معه في هذا القصر ، لقد بكيت عليه أكثر مما بكيت على أبي عندما مات ..عندما نزلت الدرج متجها للمصعد كان السيد يترك المكتبة ويدخل الغرفة المقابلة لها .. هي غرفة استراحة وقيلولة للرجل ومعدة للنوم ، فأحس بي فالتفت إليّ فأشرت بيدي للأعلى ففهم أني كنت أتفقد السطح وحول القصر من الأعلى ، وأغلقت الباب للسطح فحييته ، ورد التحية ودخل الغرفة ، وتابعت مشيي إلى المصعد ونزلت لغرفة السيطرة ووقعت على دفتر إغلاق السطح ، وجلست قليلا مع (السيدة رامان) ثم ذهبت لقاعة الطعام وطلبت عشائي .

ـ إذن تكلمت معه بالسلام.

ـ نعم يا سيدي ، ودخل الغرفة أمامي وكان طبيعيا ، لا يبدو عليه القلق والانزعاج ، وأنا أعرفه جيدا يا سيدي .. ولما جاء الطبيب جادور أصبح عندنا طوارئ كما يقال أخبرنا رامان ونزلت لاستقبال الطبيب ومعرفة سبب حضوره ، وكان أحد الزملاء نزل لفتح البوابة عندما رأينا السيارة تدخل طريق القصر أو بوابة القصر الرئيسية ، ولما علمت أنهم فشلوا بالاتصال بالسيد أخبرتهم أني رأيته في الطابق الثالث يدخل غرفة استراحة المكتبة ، وذهبوا لهناك ، وكانت المفاجأة المؤلمة كما قلتم يا سيدي .. وهذا قلته بدون تردد لرجال البوليس في التحقيق القديم .

ـ ذكرت أن الرجل كان طبيعيا كما تعودت عليه ؟

ـ أجل يا سيدي كما كنت أراه دائما.

ـ شكرا سيد كامارا

ـ عفوا سيدي .

٢١

التقى فريق التحقيق بباقي أفراد الحرس ، ولم يضف أحدهم شيئا مهما للتحقيق ، ودخل الطهاة وخدم القصر وزوجات الحرس ، كان العقيد ينظر للشخص ويقرأ المعلومات المكتوبة بالكشف عنه ، ومسماه العملي أي مهنته في القصر ، ووجد أن أغلبهم قريب من الخمسين سنة عمرا ، وطال الحديث مع الخادم الخاص الأسيوي عزيز الباكستاني الذي قال إنه ترك السيد في قاعة الطعام بعد أن قدم له العشاء الخفيف والشاي ، وبعدما انهى السيد طعامه أخذ صينية الطعام ، وترك له وعاء الشاي الساخن ترموس ونزل للعشاء في قاعة الطعام ، وبين أن السيد عندما يحتاجه شخصيا يتصل به بواسطة جهاز خاص بينهم ، وجلس في صالة الطعام يتعشى مع زوجته التي كانت تنتظره فيها ، وذكر أنه وجد في الصالة الطهاة الأربعة الرجلين وزوجاتهم ، وكان المسؤول عن الغسيل والكوي السيد توماس البرازيلي يتناول طعامه هو وزوجته أيضا دون ابنتهما فقالا إنها أكلت لقيمات وذهبت لتدخن ، وأخبر الرجل أن السيد بعد تقديم وجبة العشاء له لم يتصل به ؛ لأنه ترك الشاي عنده ، وصعق الرجل لما سمع الخبر وصدم وذرف بعض الدمع تأثرا على اغتيال الرجل ، وكان ينتظر إنهاء خدماتهم بعد انتهاء التحقيق ، لأنه لم يعد له عمل مخصص بعد موته السيد .

فقال العقيد لمن معه بعد سماع أقوال الخادم وأين كان وقت حدوث الجريمة كما بينه لهم الدكتور جادور ؟ فبعض الموظفين كانوا في قاعة الطعام يأكلون ، وبعضهم يجلس في صالة السهر يشرب القهوة والمشروبات ،وبعض آخر يجلس في غرفة التدخين يدخن : سبحان الله رغم كل الاحتياطات الأمنية والتكنولوجيا المتيسرة وصلوا للسيد بسيم !

كان العقيد حاتم يركز في السماع على تحديد مكان وجود الشخص ساعة مقتل السيد التي حصرها العقيد في وقت الاتصال بجادور بعد آذان المغرب بقليل وانقطاع المكالمة الخطيرة .

كان يتصور المحققان أن انشغال أهل القصر بوجبة العشاء عند موعد صلاة المغرب ساعد على ارتكاب الحادث ، فلما ترك الخادم الآسيوي عزيز السيد تسلل القاتل إلى أعلى ولم يلتقِ بالحارس

الإفريقي أو كان مختبئا في الطابق الثالث .. استطاع الوصول لغرفة السيد حيث دخل السيد يصلي .. استطاع إدخال الغاز للغرفة ، فتعب السيد من الرائحة فاتصل بجادور ، ودخل القاتل وتابع جريمته هكذا كان تصور المحققين للجريمة .

جاء الكوا توماس وزوجته وابنته الذي بين لهم أنه يعمل مع السيد منذ بدأ السيد توظيف الموظفين والعاملين لخدمة القصر ، وكان يبلغ الخمسين عاما عند حدوث الجريمة ، وهو من مدينة ريو البرازيلية ، وأنه عمل في شركة من شركاته في البرازيل ، وكانت الشركة تعمل في استيراد الثياب وتصديرها لدول أمريكيا اللاتينية الأخرى ، وكانت وظيفته فيها الكي والغسيل ثم تعرف على زوجته من خلال الشركة ، وهي مواطنة قدمت من ريف العاصمة وبعد حين تزوجا حسب تقاليد البلاد ، وهما من أصول هندية حمراء ، وذكر أنه قبل العمل في شركة السيد بسيم عمل في أحد فنادق العاصمة سان باولو ، وذات يوم أخبره رئيسه في العمل عن حاجة الشركة لعمال غسيل وكوي الثياب ، فانتقل إليها ، ثم جاء للعمل مع السيد في قصره النائي ، وكانوا يستوردون ملابس من أوروبا مستعملة وغير مستعملة وقال : وعلمت ـ فيما بعد ـ أن هذه التجارة واجهة لترتيب صفقات السلاح لا أدري كيف ؟ فإنما كان عملي الغسيل والكوي ولا أدري كيف كانوا يبيعون السلاح من خلال الشركة ؟ لكن كان من المعروف لي ولزوجتي أن السيد تاجر سلاح.

تابع قائلا : جئت لهنا لفترة قصيرة للتجربة ، ثم طاب لي المكث فظللت مع السيد الجدية حتى مات ، وأنتظر إنهاء خدماتي والعودة للبرازيل ، وقبل مجيء إلى هنا كان لديّ ثلاثة مواليد أكبرهم عندما جئنا كان عمره عشرين سنة ، فشل في المدرسة وترك الأسرة ، وتعلق في المخدرات تعاطيا وترويجا ، وعجزت عن معالجته فتركته لمصيره ، والبنت التي تصغره لما بلغت سن المراهقة تركت البيت للحياة مع أصدقائها في المدينة ، وكانوا أصدقاء سوء ، وأما التي أحضرتها إلى هنا للعمل مع السيد فتكفلت بها شقيقة لي ، فعاشت معها في قرية قريبة من المدينة وكنت أرسل لها المال حتى تخرجت من الجامعة ، ومع ذلك تعلقت هي الأخرى أثناء الجامعة

بالخمر والسمر والحفلات ، وقد ولدت ولادة غير شرعية من عشيق أو صديق ، وتخلى عنها الرجل فازدادت إدمانا ودخانا ، ووافق السيد على مجيئها شفقة منه علينا ، وقدم لها العلاج في هذا البلاد ؛ ولكنها للأسف ما زالت تبحث عن المخدرات وتتعاطها ، فقد تبعها بعض رفاقها إلى هنا ، وقد حاول السيد منعها من الالتقاء بهم ؛ ولكنها تستغل فترة خروجها للاجتماع بهم وكان السيد قبل موته يريد أن ينهي خدمتي حسب قانون الضمان المحلي ويصرفها ويصرفنا جميعا ، وحتى مرات فكر بطردها قبل إنهاء خدمتي لديه ، وعندما يتحدث معنا ومعها يشفق عليها وعلينا ، ويتجاهل الأمر إلى حين ظانا أنها ربما تتحسن حالتها ، وغلب على ظننا بعد وفاة الرجل أن يغلق القصر وتنتهي الأعمال ؛ ولكن بظهور الكنز المخفي وعدم معرفة الجاني تأجل الخروج والسفر .

وذكر أنه ترك غرفة الكوي في الساعة الخامسة مساء وذهب إلى مطعم القصر ، وطلب كأسا من الماء والقهوة ، ثم أخذ يستعد لتناول العشاء عندما قرع جرس حلول موعد العشاء ، فمشيت لقاعة الأكل وتناولت ما أعده لنا الطاهي (الكسندر) وأكلنا القليل من الطعام ، وتركتنا البنت وذهبنا لصالة السهر نادي القصر ، وشربنا بعض الشاي ، وتحدثنا مع بعض الموجودين ، ثم عدت وزوجتي لشقتنا في نفس الطابق ، فكل العاملين يسكنون في الطابق الأول ما عدا السكرتير وزوجته شقتهما في الطابق الثاني ، وقبل أن ننام ـ فأنا لا أحب السهر كثيرا ـ انتشر خبر مجيء الطبيب جادور إلى القصر ، ولم أكن سمعت أن أحدنا مريض ذاك النهار أو أثناء العشاء .. وعلمنا أن السيد هو الذي استدعاه فقلقنا إلى حد ما ، ثم جاء الخبر الصاعق بوجود السيد مقتولا في حجرة من حجر الطابق الثالث ، فقد قتل رميا بالرصاص .

ورددت الزوجة بحزن وضيق واضحين ما قاله الزوج عن مأساتهما في ذريتهما ، وما جرى ليلة مقتل السيد بسيم ، وتحدثت عن سعيهما بإنقاذ ابنتهما المتعلمة من براثن المخدرات ، وقبول السيد عملها معهما هنا ، وسعيه لمعالجتها في المركز الوطني لعلاج الإدمان في العاصمة بلبل خاصة بعد ولادتها سفاحا ، وذكرت لحوق رفاق السوء بها إلى هنا .

أمر العقيد حاتم بإدخال البنت (ماريانا) بعد صرف الأم بعد الأب ، فلما تأملها العقيد ظن أن عمرها قريب من الأربعين عاما سمراء هندية ، كان التعب ظاهرا عليها ، وعلامات الإدمان بادية بشكل جيد رغم علاجها الذي استمر أكثر من تسعين يوما كما يظهر ذلك في ملفها ، وكانت تلبس ملابس شبه عارية ، وكانت تتظاهر بأنها غير مبالية بالاستجواب ، وقد قبلت للعمل شفقة وعطف من السيد عليها وعلى والديها ، وكانت مأساتها واضحة على بدنها وشكلها فجلست حيث أشار لها العقيد ، وقرأ عليها اسمها وتاريخ ميلادها ومكان ولادتها ، وأنها منذ جاءت البلد لم تسافر للبرازيل ، فوافقت على كل ما قرئ عليها ، واستأذنت بتدخين سيجارة فسمح لها بذلك ، فسألها الضابط بواسطة المترجمين عن دراستها ولماذا لم تعمل في خدمة وطنها ؟ فبينت أنها عملت في مستشفى خاص ؛ ولكن بسب تعلقها بالمخدرات طردت من عملها إلا إذا تعالجت منها فيمكنها العودة لعملها ، وتحسنت صحتها إلى حد ما ، ثم اضطرت للاستسلام لعصابات المخدرات كعشيقة وكمروجة ، وسبب وقوعها في المخدرات رفاقها ذكورا وإناثا أثناء فترة الجامعة ، وأنها ولدت سفاحا قبل تخرجها من الجامعة ، وترك المولود على باب كنيسة لتخلي أبيه عنه وعنها وعدم الاعتراف به ، وأنها تكره الحياة وتحقد على الناس ، وتلعن والديها لإنجابهم لها ؛ ولكنها أمام دموع والديها في آخر زيارة لهما للبرازيل تركت الانتحار ، وأحبت أن تأخذ فرصة جديدة للحياة ، ورحبت بفكرة السفر لهذه المدينة والعلاج الذي وعدت به ، وسافرت إليهما فعلا ، وأدخلت مركز العلاج من الإدمان وتحسن وضعها بعض الشيء ؛ ولكنها التقت ببعض الزملاء الذين لحقوا بها ، وعادت تتعاطى وتتردد على أماكن بيعها الخفية في جاد أو مدن هذه البلاد ، وكذلك التقت ببعض الشباب الذي تعرفت عليهم أثناء فترة العلاج ، والتقوا بعد خروجهم ، فكانت كلما تأخذ إجازة تلتقي بهم في العاصمة أو جاد فيمدونها بالهيروين والحشيش .. كانت تتكلم بصراحة عن حياتها ؛ ولكنها لم تذكر اسما واحدا ممن يشاركونها التعاطي سواء من أبناء البلد أو رفاقها الأمريكيين ، وكانت تتخلف عدة أيام خارج القصر من أجل التعاطي والسكر ، ومرات تعود عن طريق الشرطة ،

واعترفت أنها لم تستطع التخلص من تعاطي المخدرات ، واعترفت بقضايا جنسية مع عدد من المنحرفين ممن تعرفت عليهم خلال فترة العلاج ، وفعلا كانت تقارير اطلع عليها المحققان عن سلوكها الشائن ، وهذه أيضا من الأسباب التي كانت تدفع السيد بإرجاعها لبلدها ، وكان يؤجل الأمر حتى تغادر الأسرة كلها عندما تنقضي مدة اشتراكهم في الضمان الاجتماعي المحلي وقد حاول المحققان معرفة أسماء رفاقها ، ورفضت ذكر أسماء. فقال بعد رفضها : نحن سنساعدك في التخلص من المخدرات إلى الأبد

فقالت بحدة وضيق : لا أريد التخلص منها إني أريد أن أموت .

فتبسم الموجودون من أمنيتها فتابعت بسخط : فشلت في العلاج ، وأنا أنتظر ساعة عتقنا من هذا السجن لا أدري لماذا أبقونا هنا وقد شبع الرجل موتا ؟!

ـ بقيت لأن التحقيق لم يغلق يا آنسة ، وستخرجون من هنا وتعودون لبلادكم ؛ لأننا نسعى إلى إقفال ملف الجريمة بعد هذا التحقيق ، فلو ساعدتم الشرطة في معرفة الجاني لأغلق القصر

فضحكت قهقهة وقالت : وهل ستعرفون القاتل بعد مضي هذه الشهور على الجريمة ؟!

قال العقيد بكل ثقة : أكيد الشرطة لا تمل .. قد يتوقف التحقيق فترة حتى تظهر أدلة جديدة فيفتح التحقيق ثانية ..فالجرائم تبقى مفتوحة حتى يعرف المجرم وتغلق القضية .. فقدموا لنا المعلومات التي لاحظتموها تلك الأيام فستساعدنا في إنهاء القضية .. هل تعرفين شيئا قد نسيت ذكره في التحقيق القديم ؟

لزمت الصمت فقال العقيد : ليلة الحادث بين الخامسة والثامنة كيف قضيت تلك الساعات ؟

ـ تلك ليلة لا تنسى ؛ لأن الجريمة اكتشفت بعد الحادث بساعة أو أكثر كما سمعت .. صعدنا لشقتنا بعد ساعات العمل في الفرن الأرضي قصدي مكان الغسيل والكوي .. ثم ذهبنا للعشاء عندما قرع الجرس ، وأخذنا حظنا من الطعام ، وتركت أسرتي بعد أكل لقيمات إلى صالة السهر وقد تبعاني بعد قليل وشربت كولا لا خمر هنا ، وتركتهما لغرفة التدخين .. فالتدخين ممنوع في قاعة الطعام وقاعة السهر واللهو ، وأخذت علبة كولا ثانية ، ووجدت عددا من المدخنين ،

فجلست أدخن بينهم وأشرب الكولا .

ـ هل كان الكثير معك في غرفة التدخين ؟

ـ ليس الكثير عندما دخلت رأيت أحد السواقين يغادر الغرفة فجلست مكانه .. أذكر أن ثلاثة كانوا حينئذ يدخنون ويشربون البيبسي .. أحد الطهاة منهم .. ثم بقيت وحدي بعد خروج الثلاثة ، وظللت أدخن حتى سمعت بخبر موت السيد ، وانقلب القصر رأسا على عقب .. هناك من يبكي ويولول .. وهناك من يرتجف كأن البرد يغمره .. وهناك الصامت الجامد .. هذا في الصالة بعدما تركت الغرفة على أثر سماع الضجة ..وبعدها مشيت لشقتنا في القصر ، فوجدت والديّ يبكيان للخبر وعلى السيد . فقال لي : مات المحسن إليك أرأيت لقد قتلوه ؟ فمسحت دمعة سقطت ربما رغم أنفي .. لم أحب السيد مطلقا ..وكنت أراه سجانا لنا .. كان يمنعنا من إدخال الخمر والمخدرات للقصر.. أليست هي حياتنا ؟ لم أحبه ، وكان يكثر كلما يراني بتهديدي بطردي من القصر ورمي في الشارع ؛ كأنني عبدة عنده .. لولا دموع والديّ فيشفق عليهما ويصبر ، وكذلك رغبة السيد ببقائهما حتى يحق لهما التقاعد ويضمنان راتب الضمان الاجتماعي .. وذكرت ذلك في التحقيق القديم .. وكل العمال هنا كبار في السن سوى بعض الأطفال الذين ولدو متأخرين

ـ ألم تصعدي إلى الطابق الثالث تلك الليلة ؟

فردت بسرعة ضاحكة : لا يسمح لنا بالتواجد في الطابق الثالث ، لا يسمح إلا لخدم الطابق الثالث .. فالطابق الثالث للسيد وضيوفه .. والطوابق في الليل تغلق فنصبح في سجن فعلي يا سيدي المحقق ..ألا تريد منا أن نكرهه ؟

ـ ولكنك أتيت عن طيب خاطر ، لم يجبرك أحد بالعمل هنا حسب أقوالك ابتداء أم نسيت ؟

ـ كان والديّ قد ضغطا عليّ وعلى السيد ليقبل بعملي معهم، فرضخت ولكني ضجرت بسرعة وندمت .

ـ ألا ترغبين بذكر أسماء رفاقك هنا ؟

ـ ومن أين ستأتي المخدرات ؟

ـ سنعالجك كما وعدتك .

ـ لست بحاجة لعلاجكم ، ولا أستطيع إفشاء الأسماء ذلك يعني قتلي .

فقال مالح متدخلا : وأنت تقتلين نفسك وغيرك بالمخدرات .

فلزمت الصمت ، فأشار لها الضابط بالانصراف ، فلما انصرفت قال حاتم : لابد من السماح بالخروج كالمعتاد لن نمنع ذلك مع الرقابة عليها لمعرفة مع من تلتقي في الخارج ، فقد ذكر الحرس والسكرتيرة والسكرتير تعاطيها للمخدرات ومحاولة إدخالها للقصر في كل مرة تتأخر فيها عن المجيء للقصر .. علينا أن نعرف يا مالح أثناء فترة علاجها في مركز العلاج مع من كانت تجلس وتتعالج .. فأسماؤهم معروفة في مركز العلاج ، وعلينا مراقبة اتصالاتها بالخارج فهي وإن كانت مدمنة فهي خطيرة وتعي بماذا تتكلم ؟ رغم أنهم اشتبهوا بها في التحقيق الأول ولكنهم لم يتابعوها بشكل جيد ، فرغم بساطتها فهي تشكل خطرا حقيقيا في نظري أيها السادة طبعا يبدو أن لا مصلحة لها في قتل الرجل حتى الآن ؛ لأننا لم نحدد هدف وغاية الجريمة .. الدافع لهذا الاغتيال .. ومن السهل تجنيدها من أجل الحصول على المخدرات والزنا أو التجسس على أهل القصر فهي متعلمة في الجامعة .. ولابد أن لها معرفة بالإنجليزية اللغة السائدة بين أغلب الأفراد الموجودين هنا .

قال مالح : كلامك معقول يا سيدي العقيد ! سنوليها اهتماما أكثر فالذي يتعاطى المخدرات يسهل السيطرة عليه واستغلاله .. وهو مستعد لكل شيء من أجلها .. فهي في نظري فتاة خطرة رغم ما يبدو عليها من تعب وهم ويأس وبؤس .

فقال ضابط الدائرة المرافق لهم : سأهتم بمتابعتها ، وأتحدث مع مدير المكافحة في المنطقة ، سنجد لديهم معلومات عنها ما دام قد قبض عليها في دور دعارة وملاهي

٢٢

مكث العقيد حاتم وفريق التحقيق يترددون على القصر ثلاثة أيام ، يصلون الساعة العاشرة صباحا وينصرفون بعد العصر ، وكان يلتقي بالسكرتير بعد أن كلفه ببعض المهام ، فسأله حسب الاتفاق بينهم عمن اتصل بالخارج بعد مغادراتهم للقصر فقال مايا: جاءنا اتصال من إفريقيا تحدث أحدهم مع السيد سينكالا وسجلت الاتصال .

ـ أحسنت وسأكلف المترجمين بترجمة التسجيل !

ـ الفتاة البرازيلية فتاة المخدرات ـ كما نسميها بيننا ـ تحدثت مع شخص مكالمة قصيرة ، وكانت عن طريق سنترال .. وبعد منتصف الليل جاءها اتصال؛ ربما من نفس الشخص الذي كلمته ـ أنا لا أحسن اللغة البرتغالية أو لغة الهنود الحمر ـ وتخلل المكالمة بعض الكلمات الإنجليزية ، وهي مسجلة أيضا ، وفهمت أن المكالمة تعبر عن حاجتها إلى كمية من المخدرات هذه المكالمات التي سجلت بعد انصرافكم في اليوم الأول .. وأمور القصر والعمال تمضي كالمعتاد ، والكل متلهف لمعرفة نهاية وجوده في القصر ، فكلهم يعلم برغبة السيد الصغير ببيع القصر .

قال العقيد : أحسنت يا أستاذ مايا!

ـ العفو يا سيدي كان السيد يعتبرني ابنا له .. وقد قمت بمحاولة الترجمة ، وسأقول لك ما فهمته قبل أن تعرض التسجيلات على رجالك .. مكالمة السيد كامارا فيها خبر عن حادث سير تعرض له ابن للسيد ..يخبرونه أنه في المستشفى ووضعه حرج ، لأنه بعد وقت يسير جاء يطلب مالا ، فاتصلت في البنك وطلبت تحويل مبلغ من المال على مصرفه هناك ، وهو يفكر بتسفير زوجته إذا سمحت الشرطة بذلك ، فهذا راجع لكم حتى أبلغه .. وفهمت من مكالمة الفتاة حديثها عن حاجتها لبعض المخدرات ، ثم رغبتها بمقابلة شخص ما في العاصمة بلبل.. لم أفهم هل هو الذي اتصلت به أو شخص من قبله ؟ ولما سألها لماذا ؟ أخبرته بعودة البوليس للتحقيق في الجريمة ، وأنهم سيبقون أسرى حتى يعترف المجرم بجريمته .. ووعدها المتصل بتأمين كمية مخدرات لها ، وعليها أن تصبر حتى يصرف العمال عن مهامهم وتعود لبلادها، وفي

الصباح بعد الإفطار طلبت مني النزول لجاد ، فأخبرتها أن الخروج متوقف حتى تأذن الشرطة وصرخت فيّ ووصفتني بالظلم والجلاد وصرفتها بهدوء .. وفي الليلة التالية حاولت الحديث مع أحدهم فلم يرد عليها أحد .

بعد سماع تقرير مايا عن ردة أفعال سكان القصر على فتح التحقيق من جديد ، جمع العقيد حاتم جميع الموجودين في القصر في قاعة السهر أو نادي القصر ، وتحدث معهم عن الجريمة ، وحذرهم من إخفاء المعلومات عن العدالة ، ونقل المترجمون تحذير العقيد لهم ، ولم يعترف أحد أنه شاهد شخصا يغادر قاعة الطعام وصالة السهر إلى الطابق الثالث ، لم يقر أحد بشيء ، وسمح لهم بالخروج إلى مدينة جاد أو العاصمة كالمعتاد حتى ينتهي التحقيق ليسمح لهم بمغادرة البلاد ، ووعدهم المحقق أن يكون ذلك قريبا ، وبعد انصرافهم همس للسكرتير : استمر في تسجيل المكالمات وإخباري بها لقد اقترب الحل يا سيدي .

كان الاشتباه في نظر المحقق الحارس الإفريقي والفتاة البرازيلية فتاة المخدرات ، وكانت مكافحة المخدرات قد استعدت لمتابعتها عندما تخرج من القصر ، فكان العقيد يرى أن أحدهم استغل فترة انشغال القوم بالطعام ، وتسلل للطابق الثالث عن طريق المصعد وغدر بالرجل وأن سلاح الجريمة مخفي داخل القصر بعد أن هرب بطريقة ماكرة استغفل فيها الحرس إن لم يكن الحارس الإفريقي اللاعب الأساسي في الجريمة .

وفي المساء أعلم السكرتير العاملين في القصر بأنه سيسير رحلة للمدينة لتغيير الجو بعد هذه التحقيقات وستستمر للمساء ، وجاءت حافلة سياحية في الصباح لتقل الراغبين بالنزول للمدينة للتسوق ، وطلب الخروج عشر نسوة وثلاثة رجال ، منهم الإفريقي الذي أخذ المزيد من المال ليحوله لبلده .

وفي التاسعة صباحا تحركت السيارة واستقرت بعد ساعتين بالقرب من السوق الكبير في المدينة جاد كالعادة المتبعة ، ونبه عليهم السائق على بداية موعد العودة الخامسة مساء .

وكانت الحافلة تحت مراقبة البحث الجنائي حسب التنسيق بينهم وبين مايا الهندي ، فذهب

الإفريقي تصحبه زوجته إلى بنك مدينة جاد ، وحول رصيد الشيك الذي أعطاه إياه مايا إلى بلده ، ثم مشيا إلى نقطة البريد واتصلت الزوجة ، وأرسل سينكالا برقية لعنوان ما ، ثم مشوا إلى السوق العام للمدينة وإلى أحد المطعام أكلا معا ، ثم مشيا إلى إحدى دور سينما جاد وشاهدا فِلما أمريكيا قديما ، وبعد السينما اشتروا بعض الحلوى والمكسرات والفواكه ورجعوا لموقف الحافلة ، وجلسوا في أحد المقاهي المطلة على مكان الحافلة يشربون القهوة ، ويرقبون باقي الركاب ، وكل ذلك تحت مراقبة البحث الجنائي لمدينة جاد .

وأما الفتاة المشتبه بأن لها دورا في القضية ـ وإن لم يتضح بعد ـ فذهبت لأحد المصارف بعدما تركت الحافلة ، وصرفت شيكا حصلت عليه من مايا حسب طلبها ، ثم مشت لحانوت بيع خمور وزلفت إليه ، وشربت كأسا ، وبينما هي تشرب في الخمارة جلس بقربها شاب مدة خمس دقائق ، ثم غاب عنها زمنا ، وعاد ومعه فتاة أخرى أجنبية ، ثم خرجت الفتاتان من الحانة وتجولتا في بعض أسواق المدينة لمدة من الزمن ، ثم دخلتا مطعما سياحيا ، وجلستا بعض الوقت في صالة عامة ، ثم بعد جلوس استمر عشر دقائق انتقلتا لصالة خلفية ، وقضتا ساعة فيها ، ثم عادتا للصالة الرئيسية ، وطلبتا طعاما وخمرا ، وبعد ذلك غادرتا المطعم ، فمشت ماريانا لموقف الحافلة ، والثانية ذهبت حيث الخمارة ، ولما وجدت الحافلة مكانها مشت للمقهى القريب ، وأخذت بالتدخين ، وهذا رصدته الشرطة ، وبعد عودة الحافلة للقصر قبضت الشرطة على شاب وفتاة الحانة وصاحبي الخمارة والمطعم ، وبعد تحقيق قصير أفرج عنهم جميعا ، ولما تكلم العقيد مع السكرتير مايا أخبره أن الفتاة عادت، وقد أخذت حقنة مخدر ، وكانت تلوك قطعة في فمها .

الشرطة تسعى لمعرفة الرجل الذي تحدثت معه الفتاة عن طريق السنترال ليلة أول جلسة استجواب ، فتسأل العقيد : هل لهذا علاقة بالجريمة أم أن القضية تدور حول المخدرات ؟ فهناك من يزود الفتاة بالمخدرات كما ظهر لنا في جاد ؟ والمتعاطي لا يحاكم ؛ ولكن من يزودها بالمال ؟ فدخلها لا يكفي كما وضح لنا السكرتير .

كانت الأوامر أعطيت للسكرتير بالتساهل مع الفتاة وعدم منعها من التعاطي داخل القصر مبديا أن الرحيل قد اقترب وهذا سبب التساهل ، فهم يريدون الوصول لمصدر تزويدها بالمخدرات والمال لشراء المخدرات كما فعلت في جاد .

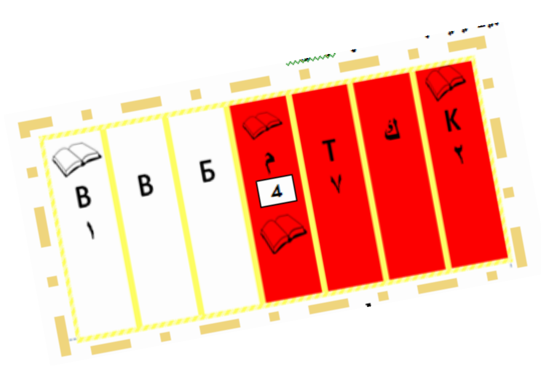


وهناك تطور آخر حدث تطور في قضية الكشف عن لغز الكنز الصحراوي ، وجرى ذلك على يد السيدة سعاد عيسى ، كانت تخبر زوجها بأنها قد تكون اكتشفت شيئا مهما في حل لغز الكنز فلما سألها عن ذلك الكشف المهم قالت: أعدت قراءة رسالة جدك مرات ومرات حتى أدركت أنه يتحدث عن المكتبة هذه .. مكتبة القصر هذا ؟

وكانت قد ساقت زوجها لمكتبة القصر ـ المكتبة التي كان الجد يحب المكث فيها عندما يمكث مع حفيده بعض الليالي ـ فقال مندهشا: اللغز هنا!!

ـ تأمل هذه الواجهة ، فهي مثل واجهات مكتبات القصر .. هل فعل جدك ذلك عبثا؟!

قال متحيرا : نعم ، إن هذه الواجهة مثلهنّ تماما يا سعاد .. وهي تشبه ما في الكرت .. نعم ، نفس الترتيب هذه الواجهة .. قسم أحمر وقسم أبيض .. وسبعة رفوف في كل قسم من الأقسام السبعة وماذا بعد ؟!



قالت شارحة: الحرف قلتم تعني الحرف الأول من كلمة مكتبة من سبع لغات ، وفي الكرت صورة كتاب أربع مرات فهي تعني أربع مكتبات .. ولا تكون أربع مكتبات إلا بهذه المكتبة يا

أديب .. فثلاث صور لكتاب يقصد بها مكتبات القصر ، حرف الميم صورة كتاب أعلاه وكتاب أسفله

ـ ورقم ٤ ؟

ـ إنها رقم رفوف يا سيدي .. فلك رسائل داخل رفوف هذه الكتب أو الخزائن

هز رأسه مقتنعا وقال : جيد يا سعاد ما هي هذه الرسائل ؟!

ـ أنا فهمت من رسائل جدك أنه ترك رسالة في إحدى المكتبات ، ومع كثرة قراءاتي لهنّ أعني رسائل جدك أحسست أنها هنا في مكتبة القصر .. وأنا وضعت خطوطا تحت العبارات المعينة على ذلك ، ثم أخذت بالبحث عنها في جناح المكتبة الذي أمامنا كما ترى .. فتحت كثيرا من الكتب لعلي أجد في وسطها رسالة ولم أجد لحتى اليوم أي رسالة .. والكتب كثيرة فهل لك أن تساعدني ؟

ـ رقم أربعة التي تحت حرف الميم هل تعني اسم كتاب أم تعني الرف؟

قالت سعاد : فكرت بأنها كتاب أولا واستعرضت كتب الرف الرابع من الوسط فلم أرى أي رسالة .. والرفوف في كل خزانة سبعة فيكون عندنا سبعة رفوف تحمل الرقم أربعة ، واستعنت ببعض الخادمات في تفتيش كل الرفوف السبعة الوسطى دون جدوى سواء بدأت العد من أعلى أو أسفل فالرفوف تحمل الرقم أربعة ، لم نجد ورقة ولا رسالة ؛ ولكني متيقنة أن للرقم أربعة دلالة ما يا أديب .. وفكرت أن أتابع كل المكتبة خاصة الخزائن السبعة التي تمثل واجهة البطاقة

ـ لكن لابد للرقم ٤ من مغزى كما أنت متيقنة

ـ هذا أكيد ، علينا المزيد من التأمل والنظر ، وهذه المكتبة منها سينطلق الحل .. ما رأيك بدعوة بشر وخالي والرجال وتتناقشون في فكرتي ؟

ـ حالا

اتصل أديب ببشر ، وتحدث معه في اقتراح سعاد ورأيها ، فاستحسن الصحفي الفكرة وقال : فكرة جديرة بالاهتمام غدا ـ إن شاء ربك ـ سأتصل بالفريق ونرتب زيارة للبيت .

أطلعهم أديب عندما التقوا في بيته عن تحليلات سعاد ، وأطلعهم على العبارات التي تركها جده في رسائله ، وتركز العبارات أن لمكتبة البيت علاقة بحل لغز الكنز ، وعلق اللواء منسي خبير الشيفرات العسكرية والأمنية قائلا : تقدم جيد وممتاز يا مهندسة سعاد ! فعبارة (من هنا نبدأ) إشارة صريحة أن لهذه المكتبة دورا .. يبدو أننا أهملنا قراءة الرسائل بشكل جيد ، ولم نعطها حقها في الدراسة والبحث أيها الأصدقاء !

وقال محمد محسن : وهذه العبارة التي تضع سعاد تحتها خطا أيضا مهمة (مكتبتكم ومكتبتي) فهي تعني مكتبة أديب ومكتبة القصر الصحراوي .

فقال بشر : وهل رقم أربعة يعني الرف الرابع ، وأن رسالة تعني رسالة في الصف الرابع .. وقد قمت يا أخت سعاد أنت والخادمات بالبحث في كل كتب الرف الرابع من هذه الخزائن السبعة ولم تجدي فيها رسالة بطاقة ورقة إشارة .

ردت سعاد بصوت هادئ : نعم يا أخي فتشت كل الرفوف ، فلم أجد شيئا إلا بعض البطاقات التي تستخدم كفواصل أو علامات للقراءة وأين توقفت القراءة ؟ ولم يكتب عليها شيء .. وقد وجدت حوالي عشرين بطاقة ، وللحرص ذكرت كل بطاقة في أي كتاب وجدت ورقم الصفحة فكتبت على البطاقة اسم الكتاب ورقم الصفحة بقلم رصاص قد تكون لهذه البطاقات أهمية في خطوة ما .

وتناولت البطاقات من مغلف رسائل كبير ودفعتها لبشر الذي تأملها بعض الوقت ودفعها للآخرين.

فعلق أحدهم : لعل عليها رسالة سرية بالحبر السري الذي نسمع عنه.

اهتم منسي بالموضوع وزاد تعمقه بتلك البطاقات وبعد تدقيق قال: بطاقات لا أهمية لها ، ولا رسالة سرية فيهنّ أو عليهنّ .. هي فواصل يستعين بها الرجل للمكان الذي وصل إليه في القراءة أو الصفحة التي يبحث فيها ويلزمه أن يعود إليها ، وسبب كثرتها أنه ينساها وينشغل بكتاب آخر ، ومع الوقت تجمع هذا العدد ، وقد نجد الكثير منها لو تصفحنا عددا آخر من

الكتب .

ولكنه طلب منهم أن يأخذ كل واحد منهم اسم كتاب عن البطاقة وينظر في الصفحتين التي وجد بينهما الفاصل للمزيد من التأكد من أهمية هذه الفواصل وعدم أهميتها .

وبعد عمل مرهق للنفس قال منسي : إن هذه الفواصل من غير فائدة لحتى الآن في حل لغزنا وكنزنا .

ثم أعلن لهم أن الغداء جاهز فانتقلوا إلى قاعة الطعام المعروفة لهم في قصر السيد أديب يحيى ، وكان جل حديثهم على المائدة حول اكتشاف سعاد الباهر ، وقال اللواء منسي: لابد أن هذه المكتبة لها دور فالبدء منها فقد أغفلناها في تحرياتنا السابقة ، وأعترف أن هذا تقصير .. وجاءتني فكرة بعد الطعام سأعرضها عليكم

ولما انتهوا من الطعام انتقلوا إلى قاعة استقبال ذكرتهم بقاعة الطيور في قصر الصحراء ، وقدمت لهم الفواكه الطازجة والشاي بالنعناع ، وبدأ القضم والرشف والحمد لله ، ثم الثناء على المهندس وزوجته .

فقال حسن : يا حضرة اللواء كنت ذكرت لنا أثناء الأكل عن فكرة ستعرضها علينا بعد الغداء فكرة حول كنز المهندس أديب .. والعجيب أن المهندس من نعم الله عليه أنه ليس بحاجة للكنز ولكنها رغبة الجد أن لا يباع قصره بعد موته بسرعة !

قال منسي : شكرا أخي حسن .. أنا تحدثت مع قريب لي يعمل مهندسا مدنيا ببلدية العاصمة فاقترح عليّ أن ينشأ المهندس مدينة سكنية قرب القصر سواء ظهر الكنز أم لم يظهر .. وبعد حين من الزمن سيعمر المكان .. وهو سيدعم المشروع ماديا ومعنويا لتصل الخدمات والعمران لذلك المكان أو القصر الرهيب .

فظهر الابتسام على وجه المحامي داود وقال : لقد فكر السيد بسيم قبل موته بسنوات بمثل هذا المشروع بإنشاء مساكن يوزعها على الفقراء ، ولكن المكان كما كان يقول بعيد عن العمران المدارس بأنواعها والمواصلات والبنية التحتية تحتاج لسنوات وسنوات فالمنطقة بحاجة لشوارع

معبدة وكهرباء وماء وصرف صحي حتى تصبح قرية ، ثم مدينة ؛ وربما بعد الوصول للكنز يقرر مصير القصر .. فهناك تطورات جيدة أيضا حول مقتل السيد .. ليس لديّ تفصيل من العقيد حاتم أيها السادة ؛ ولكنه أكد أن القتلة بدأوا يتحركون ، ويبدو أن الجريمة لها علاقات بعصابات المخدرات

قال شاهر : نعود لفكرة اللواء حول البحث عن الكنز

بلع اللواء لقمة من تفاحة كان يمضغها وقال : بما أننا وصلنا أن المكتبة والبطاقة يصلان لهذه المكتبة ، وأن الرف الرابع في الخزانة الوسطى قد يكون المقصود حسب إشارات البطاقة .. فعلينا تصفح كتب ذاك الرف كتابا كتابا نبحث عن ورقة مطبوعة ملصقة كصفحة من الكتاب وليست رسالة عبارة عن ورقة منفصلة أو بطاقة أخرى أو نبحث عن كتاب موضوعه حول الكنوز والشيفرات .

تعاطف الجميع مع فكرة اللواء وانتقلوا لمكتبة القصر من جديد ، وهم سبعة رجال ، فعلى البعض تصفح أسماء الكتب ، والبعض يبحث في ثنايا الكتب ، وتناول بعضهم الكتب من الرف الرابع وجلس على مقعد من مقاعد المكتبة يتصفحه ورقة ورقة ، وكان الرف يحوي عددا من الكتب السميكة ، وهي مجلدة تجليدا فاخرا ، ولها عدد من العنوانين ليست كتابا واحدا ذا مجلدات متعددة ، وبعد ساعة من الصمت المطبق سمع الجميع صرخة أدهشت الجميع صاح أحدهم وهو يرفع الكتاب عاليا : هنا الرسالة! هنا الرسالة!

ترك الجميع ما في أيديهم وأخذوا يتطلعون لبشر بدهشة حتى أن سعاد فزعت والخدم على صيحة الرجل التي خرجت منه بدون وعي بالتأكيد .

فلما هدأت النفوس قال وهو يفتح الكتاب على صفحة معينة : هذا كتاب اسمه أعمال مهمة للعالم

فعلق حسن عبد الرحمن : وهل هناك أعمال غير مهمة ؟ .. فالأعمال تكمل بعضها البعض كما أعرف .. من هو مؤلف الكتاب ؟

تبسم بشر وقال : الكتاب باللغة البرازيلية أو الأصح البرتغالية لغة المستعمر لتلك البلاد .. ترك لغته ورحل أو ذاب في تلك الملايين ؛ ولكن الرسالة بالعربية أيها الأسياد ومطبوعة ؛ كأنها صفحة من الكتاب ، وأضيفت على الكتاب عند التجليد وهي تستغرق صفحتان .. جد أديب ذكي جدا أيها الناس .. فالذي يبحث سيصعب عليه البحث في مثل هذا المجلد السميك وبلغة البرازيل .. سيبحث في الكتب العربية .

فعلق اللواء : ألم نر وسائل الحماية التي اتخذها الرجل في القصر يا بشر الرجل مثقف وفهمان ؟!



٢٣

تناول المنسي الكتاب وحيث الصفحات العربية قرأ بصوت جهوري معروف به : رسالة خاصة آه ! وصلنا للرسالة أيها الرجال فنهنئك يا سيد أديب على زوجك أولا وعلى صهرك ثانيا .. فسأقرأ الرسالة على حضراتكم فإذا وجدناها واضحة فبها ونعمت فننتقل للخطوة التالية أو المرحلة التي تليها ، وإذا لم نفقه منها شيئا سنصورها ونوزعها عليكم لتدرسوها في بيوتكم ، ونجتمع غدا مساء .. سنكون على اتصال لنحدد خطوة العمل الآتية فأنا أتوقع الرحيل للقصر الصحراوي .. فمن هنا نبدأ وهناك ستنتهي الحكاية كما يقول السيد رحمه الله تعالى .. فالوقت دهمنا فنحن قرب منتصف الليل .. فسأدع القراءة للصحفي الكبير محمد محسن المحترم فصوته رغم جهورية صوتي أراه أفضل مني تفضل يا سيدي ودفع له الكتاب ليقرأ رسالة السيد بسيم الموجودة كصفحات في كتاب برازيلي تحت عنوان :

رسالة خاصة

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي العزيز أديب

عندما تقرأ هذه الرسالة ستعرف أين المرحلة القادمة ؟ لتصل إلى الكنز الذي خبأته لك ولذريتك التي أدعو الله صباح مساء أن يهبك إياها

أنا أعلم أنك لست بحاجة للمال وأنك وديع كالحمل ، وأنا وضعت هذه الأشياء الثمينة حتى تحافظ على قصر جدك .. وأما إذا وصلت لمعرفة الكنز وأسراري الخطيرة فلك أن تبيع ما ورثت عني .. تبيع قصر جدك بسيم الجدية الذي شيده ليختفي فيه من أعدائه وخصومه الكثر ، ويحمي نفسه من الأشرار والشر .. والموت حق يا ولدي لا أهرب منه أبدا .. والموت والموت لا مفر منه ؛ ولكن الحذر مطلوب ومشروع يقول القرآن خذوا حذركم

أنا لا أحب أن تعجز من الوصول إليه ؛ ولكن إذا عجزت يا ولدي فسلم الأمانة لذريتك جيلا بعد جيل .

عندما تقرأ هذه الرسالة عليك بالرحيل إلى القصر الصحراوي كما تحب أن تسميه أنت.. اذهب إلى قصر جدك بسيم الجدية

فهنالك ستجد ثلاث مكتبات في كل مكتبة رسالة ترشدك للخطوة التالية .. لا تيأس سوف تصل لكنزك كنز جدك وأسرار جدك بسيم .. لن أقول لك من أين تبدأ ؟ من المكتبة الأولى أو الثانية أو الثالثة في هذه الرسلة ستجد بين سطورها من أي طابق تبدأ وعن الكتاب الذي ينقلك إلى مرحلة جديدة .. ستصل في النهاية ستصل ..

جدك بسيم الجدية

فلما قرئت الرسالة تنفس القوم الصعداء ، وعرفوا أنهم تقدموا خطوة صحيحة للأمام ، وانهالت التهاني والثناء على المهندسة سعاد ، وحلت عليهم البهجة بعد يأس ، واعتبروا ما وصلوا إليه تقدما عظيما ، ثم تصدر الكلام المنسي من جديد وعاد يقول : في الرسالة رسائل لكم جميعا ، ففيها أشياء واضحة ، منها أنها تطلب منا الرحيل للقصر الصحراوي ، ومنها انتهاء عملنا هنا هذا في نظري واضح

وأكد الجميع فهم هذه المطالب ، وعاد منسي يقول : ويؤكد الرجل السبب في وضع هذا الكنز وأسرار حياته حتى لا يباع القصر ، ويطمع أن يبقى لذريته من حفيده أديب ؛ ولكنه في نفس الآن ترك الأمر مربوطا بكشف الكنز ؛ فإذا وصلنا للكنز فيحق لأديب بيعه والتخلص منه .. وبنى الرجل المكان أصلا لحماية نفسه من أعدائه الكثر على مر السنين ، وهو مقر أن الموت لا مفر منه ؛ وإنما تكلف ذلك البناء للأخذ بالأسباب والحذر والأمان ، ومنها أيضا فهمت حل الألغاز كما تحدثنا سابقا في مكتبات القصر ، وفي هذه الرسالة من أي طابق سنبدأ البحث عن الكتاب الذي سنجد فيه إشارة للانتقال إلى مرحلة أخرى .. كم عدد المراحل ؟ لست أدري ؛ لكن كما يبدو لي من بعض الإشارات إنها سبع مراحل .. ألديك آلة تصوير الأوراق هنا سيد أديب ؟

ـ نعم

قال منسي متحمسا : نحن سبعة فعليك بتصوير نسخة لكل واحد منا ليقرأ الرسالة على مهل وفي بيته ، وغدا نجتمع من جديد أو تحددون الوقت المناسب على الهاتف ؛ ربما تعبتم الليلة وتحتاجون لتعويض سهر الليلة .. المهم يكتب أو يحفظ كل شخص الملاحظات الاستنباطات التي يراها من قراءة هذه الرسالة .

ذهب أديب وسعاد لتصوير رسالة الجد بسيم من الكتاب أعمال مهمة للعالم ، وبعد زمن يسير تم تصوير نسخ من الرسالة ، وزعها أديب على الحاضرين ، وشكرهم على تعبهم وسهرهم معه فأبدوا سرورهم بالتعرف عليه وعلى أصهاره وعلى مشاركتهم له في هذه المهمة المعقدة ، والمسرة للنفوس في نفس الحين .

وقال منسي : متى تحبون أن يكون الاجتماع القادم وساعته؟

قال محسن : أنا قد أغيب غدا أيها الكرام ؛ ولكن إذا قدح في ذهني شيء سأبوح به للسيد بشر عيسى وهو ينقله لكم .

رد منسي عليه قائلا: لا بأس ، بعد صلاة العشاء الساعة (التاسعة) سيكون لقاؤنا في بيت صديقنا المهندس يحيى .

وافق الجميع على هذا اللقاء ليلة الغد .

قال منسي: إذا وفقنا في تحديد الطابق الذي سنبدأ منه ، والكتاب الذي سنبحث عنه من خلال رسالة الجد بسيم فعليك يا أخ داود ومع المهندس بترتيب رحلة لنا كالرحلة السابقة والذي لا يسمح له وقته كالأخ داود والمهندس أديب وبشر والسيد محسن فلا داعي لرحيله معنا .. فنستطيع نحن الثلاثة بعون الله بمتابعة المهمة أنا وشاهر وحسن .

فقال المحامي متفهما : هذا جيد ! وسأرتب لكم رحلة للقصر الصحراوي قصر بسيم الجدية بالتعاون والتنسيق مع أديب والسكرتير مايا وزوجته .

قال أديب : إذا تمكنت من أخذ إجازة سأرافق القوم أو ألتحق بهم .

قال منسي: غدا نلتقي ونتحاور ، ولن نستطيع الانتقال قبل فهم لغز ورسالة هذه الرسالة.

وأخذ القوم بالانصراف بعدما توصلوا لمعرفة مرحلة أخرى من لغز السيد بسيم الجدية ، وكان السيد أديب وهو يودعهم يكرر لهم الشكر والاعتذار عما سببه لهم من قلق وإزعاج وسهر وإبعادهم عن أهلهم ، وهم بدورهم أبدوا ثناءهم عليه ؛ بل أوجد لهم شيئا يستمتعون به ، ويتحدثون به لإحفادهم وأصدقائهم ، وأنهم يعتبرون الأمر تسلية وتنشيط لخلايا المخ الخاملة كما يقال .

ثم غادر بعدهم بقليل بشر وخاله محمد محسن ، واعتبروا ما فعلته سعاد إنجازا كبيرا ومهما في حل لغز الكنز وفألا حسنا ، فشكرت الفتاة خالها وشقيقها ، وأقروا من جديد بذكاء السيد بسيم بوضعه الرسالة مطبوعة ضمن صفحات كتاب بلغة غير عربية حتى لو صدف ومسك أحدهم الكتاب سيعيده لمكانه فورا إلا إذا كان يعرف اللغة البرتغالية ، وهذا في بلد عربي من النادر إن لم يكن من المعدوم .

واعترفوا أيضا بأنها لو كانت ورقة منفصلة لربما سقطت من الكتاب أثناء هذه السنوات ، ولم يعرها أحد أي اهتمام إذا وقعت من بين صفحات الكتاب وبين يدي خدم القصر الأجانب الذين لا يفقهون لغة الضاد .

فعلق محسن بعد ذكر هذه الملاحظات : جدك يا بسيم ذو عقل نشط ومنظم

ـ شكرا لكم أيها الأفاضل سلموا لي على زوجاتكم الغاليات على قلوبنا وليسامحننا على أخذ الكثير من حصتهم .. وسلم لي على الوالدة يا بشر أمي الغالية

فقال محسن : الحاجة أم سعيد سعيدة بك يا أديب ، وهي تقدرك وتجلك .

قال بشر : كانت ترغب بالمجيء معي للسهر مع خالتك ومع بنتها ؛ ولكني بينت لها أننا في عمل وقد يستغرق منا ساعات من الليل وهذا ما حدث يا سعاد

فقال يحيى ممتنا : إنني أسعد دائما برؤيتها والجلوس معها .. فهي أم فاضلة .. أهلا وسهلا بكم جميعا .. فنحن أهل وأخوة ، وهي أمي العزيزة

ـ بارك الله فيك يا أديب ، وكما ذكر جدك في رسالته أنت أديب وحمل وديع اسم على مسمى

وضحك القوم ، وتابع بشر : وأنت يا أخية خذي بالك من حبيبنا أديب

فردت سعاد بسعادة : نحن كأننا نعرف بعضا من سنوات هو قرة العين .. وقريبا سيكون أبا بسيم .

ـ بسيم ؟!

ـ سيسمي أول ذكر له على اسم جده الذي كان يحلم بأن يرى حفيده زوجا وله أبناء ..



عندما دخل منسي بيته وجد أهل الدار نياما ، وهو يحمل عادة مفتاح البيت مع مفاتيح سيارة الصالون التي يملكها ، فلم يحتاج لقرع الجرس وإزعاج زوجته النائمة ، ولما استقر في حجرة النوم وأخذ يخلع ملابسه التي خرج بها حتى بدون إشعال الضوء مكتفيا بنور اللمبة الصغيرة الضعيفة الإضاءة ورغم ذلك استيقظت الزوجة قائلة : الحمد لله على السلامة !

ـ أنت مستيقظة يا أم ضياء ؟!

جلست قائلة : قبل قليل تركت صالون البيت ، كانت ابنتك هنا ، جاءت تسلم وتسهر مع أبيها.

ـ أي بنت؟

ـ سعاد

تبسم وقال: جئناكم أيضا من بيت السيدة سعاد .

ـ كيف ؟! جاء معها زوجها ، وانصرفت الأسرة بعد نصف الليل .

ضحك وأدرك أنها لم تفقه قصده ومداعبته وقال مفسرا : سعاد أخرى أخت الصحفي الشاب

ـ بشر !

ـ نعم ، بشر عيسى ، ونحن ما زلنا نسعى في حل ألغاز الكنز الصحراوي ، وأمس بدأت

بشائر النصر والحل تهل علينا .. الليلة وبعد صبر طويل حللنا لغزا آخر

نهضت المرأة التي كانت على علم بموضوع الكنز معتدلة ـ وكانت تعلم وتتابع رحلات الزوج إلى الصحراء لفك معميات اللغز ، وكانوا يعودون خائبين بغير جدوى ـ فلما رأى اهتمامها قص عليها التطورات الأخيرة والتقدم الذي حصلوا عليه ، فلما انتهى القص قالت بفضول وهي تضيء الحجرة : أمعك الرسالة ؟

فقال باسما : ألديك وقت للرسائل اقترب الفجر ؟

تركت السرير قائمة وهي تقول : طار النوم من عيني دعني أنظر رسالة السيد بسيم لعلي أساعدكم بخطوة للإمام كما فعلت السيدة سعاد

رجع للجاكيت المعلقة على شماعة حجرة النوم ، وتناول الرسالة منها أو صورة الرسالة وناولها لزوجته وقال باسما : حاولي فأنا أعرفك من أذكى النساء في حل ألغاز الكلمات المتقاطعة التي تنشرها الجرائد والمجلات .

فكأنها لمست همسة تهكم منه فقالت : أتسخر مني يا منسي ؟!

ـ أبدا .. معاذ الله .. هل في البلد أبرع منك وأسرع منك في حل تلك الشبكات ؟

قالت مبررة شغفها ذلك : لديّ وقت فراغ كثير بعدما تقاعدت من العمل في التدريس يا منسي وأحسن أن أقضي وقتي في الثرثرة ومع الجارات ، وأسمع من هذه ، وأسمع من تلك ، وأنقل من هنا إلى هناك .

فتمتم منسي ضاحكا ومعلقا: ربما هي الحسنة الوحيدة من وراء مثل هذه الشبكات .

أخذت تقرأ الرسالة مرة وثانية بعد جلوسها على كرسي حجرة النوم ، وقالت لمنسي الذي استلقى على السرير منتظرا تعليقها : الرسالة فيها تعيين الطابق الذي سيكون منه البدء إلى مخبأ الكنز مكتبة الطابق طبعا أقصد ؟

ـ إني فهمان عليك .. ففي إحدى مكتبات الطوابق رسالة ضمن كتاب .

ـ الرجل ترك في هذه الرسالة إشارات ترشد للطابق الذي ستبدؤون منه !

ـ نعم ، ونحن نستطيع أن نبحث في كل المكتبات ؛ لكن الكتاب الذي سنبحث عنه في أي طابق سنجده ؟ والمكتبات مليئة بالكتب.. فالرف الواحد يحوي أكثر من عشرين كتاب .. والجهة الحمراء والبيضاء سبع خزائن وكل خزانة سبعة رفوف سيكون عدد الكتب كثيرا.. وعندما نلقى الكتاب المقصود سنجد فيه رسالة ما ، ما هي لا ندري ؟

فقالت : الكثير من الكلمات تصلح كعنوان لكتاب ..وهل هذا العنوان مكون من كلمة أو كلمتين أو أكثر ؟ هو عمل مرهق وشاق ؛ ولكنه سهل في نظري بعدما اجتزتم مرحلة البطاقة

ـ أنا أرى أن البطاقة ما زال لها دور في الوصول للكنز ، فقد كان لها دور في المرحلة الثانية ، فدلتنا على مكتبة قصر أديب ، وحرف الميم تأكيد للبحث في المكتبة ، وحددت الرف الرابع من الخزانة الوسطى الجزء الأحمر ، فهو الرابع يمينا والرابع شمالا والرابع للأعلى ، وكذلك الأسفل وكذلك قطريا .. فالحظ ساعدنا بعض الشيء ولا أعتقد يا أم ضياء أن الرجل جعلها سبعا سبعا إلا للإيحاء بشيء سيظهر لنا فيما بعد .. وأنا قد استويت فاسمحي لي بالنوم بعض الوقت وعند صلاة الفجر أستمع اقتراحاتك لأسماء الكتب المستنبطة من الرسالة كما قلت كتاب من اسم واحد اثنين ثلاثة أربعة.

تركت الغرفة وقالت : أتمنى لك نوما هنيئا تصبح على خير ، وأطفأت النور .

وخرجت لقاعة الفيلا ، وقالت لنفسها: قبل اختيار أسماء الكتب المحتملة عليّ بشرب كوب قهوة كبير ليستيقظ تفكيري وذهني .

دخلت مطبخها وصنعت المطلوب ، وعادت للصالون ترشف القهوة وتقرأ الرسالة مرة ثالثة وقد وضعت بجوارها ورقة وقلم لتكتب ما ألهمته من الرسالة البسيمية ، وبينما هي تجلس دخل عليها منسي فقالت باسمة : لم تنم .

قال مبررا عجزه عن النوم : شممت رائحة القهوة ، فاستيقظت الحواس .. وكيف أنام وذهني مشغول وعاجز عن فك أسرار هذا اللغز ؟

٢٤

وفي بيت السيد شاهر كان النقاش والحوار قد اشتعل بين الرجل وزوجه ، فهي كذلك قد تابعت جهود الرجل في التحقيق في قضية كنز الصحراء ، فلما قرأت الرسالة بشغف وقد استمعت للشرح من زوجها قالت : هذا جد عجيب ! رغم حبه وهواه بعدم بيع القصر وحتى لا يوصف بالأناني ولا بالظلم لهذه الحفيد وضع هذا اللغز وترك المجال لحله .. وها أنتم في أقل من سنتين حللتم مرحلتين مرحلة البطاقة أقصد الحروف السبعة الأولى من لفظ مكتبة بسبع لغات ، والليلة الرسالة الأولى .. وهذه السعاد فتاة مدهشة وذكية التي أوصلتكم لاكتشاف الرسالة الأولى من رسائل الجد بسيم التي قرأناها سطرا سطرا كلمة كلمة .. استطاعت أن تضعكم على الخط الصحيح من جديد .. مكتبة القصر كما هي واضحة الآن في البطاقة اللعينة يا شاهر .. كانت المكتبة أمامكم وشددتم الرحال لقصر الصحراء .

ـ نحن ذهبنا في المرة الأخيرة كنزهة وشم هواء .. فنحن من المرة الأولى فشلنا في الوصول لمرحلة ثانية .. اليوم الأمور تغيرت فقد نشطنا ودبت فينا الحياة .. وإن شاء الله سيحل اللغز بأسرع مما تتصورين يا أم نصر .



وكان بيت السيد حسن تلك الليلة بعد منتصف الليل مشغولا بما حصل في بيت أديب يحيى في موضوع الكنز ، وعبرت المرأة عن سعادتها باكتشاف سعاد بنت جنسها ، وقالت بسرور : أرأيت النساء ؟! دائما تسخرون من عقولنا وفهومنا .. ها هي الأخت سعاد فتحت لكم الدرب أيها الرجال !

وكانت سعادتها واضحة للعيان ؛ كأنها هي التي حلت الخطوة الثانية من اللغز واكتشفت الرسالة في الكتاب البرازيلي ، وكانت تقول بحماس : أنت خذ راحتك في النوم ، وأنا في الصباح

سأكون قد عرفت طابق الابتداء في البحث الذي أراه غير مهم .. فالطوابق ثلاثة محصورة .. أما الأصعب فهو اسم الكتاب .

ـ أحسنت يا زوجتي ! لو عرفنا اسم الكتاب نستطيع عن طريق الفهارس الخاصة بالمكتبة معرفة في أي مكتبة يستقر الكتاب ؛ ولكني من تصوري لعقلية هذا الرجل لا أرى أن الأمر سيكون بسيطا .. فكتب المكتبة كثيرة ؛ كأنها تزيد عن خمسين ألف عنوان ..لا ؛ كأنها مائة ألف ؛ كأنني فهمت الهندي مايا يقول ذلك .. فمكتبة الرجل فيها كتب ومجلات وصحف من لغات شتى ، فهو رغم أنه لم يدرس في جامعة استطاع تعلم عدد من اللغات بحكم حاجته للعمل مع جنسيات مختلفة .. فهو كما فهمت يقرأ بالإنجليزية والإسبانية والبرتغالية .. والقليل من الفرنسية والأوردية الهندية .. ويفهم التركية .. لكني أحس أنا أن الأمر بدأ يتحلحل .. كل بداية صعبة كما هو معروف ، ثم تتضح التصورات في مخيلة الناس .

فقالت: ألا يوجد مجال لذهابنا معكم ؟

ـ القصر واسع يسع أهل البلد ، والأمر هذا يحتاج لترتيب مع المحامي والمهندس أديب وزوجته الفاضلة .

ـ حاول ، أنا متلهفة لمشاهدة هذا القصر الذي شغلكم سنتين ، ورؤية المكتبات للمساعدة في حل ألغاز السيد بسيم .

ـ فكرة جميلة ! سأعرضها على الزملاء الآخرين الراغبين بالسفر معنا .



كان أديب في استقبال فريق البحث بعد صلاة العشاء وجلسوا في قاعة واسعة مزينة جدرانها بلوحات ممتعة للناظرين أشجار وأزهار وعصافير ، وبعد حين اكتمل الفريق ، ولم يتخلف عن الجلسة إلا السيد محمد محسن لانشغاله بصحيفته ، وأما بشر فقد أحضر معه زوجته وبعض

أولاده لزيارة عمتهم وزوجها ، وقدمت لهم المشروبات والفواكه والمكسرات وتحدثوا عن أحوالهم وصحتهم وأخبار البلد ، ثم تصدر الحديث كالعادة اللواء المتقاعد منسي الذي قال باسما ومشجعا : أرجو أنكم وصلتم لاستنباطات ذكية ومهمة من رسالة المرحوم بإذنه تعالى السيد بسيم الجدية . بعد سماعه همهمات تابع قائلا : سنبدأ من جهة اليمين ، ثم الذي يليه حتى يصل الكلام والدور لي .. تفضل سيد شاهر

تنحنح السيد شاهر وقال وهو يخرج ورقة من ثيابه ويضعها أمامه : قرأت الرسالة مرات ومرات وهي رسالة بسيطة في نظري لا يوجد فيها تعقيدات لغوية أو تركيبات غامضة .. المرحوم بإذن الله يتمنى أن يرى حفيده زوجا ، وبين لنا أننا إذا عرفنا هذه الرسالة فستنقلنا لمرحلة أخرى في الولوج إلى الكنز ومكانه .. ففيها الإشارة لكتاب علينا أن نبحث عن اسمه ومن خلالها سنعرف الطابق الذي سيكون الكتاب فيه ، وتحديد الطابق يسهل علينا عملية البحث حتى لا نبحث في جميع المكتبات المتصلة بكنز السيد بسيم .. وبين لنا أن الكنز وضع لحاجة في نفسه هو وثانيا لعدم التسرع في بيعه والخلاص منه من قبل حفيده ، لقد كان يدرك أنه غير محب لذلك المكان ومبغض له ، وأنه سيتخلص منه بمجرد انتقال ملكيته له حسب الميراث الشرعي .. وهو بهذا اللغز لا يحرم حفيده من المجوهرات .. وفي رأيي الأهم تملك الوثائق والمذكرات .. وهو يرى الخطورة على حياة حفيده من تلك الوثائق ، فيأمل أن تصل لإحفاده وورثتهم ..وفي الرسالة أيها السادة سبب بناء القصر وهو الحماية والحفظ مع إقراره بأن الموت حق ، وأن ما يفعله أخذٌ بالأسباب والحذر .. والمال متوفر بين يديه وكثير جدا .. ويطلب منا الرحيل للقصر عند قراءة الرسالة .. فهل نستطيع كشف اسم الكتاب ؟ .. فكل كلمة مفردة تصلح عنوانا لكتاب .. وكل كلمتين تصلحان لعنوان كتاب .. وكل مجموعة من الكلمات تستطيعون تكوين اسم كتاب منها.. فنحن بحاجة لكل عنوان من الكتب الموجودة في مكتبات القصر .. فكلمة الكنز تصلح عنوانا .. وديع كالحمل تصلح اسم كتاب .. كلمة القصر تصلح عنوانا .. بسيم الجدية تصلح اسما لكتاب .. الحذر مطلوب يمكن أن نعتبرها اسم كتاب .. أما أنا فقد عجزت

حقيقة عن تحديد كلمة أو جملة ؛ لتكون عنوانا نبحث عنه أو تحديد طابق معين لنبدأ منه شكرا لإصغائكم .

قال منسي : أحسنت يا سيد شاهر ! وقدمت لنا معلومات مفيدة .. وأعتقد أن أسماء الكتب الموجودة في مكتبات السيد لابد أن لها فهارس ؛ ولكن المشكلة تعدد اللغات فيها .. فنحن وجدنا رسالة السيد في كتاب برازيلي .. فعندما ننتقل للقصر سنجد أسماء الكتب في فهارس ولكن علينا أن نحدد بعض العنوانين .. وأنت يا أخ حسن ماذا عندك ؟

فقال حسن : شكرا ، بسم الله ..حاولت استخدام الأرقام والإحصاء والتكرار ؛ لكني بعد جهد جهيد لم أجد شيئا مفيدا يلفت النظر والفكر في لغزنا هذا.. السبب أن كلمة متكررة أكثر من مرة هل تدل على طابق ما ؟ ليس بالضرورة لأن أمامنا ثلاث مكتبات فقط .. المهم معرفة اسم الكتاب الذي سنجد فيه رسالة أخرى أو من هذا القبيل .. وهل إذا عرفنا رقما من مضاعفات الاثنين أو الثلاثة هل يعني هذا الطابق الثاني أو الثالث ؟ إن هذا تكلف غير مناسب أراه من قبل السيد بسيم .. وكما قال أخونا الفاضل طلب معرفة الطابق والكتاب لتسهيل المهمة والوقت على الباحث بدل أن نبحث في آلاف الكتب نبحث في مكتبة واحدة وخطر في بالي والسيد شاهر يتحدث عن العناوين المتوفرة في المكتبة هل يمكن حصر العنوانين التي تملكها بسيم قبل كتابة هذه الرسالة ؟

قال منسي : أرى عبارة عندما تقرأ هذه الرسالة ارحل إلى القصر الصحراوي أنها مهمة .. ثم رد على حسن فقال : نحتاج لجهد لنعرف متى تواريخ وصول الكتب للمكتبة ؟

فعاد حسن يقول: كل كلمة يخيل لي في هذه الرسالة مهمة .. متى بدأ الحديث عن الكنز يا أستاذ داود ؟

رد المحامي مجيبا فقال: كان الحديث عن الكنز متأخرا من حياة الرجل ، الرسائل التي أرسلها لحفيده وطلب مني تسليمها له عندما يفكر ببيع القصر بدأت من عام ١٩٨٤، والمكتبة كانت مليئة بالكتب ، فكانت له شقة كبيرة ومستأجرة كلها مكتبات قبل أن يستقر نهائيا في البلاد ..

فعلينا السعي والتركيز على الرسالة لمعرفة الطابق أي المكتبة التي ستبدؤون منها ، وكذلك اسم الكتاب .. وهل يكرر الرجل الرسالة في كتاب أم يستخدم لغة الرمز والرموز ؟

فقال منسي : أجزم يا أستاذ داود أن الرجل يريد من حفيده أن يصل للكنز سواء بسرعة أم ببطء.. وأنه يريد كتابا ما من رسالته كتابا لا رموزا في كلمة .. قد تستخدم كلمة كتاب بمعنى رسالة أو خطاب ؛ ولكن كما يقول أهل اللغة أل التعريف تدخل على شيء معروف عند السامع أو المخاطب أو معروف للذهن .. فعندما نسمع كلمة الجنة فيدرك الذهن والمخاطب أنها جنة الخلد في السماء أو جنة يوم القيامة .. ليست جنة في الأرض.. عندما نطلع على أسماء عناوين كتب المكتبة إذا كان هناك فهارس سنعرف منها تواريخ إدخال الكتب أو من خلال تاريخ الطباعة

قال شاهر: أليست محوسبة؟

قال داود: فيها حواسيب ؛ ولكنها أدخلت مؤخرا قبل وفاة الرجل بزمن يسير .. وحسب معلوماتي لم نعين موظفا لفهرستها على الحاسب الشخصي إلا إذا قام السكرتير وزوجته بفعل ذلك .. وأنا لا أعتقد حصول ذلك ..أما فهارس عادية فستجدون فهارس ربما من عمل السيد نفسه .. فالسيد يعشق الكتب من صغره ، وقد اشترى عدة مكتبات خاصة من الورثة أو باعها أصحابها لملمات لمت بهم .. وهو يقرأ بعدد من اللغات ، وفي مختلف العلوم ..كانت المكتبة والكتب جليسه وأنيسه الوحيد .. فهو قضى كثيرا من أيام حياته دون امرأة .. فهو لم يكن مهتما كثيرا بالنساء لطبيعة مهنته ، وهي التنقل والرحيل .. فقد تزوج جدة أديب وهي ابنة عمه ، ولما سافر البرازيل للعمل ككثير من المغتربين العرب تزوج امرأة برازيلية حتى لا يقع في الزنا والفاحشة ، ولما اشتغل في عالم السلاح بيعا وشراء وتهريبا بسبب الحروب الناشبة هناك طلقها وكان يتردد عليها من أجل ابنة له منها ، ومرة فكر بالزواج من ممرضة تعرف عليها أثناء إقامته في المستشفى ، ثم اعتذر لها في اللحظة الأخيرة قائلا : أنا رجل مسن أخشى ظلمها معي ! لا أصلح للنساء .. فالرجل كان متزوجا الكتب .. فكل وقت لا يكون في ترتيب صفقة أو سفر

تجده مع الكتاب ؛ فلذلك جعل ألغازه مرتبطة بالكتب والمكتبات .

فقال منسي: هذا كان واضحا لنا من البداية ، واستخدامه الكتاب البرازيلي لإخفاء الرسالة يؤكد ما تفوهت به سيدي المحامي .. فهل استنتجت لنا شيئا من الرسالة يا سيد داود ؟

تبسم السيد داود وقال: لم يتح لي الوقت أن أفكر فيها ، فبعد مغادرتنا بيت أديب متأخرين كما تعلمون ، فنمت بعد وصولي البيت بقليل ، ثم عملي الصباحي لم يسمح لي بالنظر فيها ؛ ولكن في المساء قبل مجيء إليكم نظرت فيها مرتين فخطر في بالي ما أشار إليه الأخ شاهر أن يكون عنوان الكتاب { الكنز }.. واعتقدت أن السيد ربما ظن أننا سنغفل عنه عن هذه الكلمة ونجعلها عنوانا لكتاب ..أنا آسف أيها السادة .

فضحك القوم وقال منسي : لا تأسف يا أخ داود ..أخ بشر !

قال بشر : أنتم لاحظتم من البداية أنني لست من هواة حل الشيفرات والألغاز .. قرأتها وقرأتها ولم يخطر شيء محدد في ذهني ؛ فإنما هي رسالة عادية ، وعجزت أن أستنبط أي مكتبة يبدأ منها بحثنا .. وكذلك تحديد اسم كتاب معين.

التفت منسي لأديب قائلا: وأنت يا سيد أديب .. وهل وصلت لشيء أنت وزوجتك الذكية ؟

قال متبسما : أنا مثل الدكتور بشر فرغم قراءتي للرسالة كلمة كلمة وسطرا سطرا ورغم دراستي للهندسة فمن أصعب الأشياء عليّ حل الألغاز والأسرار ؛ ولكن زوجتنا العزيزة تقول إنها قرأت قصة اسمها أوديب للعقاد أو الحكيم كاتبان مصريان .

فقال منسي : عباس العقاد وتوفيق الحكيم وقصة أوديب لتوفيق الحكيم قصة عن أسطورة يونانية .

ـ نعم توفيق الحكيم ، قالت ربما يشير الجد إليها بذكر اسم أديب في الرسالة ضع ضمة على الألف فيمكن أن تقرا أُديب فيقصد أن نبحث عن تلك القصة .

هتف منسي : جميل !!

فقال حسن : احتمال .. أديب أُديب .. يمكن كتابتها بنفس الصورة الأولى مفتوحة الهمزة

والثانية مضمومة الهمزة ..وهناك من يكتبها أوديب بواو ظاهرة رسما ..وعلينا أن نعود للمعاجم إذا رجح لدينا اسم الكتاب هذا .

وقال منسي : وكلمة الكنز اسم شائع لعدد من الكتب والقصص والروايات

قال حسن متعقبا: ولكنه في العادة يضاف إلى كلمة أخرى كالقصة المشهورة جزيرة الكنز .. وسلاسل المغامرات مليئة بلفظة الكنز .. كنز السلطان كنز الغول ، وكذلك كتب اسمها الكنز بدون إضافة .. يا سادة لابد من الرحيل لمعاينة المكتبات ، عليك يا أستاذ أديب ويا أستاذ داود ترتيب رحلة أخرى للقصر .

فقال منسي : والأخ حسن يفضل أن ترافقنا زوجاتنا هذه المرة لينظرن القصر الذي كثر حديثنا حوله وغزلنا به .

فضحك داود وبشر وأديب وقال داود : والله ذلك من دواعي سرورنا أنا وأديب .

فقال أديب : على الرحب والسعة أيها السادة .. وكان جدي ـ رحمه الله ـ يستقبل فيه الكثير من الأفاضل وحجرات النوم كثيرة .. وخاصة الطابق الثالث فهو مهجور منذ موت الجد بسيم

أثنى الفريق على أديب الثناء الحسن على الأريحية التي تقبل بها الطلب ، وعاد منسي يقول : شكرا سيد أديب والشكر لحضرة المحامي ، وأنا بالنسبة للرسالة لم تخرج استنباطاتي عما تفوهتم به .. كل ما في الرسالة يصلح أن يكوّن عنوانا أو أكثر .. ووصلت أنه لابد لنا من رحلة جديدة للقصر حسب طلب الرجل منا ..عندما تقرأ الرسالة عليك بالرحيل لهناك .

قال داود : نحن حقيقة نشكر لكم جهودكم وتعاونكم وقبولكم هذه المهمة .. وسأرسل إلى هناك ملاءات أسرة وأغطية جديدة لكم ولزوجاتكم الفضليات .. وسأكلف مايا بأن يخصكم ببعض الخادمات .. والأطعمة والمشروبات ستصلكم يوميا ـ إن شاء الله تعالى ـ من مدينة جاد .

٢٥

لقد رأى الفريق أنه لابد من جولة جديدة للقصر الصحراوي بحثا عن مكان كنز السيد بسيم الجدية .. اتخذ المحامي داود المنسق والمشرف على إدارة أموال السيد بسيم في العاصمة بلبل الإجراءات اللازمة والمناسبة لسفر الرجال الثلاثة وزوجاتهم اللواتي سيرافقنهم هذه المرة ، وتلقى السكرتير مايا علما بمجيء فريق البحث عن الكنز لقضاء عدة أيام في القصر ، ووعدهم المهندس أديب باللحاق بهم في نهاية الأسبوع لقضاء ليلة الجمعة والجمعة معهم ، وقد تصحبه زوجته إذا رأت أن صحتها تساعدها على الرحلة فهي في حالة حمل .

وجاءت الحافلة السياحية الصغيرة من نفس الشركة التي اعتاد المحامي الاستئجار منها الحافلات للقصر وغيره من المناسبات ، ونقلت الرجال الثلاثة وزوجاتهم للصحراء ، وبعد ساعات ثلاث كانوا يجلسون في قاعة الطيور ، وكان السيد مايا وقرينته رامان يرحبون بهم خير ترحيب ، وكان وصولهم عند العصر ، وأعلمهم مايا أن طعام الغداء قد وصل من مدينة جاد ، وسيكون الغداء في قاعة الطعام في الطابق الثالث حيث سينامون ويأكلون ، وقد جهزت لهم ثلاث غرف للنوم .. وستكون المكتبة مكتبا لإدارة عملية البحث.. وجهزت لهم داخل غرف المنامات مواقد لعمل الشاي والقهوة وشغل البراد الثلاجة ، فشكروا مايا وزوجته على حسن الاهتمام والرعاية .

ولما خرجا أبدت النساء ذهولها من قاعة الأعمدة الرخامية الضخمة ، والحيوانات المعلقة في أعلى الأعمدة ، ومن صور السماء أي سقف القاعة ..حتى أن إحداهن من شدة إعجابها قالت : حرام مائة حرام أن يباع هذا القصر وهو بهذا الجمال .. ليبق مزارا للعائلة أو يحول لمتحف للدولة .. فهناك قصور قديمة أصبحت مزارات سياحية لدى الدول اليوم .

وقالت الثانية : يكفي أن فيه هذه القاعة الرائعة التي تنقل الإنسان من الصحراء الحارة إلى الجنة الأرضية .. الجمال والهواء البارد .

فرد منسي وهو يشاهد انبهار النساء : الجد وضع اللغز ليعيق عملية البيع أو التسرع في البيع ،

أو حتى لا يباع أصلا حتى أن بعضهم تشجع لإنشاء مدينة حوله

وأخذ شاهر يقص عرض صديق له أو قريب بإنشاء المدينة أو بداية مدينة في المكان ، وقال منسي بعدما ثرثر الجميع بأفكاره وإعجابه : سأقترح على المهندس أديب أن ينفق أموال الكنز عندما نجدها على إنشاء هذه المدينة ، ولسوف أتحرك مع الجهات المسئولة ومع قريبي رجل البلدية المهندس لإنشاء وإكمال البنية التحتية للمدينة من فتح شوارع معبدة تتصل بطريق مدينة جاد وزيادة شبكة الكهرباء والهاتف والأشياء الأخرى المهمة للمدن .. فهذا القصر نفسه كنز .. فعلينا بالضغط على صديقنا أديب بعدم بيعه من أجل روح جده العزيز .

فقال حسن مداعبا: وماذا يستفيد الرجل من عدم بيعه ؟! أليس لديه قصره في المدينة حيث عمله ؟.. وهذا قصر كما ترون يحتاج لجيش من الخدم والموظفين للمحافظة عليه .

فقال شاهر : هذا مربط الفرس .. الجد بناه للاحتماء بين جدرانه من أعدائه الكثر .. والمهندس أديب ليس له أعداء إلا إذا كانت العداوة تورث كما في معتقدات بعض الشعوب .. والرجل كانت أسرته ضحية مغامرات الجد .. وهو أخبرني أنه لم يخرج من البلد منذ ولد فيها .

قدم لهما الخدم بعض الأنواع من الفواكه والشراب البارد ، فأكلوا القليل منها ، وأكد لهم السكرتير الهندي أن الطابق جاهز لاستقبالهم ، وبينما هم يمشون نحو المصعد للصعود إلى الأعلى قال منسي لمايا : ما أخبار العقيد حاتم سيد مايا ؟

رد مايا باسما : ضابط ممتاز ! أخبرني أن تقدما جرى في التحقيق والقاتل على وشك السقوط .. لقد قضوا ثلاثة أيام في التحقيق هنا .. ونحن على اتصال مباشر .

ـ موفقون سيد مايا .. نحن مهمتنا الوصول للكنز الذي لا تعرف عنه شيئا .

ضحك السيد مايا وقال : الرجل الكبير كله أسرار ، وهو خير من يكتم الأسرار .. فكثير من صفقات السلاح تحتاج لسرية كاملة .. وهذه مهنة السيد فليس من العجيب إخفاء حكاية الكنز عني أو عن حفيده كما فهمت .. وأنا كلي شوق وفضول لمعرفة حقيقة هذا الكنز .. وأتمنى لكم كل التوفيق والنجاح .

ـ أتشك بوجود الكنز يا مايا ؟

ـ لي عشرون سنة أعمل مع السيد .. في بداية الأمر استغربت أكثر من الشك .. ولكن بما أن الرجل تكلم وكتب عنه فلابد أن لديه كنزا أيها السادة .. ولكن في القصر أين ؟!

ـ اقتربنا من الحل يا سيد مايا العزيز علينا .

ـ شكرا سيدي اللواء نحن نحترم العسكر جدا في بلادنا وتقاليدنا .. والسيد لا يكذب أبدا ، وهو نفسه كنز مليء بالأسرار .



غادرا المكتب الكائن في عمارة بسيم الجدية بمدينة جاد متجهين إلى الفندق ، وتناولا عشاءهما في قاعة الطعام ، وصعدا لجناح نومهما ـ فقد كان لكل واحد منهما حجرة ـ فبعد أن لبسا ملابس النوم غادر حاتم الحجرة وطرق على زميله مالح وقال : القهوة في الطريق أحسب أنك مغرم بها .

ـ تعودت على شربها يا صديقي .

فقال حاتم: إذن ليس لنا سفارة في بلد هذا الأفريقي سينكالا حاولت الاتصال على الرقم الذي استخدمه فلم يرد أحد حتى السماعة لا ترفع .. هذا مثير للحيرة .. هل حقا له ابن مصاب يتصل به وهو يتحدث معه من القصر وأحيانا من تلفونات عامة ؟!

فقال مالح : قد يتصل برقم وهمي .

ـ لكنه يرن في الطرف الآخر ، يسمع صوت الجرس ويسجل الحوار

ـ رغم ذلك أنا أرى أن البنت أقرب للجريمة .. رغم أنها مهزوزة ومتوترة ومتأثرة من تعاطي المخدرات والانقطاع عنها فهي خطرة .

فقال حاتم مفكرا : وأنا مثلك أكاد أجزم مائة بالمائة أنها منفذة للجريمة ؛ لكن من ساعدها

بإدخال السلاح ؟ كيف أدخلت السلاح دون أن يكشفها الحرس ؟ أين أخفته للجريمة وبعد الجريمة ؟ فحص البحث الجنائي كل الأسلحة الموجودة في القصر ، وكتبوا تقريرا لم يستخدم أي سلاح تم فحصه .. إذن هناك سلاح لم يفحص ، كيف اختفى وأين ؟ الرصاصات الموجودة في القصر لم تنقص تلك الطلقة .. لم يسمع صوت الرصاصة ، كيف فتحت الباب على السيد كيف ؟! كيف تغلبت عليه ؟ أم خدر بغاز وكيف خدر بهذا الغاز دون أن يدرك أنه غاز ؟! فلما شعر بضيق في نفسه تكلم مباشرة مع الطبيب جادور .. لم يشهد أحد على صعودها للطابق الثالث .. كيف اختارت تلك اللحظة للجريمة ؟ شاهدها الناس تتعشى معهم .. دخلت غرفة التدخين على مرمى عدد منهم ، ثم تركت الغرفة لغرفة والديها فنحن نتهمها بدون أدلة إنما إحساس وشعور .. وهذه أدلة لا يعول عليها أمام محكمة الجنايات .

ـ تلفونها بعد انصرافنا!

تنهد حاتم وقال : هذا هو الدليل على أن لها يدا في الجريمة ، اتصلت واتصلوا ثم اختفوا عندما عرفنا الشقة المتصل بها ، أخبرنا وكيل المؤجر أنهم ثلاثة أحدهم عربي .. في الصباح أعطوه المفتاح زاعمين مغادرتهم للبلد ، فهم من رعايا أمريكا الجنوبية ، فهم مستأجرون باسم أنهم طلاب مبتعثون ، ولديه أوراق تدعم قوله ، وأصحاب الشقق المفروشة يهمهم الفلوس أكثر من التدقيق في صحة المعلومات المقدمة لهم ، وأولئك الذين يعملون في المخدرات والتهريب التزوير للوثائق لديهم من الأمور السهلة ، فلم يأخذ أرقام جوازاتهم .. هو رأى الجوازات وصورهم عليها ثم أعادها لهم ؛ لأنهم زعموا أنهم قد لا يمكثون وقتا طويلا ؛ ربما ينتقلون لبلد عربي آخر ، وقضوا سنين وهو يعتقد أنهم وافقتهم الدراسة في البلد لتحصيل الماجستير والدكتوراه ..وكيف نثبت أنها القاتل وهي لم تعترف بشيء ؟ ووالداها لا يعرفون شيئا كما رأيت .. الحمد لله نحن تقدمنا شيئا ولو يسيرا وقريبين من القاتل .

ـ المعضلة كيف دخل مسدس الجريمة ؟ فالرصاصة القاتلة رصاصة مسدس وهي من نفس رصاص الحرس نفس العيار .. وكيف دخلت على غرفة السيد أم كانت الغرفة مفتوحة؟

ـ هذا الراجح أنها وجدت الغرفة مفتوحة الصدفة خدمتها ؛ ولكن كيف لم يلمحها أحد تصعد إلى أعلى ؟ هل لها شركاء داخل القصر ؟ وهناك سؤال مهم وهو لماذا قتل الرجل أثناء غياب السكرتير ؟

قال مالح : ربما استغل غيابه لارتكاب الجريمة ، وقل كيف اطمئن بسيم لعملها في القصر ؟ هل الشفقة وحدها هي التي أملت عليه إحضارها وعلاجها ؟ وهو الحذر الفطن .

قال حاتم : علينا أن نقبض على رفاقها ، على الشرطة مطاردتهم ومتابعتهم خفية ، ربما لا تعدو العملية سوى تهريب مخدرات بثياب طلبة .. لغز كبير هذه القضية .. وكيف التقت بهم ؟

ـ أعتقد يا أخ حاتم أن القضية أكبر من علاقة مخدرات ؛ لأنها سارعت بالاتصال بهم من القصر لم تنتظر حتى تنزل المدينة ..

قال حاتم : يا مقدم مالح أرأيت كيف حصلت على المخدرات في مدينة جاد ؟.. كأس خمر من خمارة انتقال لمطعم سياحي حقنة في غرفة خلفية .. هؤلاء المدمنون لهم حيل ووسائل يصلون بها للمخدرات ..والدول من الصعب عليها السيطرة على تجارة المخدرات ، فأحيانا تتساهل الدول مع هؤلاء الأجانب لتنشيط الحركة السياحية وعجلة الاقتصاد .. هكذا أجاب صاحب المطعم ، فهم يسمحون لهم ببيع الخمر والقليل من المخدرات ؛ لأن عددا كبيرا من السياح يتعاطون الخمر والمخدرات في بلادهم ، وحتى يمنعوهم من تهريبها يوفرونها لهم بطرق شبه سرية .. فتغض السلطات الطرف أحيانا من أجل الاقتصاد .. هذا يسمى القانون السري .

عقب مالح قائلا : كثير من المحظورات ترتكب باسم السياحة والاقتصاد في الكثير من دول العالم .. فهم بزعمهم يشجعون هذا القطاع وحتى يشعر السياح بالمتعة ويحسون بالحرية ؛ لذلك توفر لهم أماكن للدعارة والقمار ؛ وإن كانت هذه المواقع بأسماء بريئة ملاهي .. نوادي ليلية .. مراقص.. وهم بالتساهل هذا يدفعونهم إلى عدم التهريب وإدخال هذه المواد سرا ومع ذلك التساهل ترى السياح يدخلون كميات من المخدرات للتعاطي والبيع .. لقد عملت أثناء خدمتي في جهاز الشرطة مع قسم مكافحة المخدرات في عدد من قضايا المخدرات

فقال حاتم متفهما : أفهم ما قررت ..كما يسمح لبعض المحلات والمتاجر ببيع الكحول .. وكما يسمح للفنادق المصنفة دوليا ببيع الخمور والرقص والمجون باسم السياحة والترفيه .

ـ وهذه الفتاة أسرعت بعد وصولها لجاد بأخذ حقنة بالطريقة التي تابعناها فيها .. فهي عالمة بهذه الأوكار بكل سهولة .. وهم يزعمون بأنهم لا يسمحون للزبون بأخذ أي كمية خارج الملهى أو الحانة .. فتكون الحقنة في الغرفة الخلفية ، وتؤخذ اللقمة أمامهم في الحانة أو المطعم

ـ هذا أيضا باتفاق مع الأمن حتى لا تروج البضاعة خارج الأماكن غير المسموح لهم ببيعها .. أخبرني المحامي أن زملاءنا الذين يبحثون عن الكنز قد اكتشفوا شيئا جديدا ، وقد رحل الفريق للمكث في القصر ومعهم نساؤهم .. فلسوف نزورهم ونطمئن عليهم ونحذرهم من غدر الخائن أو الخونة .. والسكرتير الهندي يتابع الاتصالات ويسجلها ويترجمها قدر الإمكان ورجال الشرطة السرية يتابعون معنا ، فهم يسعون للقبض على الجاني مثلنا ، فالأفريقي تحت المتابعة ، والفتاة كذلك .. فالحارس يقوم بعمله بشكل طبيعي وكذلك زوجته ، والفتاة تقوم بعملها مع والديها أيضا كالمعتاد ، ثم تنتقل لقاعة الطعام صباحا ظهرا ليلا ثم تدخل غرفة التدخين حتى انقضاء فترة الاستراحة في الصباح والظهر ، ثم تعود لعملها ، وفي الليل بعد العشاء والتدخين تجلس في النادي لبعض الوقت ، وأحيانا قبل العشاء تذهب حيث البستان والحدائق الخلفية للقصر ،وتجلس عند حوض السباحة الصغير ، وهي لها غرفة في جناح والديها وتم تفتيشها خفية ولم نجد فيها شيئا مهما ، وكررت الاتصال بتلك الشقة في العاصمة ، ولا يرد عليها أحد ؛ لأننا طلبنا من الوكيل عدم إشغال الشقة لوقت يسير ، فتقبل ذلك على مضض .

٢٦

انشغل الرجال بدراسة الرسالة التي تركها لهم بسيم في كتاب (أعمال مهمة للعالم) ، وأخذوا بالتنقل بين المكتبات الثلاث ، واهتمت النساء الثلاثة بمساعدة أزواجهنّ في أول الأمر ، ثم أصابهن الملل فأخذن بالتجوال في طوابق القصر ، وصعدن إلى سطحه يرقبن الصحراء الممتدة من جميع الجهات ، فكان القصر فيها ؛ كأنه قارب في بحر أو محيط ، ثم نزلن البستان والحدائق فرحب بهن البستاني ، وقدم لهن الفاكهة الطازجة الناضجة في ذلك الوقت من السنة .. وفي الليل أقبل إليهم العقيد حاتم والمقدم مالح زائرين ، وفرحوا بزيارتهم ، ورتب السكرتير جناحا في الطابق الثالث لنومهم ، وعقد الرجال الخمسة بعد تناول طعام العشاء وإغلاق أبواب الطوابق الثلاثة اجتماعا استعرضوا فيه نشاطهم في حل اللغزين .

فقال منسي ملخصا ما فهم : إذن عندكم مشتبه به الآن ، وأنه اتصل بعد التحقيق بأفريقيا أو تلقى اتصالا أولا ، ثم اتصل هو بعد علمه بتعرض ابنه لحادث سيارة برقم ، وأرسل مالا لجهة ما في بلده الإفريقي أو لأخيه لينفقه على ولده المصاب ، وهو الذي اعترف بأنه رأى السيد قبل موته يدخل في غرفة مجاورة لمكتبة هذا الطابق ، ولكن الهندي مايا يستبعد ضلوعه في الجريمة ، وليست لديه عقلية تنفيذ جريمة كهذه .. تسلل تخدير قتل ، ويشك الضباط في الفتاة المدمنة وأنها الوحيدة التي لها صداقات خاصة خارج القصر ، وإنما المعضلة صفة الوصول للسيد وقتله ما زالت غامضة ، ولكنها استثيرت فورا عند تجدد التحقيق ، وأن إنهاء العقود لن ينتهي قبل إغلاق ملف القضية كاملا ومعرفة الجاني ، ورغم المخاطر اتصلت في شخص في مدينة بلبل كما ثبت من متابعة الاتصال ، ورد عليها في نفس الليلة بعد منتصف الليل بساعة أو اكثر ، ثم اختفى الثلاثة من العمارة زاعمين أنهم أنهوا دراستهم ، وسيعودون لبلدهم البرازيل ، وهي تحت المراقبة من قبل مايا وزوجته داخل القصر ، وهي تحت مراقبة البحث الجنائي والمخدرات عندما تغادر القصر ، وهي ما زالت تحاول الاتصال بذاك الرقم دون جدوى .

قال حاتم : فكرنا أن نرد عليها ؛ ولكننا لا نحسن الكلام بلغتها البرتغالية بإحدى لهجات بلادها

الكبيرة .. وهي بالتأكيد ستعرف أن أحدا غير أصحابها يتكلم .. ولو وضعنا متكلما بلغة أهل البرازيل فاللهجة ستفضح المتكلم .. وهم كأنهم أدركوا بتطورات حدثت فهربوا وأدركوا أن جديدا حدث في القصر ، وأن ملف القضية لم يغلق كما أشيع منذ شهور .

وتحدث منسي عن الرسالة التي اكتشفوها في حل لغزهم ، وقدمها لهم ليطلعوا على فحواها ، فلما قرأها الضابطان لم يزيدوا علما على ما يعرفه الرجال الثلاثة ، وفي الصباح كانت في انتظارهم مفاجأة كبيرة هزت القصر هزا .

قبل السابعة صباحا سمع صراخا في شقة الكوى والغسال (توماس برينو) ، فأسرع بعض المستيقظين نحو الجناح ، وطرقوا الباب بقوة ونادوا ، وقد وجدوه مغلقا ، وسمعوا الفتاة ماريانا تصيح بهستيريا تطلب منهم الابتعاد وعدم التدخل في شؤون الآخرين ، فأخبروا السكرتير ، فجاء مسرعا ومعه أحد الحراس مسلحا ، ودخلوا الغرفة عنوة ، فوجدوا الفتاة في حالة هياج والدماء تملأ أرض الشقة ، وأن الفتاة قد قتلت والديها بسكينة حادة قد سرقتها من المطبخ ـ سكينة فقدت منذ أيام ، وظنوا أنها وقعت خلف إحدى الخزائن الموجودة في المطبخ ، ولم يفطنوا أنها مسروقة لعدم حدوث مثل ذلك في القصر سابقا ؛ لتوفر السكاكين الصغيرة الحجم في الشقق لتقطيع الفواكه وغيرها ـ أمسك الحارس بالفتاة بشدة بعدما استولوا على السكين تحت تهديد السلاح ،وكان مايا يقول لها بحدة وغضب : لماذا صرعت والديك ؟!

وكانت المرأة أمها لم تمت بعد وما زالت على قيد الحياة ، فلما اكتشف مايا ذلك أسرع بالاتصال بطلب سيارة إسعاف من مستشفى جاد ، ثم اتصل بالعقيد حاتم مخبرا لهم بالحادث الرهيب ، وجاء حاتم ومالح واللواء منسي بعد دقائق ، فقاموا بحبس الفتاة بغرفة ، ووضعها تحت الحراسة حتى تصل الشرطة الرسمية للتحقيق في الجريمة ، وحاولوا إسعاف المرأة المصابة بعدة طعنات في جسمها ؛ ولكنها فارقت الحياة قبل وصول سيارة الإسعاف والشرطة ، ولكنها وهي تحتضر تكلمت بكلمات خطيرة فهمها مايا ، وهي تعترف بأن هذه الفتاة ليست ابنتها ، فابنتها مخطوفة في البرازيل لدى إحدى العصابات ، وأن الفتاة هي التي قامت باغتيال السيد المحترم ،

وفارقت الروح الجسد .

وفهم حاتم ومالح ومنسي الحكاية فورا ، فقال حاتم : إذن خطفوا الابنة الحقيقية ، ودسوا الابنة المزيفة على السيد بسيم لينالوا منه وقد أفلح الملاعين .

فقال منسي : خطفوا ابنتهما وارغموهما أن يزعما أنهما والدا هذه الفتاة ، وزوروا جواز سفر للفتاة باسم ابنة الغسال يا لها من حيلة جهنمية !.. فكيف سيكتشف الرجل أو حتى مايا أنها ليست ابنتهم ؟ وهم لم يروا البنت الحقيقية .. والكوى لا يستطيع الكلام حتى لا يخسر حياة ابنته أو ربما كل عائلته ..وحتى هو وزوجته .

فقال حاتم : نعم ، وأجبروهم على التعاون والصمت إذا كانوا راغبين ببقاء ابنتهم حية .. وكانت بين الحين والآخر تتحدث معهم ليطمئنوا أنها ما زالت على قيد الحياة وليبقوا صامتين هكذا قالت الفتاة في أول استجواب ، وفي أول سفر لمايا خارج البلاد أمروها بالتنفيذ .. تخطيط وتدبير محكم ومعقد .

فقال منسي : نعم ، هؤلاء الأشقياء لديهم صبر ، ولولا ظهور الكنز لهربت واختفت .. فجواز سفرها لدى داود بحكم الوظيفة ولكن لما قتلتها ؟!

ـ منذ ذاك الاتصال واختفاء رفاقها ، وهي تعيش في حالة نفسية متوترة ، ويوميا يسمع الخدم والعمال صراخهم وشجارهم .. فكلهم ضاقوا من بعض ، وركبهم الخوف ، وعلموا أن القضية لن تغلق حتى يعترف الجاني بجريمته ، وظنوا أن النهاية اقتربت ، فكان الرجل وزوجته يحثانها على الاعتراف ، ويهددونها بالاعتراف ، وكثر الشجار بينهم ، فاخفت السكين الكبيرة عن الطهاة ، والطهاة ظنوا أنها سقطت خلف الخزائن .. لم يخطر لهم أنها مسروقة .

٢٧

وبعد ساعات معدودات أتى رجال الشرطة والتحقيقات الجنائية والإسعاف السريع ومدعي الحق العام والطبيب الشرطي ، وامتلأ القصر بهؤلاء وغيرهم من رجال المختبر الجنائي والمصورين الجنائيين ، ولما نظر الطبيب وعاين الجثتين أكد أن السكين هي أداه القتل والتي أدت إلى النزيف وكسر عظام جمجمة الرجل ، وبين أن الرجل تفاجأ بالضربة ، فلم يحاول الدفاع عن رأسه ، وكرر الضرب بعنف ، وأما المرأة فقد تعرضت لضربات في الصدر والوجه والرأس ، وقام ضابط التحقيق بسماع أقوال الشهود في أحد الغرف التي جعلت مكتبا للشرطة ، ولما انتهى تصوير الجثث ومكان الجريمة والتحريز على السكين الكبيرة أمر المدعي العام بنقل الجثث للمستشفى لإجراء التشريح الكامل ، ومن ثم الاتصال بالوزارة ثم السفارة وإخبارهم عن مقتل رعاياهم لنقلها لبلادهم إذا أحبوا ذلك .

ولما نظر المحقق إلى الفتاة قالت بتحدٍ : أنا قتلتهما ولو كان لديّ وقت لصرعت نفسي ؛ولكن حال ذلك الحارس بيني وبين ذلك .

ـ هما ليسا أبويك ؟

ـ لا أمت لهما بصلة قرابة ، طُلب مني أن أقوم بانتحال شخصية ابنتهما لقتل السيد بسيم ، وقد فعلت .

ـ حسنا حسنا ! بما أنك أقررت سنأخذك للمدينة ، وإذا أحببت أن تكلفي محاميا فأهلا وسهلا وأمر ضابط التحقيق بنقلها بسيارة إلى دائرة أمن المنطقة ، وفتشت شقة الكوى الغسال ، فلم يوجد فيها شيء مهم ، إنما وجدت مليئة بعدد كبير من صناديق الدخان ، فحملوهما معهم للفتاة ومع غروب شمس نهار ذلك اليوم كانوا يغادرون القصر وبصحبتهم العقيد حاتم والمقدم مالح الذي قال لضابط التحقيق : ما زال أمامكم القبض على رفاقها .. وشرطة العاصمة تتحرى وتبحث ، وعلى أن تسمحوا لنا بمعرفة كيف ارتكبت جريمة قتل السيد بسيم ؟ لنقدم تقريرا نهائيا للمحامي داود وحفيد السيد بسيم المهندس أديب .

كانت قصة الفتاة كما جاء في اعترافاتها المسجلة والمترجمة ، أنها تعلمت في الجامعة ، وخلالها التقت بابنة الكوا الحقيقية (ماريانا) وتصاحبتا ، ومن صحبتها عرفت اسم السيد بسيم الجدية تاجر السلاح الدولي ، وكان لها صديق يكبرها بسنوات وكان يمدها بمادة المخدرات ، وأصبحت بدورها تدعم بها ابنة الكوا ، واستمرت الصداقة من سنوات الجامعة الأولى ، وكان صديقها وعشيقها يعمل ضمن عصابة في المنطقة ، ولها زعيم من زعماء المخدرات في المدينة ، وكانت الفتاتان تروجان المخدرات بين الطلاب والطالبات في الجامعة كغيرهن من الفتيات والفتيان ، فسوق التناول والتعاطي رائج في الجامعات بالإضافة للانحلال الخلقي والجنسي .. وأخبرت أن عشيقها أخبرها أن الزعيم يرغب بلقائها ورؤيتها ، فهو يبحث عن عشيقة جديدة فسافرت إليه طمعا بالمزيد من المال ، وإنها قد ملت صاحبها الطالب ، رحلت إلى منطقة يتحصن بها ، فأعجبه جمالها فور رؤيتها واتخذها زوجة أي عشيقة له وحده ، وهذه أمور مقبولة لدى رجال العصابات التخلي عن الصديقة والعشيقة لرجل لسيد آخر ، واتخذت منزلا في العاصمة وصار الرجل يتردد عليها وهي تتابع دراستها ، وقالت في الاعتراف : علمت أن صاحبي الجديد كان ابن رجل عصابات كبير ، وكان والده يمتد نشاطه إلى أغلب مدن القارة الأمريكية شمالا وجنوبا ، فكان والده له عصابة كبيرة بعكس صاحبي الابن ، ثم علمت منه أن والده الزعيم اغتيل على يد مهربي السلاح في كولومبيا وبوليفيا ، وكان المهرب الشرس اسمه سوباريو الذي قاد عملية قتل والد مانيو زوجي ، وقبل أن أتعرف عليه بسنوات التقى مانيو بسوباريو في إحدى عمليات التهريب ؛ لأن مهربي الأسلحة أحيانا يتم تمويل صفقاتهم بأموال المخدرات أو يعطون مخدرات مقابل الأسلحة المهربة ، خاصة في الحروب الأهلية ، وأقسم الرجل لمانيو أن قاتل أبيه رجل عربي اسمه بسيم الجدية ، وأن رجال الشرطة يعرفون ذلك ، فاتصل مانيو ببعض معارفه من رجال البوليس ، وعرف منهم أن السيد بسيم الجدية شارك في الكمين الذي نصب لعصابة والده ، وأنه من الشرق الأوسط فأخذ مانيو يجمع المعلومات عن هذا الرجل ؛ لأنه في عرف العصابات لابد للأبناء من الثأر والانتقام لإبائهم ولو بعد حين .. لأنه سيبقى صغيرا في

نظرهم حتى ينتقم .. ثم سافر الرجل للشرق الأوسط سائحا ، وزار مصر وتركيا وبلبل عاصمة هذه البلاد .. واستطاع أن يجمع الكثير من المعلومات عن الرجل ، أخذ يتردد بين الحين والحين إلى هنا لينال من الرجل ، ونشط عمله في المنطقة العربية لترويج المخدرات ، وعرف أن الرجل كثير السفر وكثير الحذر لأنه حاول النيل منه في البرازيل والأرجنتين ولم يوفق .. وأصبح له عملاء هنا لبيع ونقل المخدرات لمصر والخليج ولبنان خاصة ، ثم علم الرجل باستقرار السيد في القصر الصحراوي وقضى مانيو وقتا في مدينة جاد يدرس حيلة مكيدة يصل بها للقصر والنيل منه ، فكر بالترصد له في الطريق ؛ ولكن طبيعة الأرض الصحراوية لم تساعده ، وكذلك عمله في التهريب والقيادة يدفعانه للعودة للبلاد ، والرجل يملك عددا من الجنسيات أو الأصح الجوازات .. هذا كله قام به قبل أن يتخذني خليلة وقبل أن أجتمع به ، ولما ذكر الاسم أمامي أكثر من مرة تذكرت أن والديّ صديقتي في الجامعة يعملان في قصره .. فتفاجأ صاحبي بما أعلمته به ، ثم فكر بإرسالي للحياة في القصر على أني ابنة الكوا ، وكانت صاحبتي ماريانا توماس قد سقطت في وحل المخدرات والجنس مثلي ، واستطعت معرفة الكثير من المعلومات عنها وعن وأسرتها وعن حياتها .. فرتب بواسطة معارفه في السلطات بعمل جواز سفر لي باسم ابنة الكوا .. وأقنع الفتاة عن طريق أحد عشاقها أن تتصل بوالديها ليساعداها في العلاج والخلاص من المخدرات، وكانت قد تخرجت من الجامعة واشتغلت في مستشفى ، فلبى الوالدان النداء ورأوا وضع ابنتهم المرزي خاصة أنها ولدت سفاحا ، وأنا كنت قد زرت البلاد سائحة وقضيت عدة أسابيع هنا قبل دعوة والديّ (ماريانا) .. وأنا لا أستطيع أن أرفض المشاركة بعملية الانتقام مع زوجي فمصيري القتل وإلقاء جثتي في الأمازون مع كمية من المخدرات .. العمل مع العصابات لا يوجد فيه لا ..لكن يسمح بطلب وسائل النجاة .. فلما جاء الكوا وزوجته ورأوا حال ابنتهم اتصلوا بهايا والسيد بسيم لطلب موافقتهم بسفرها معهم للعلاج من الإدمان والعمل في القصر ، ولم يطل تفكير السيد بسيم بموافقته لما قرأ رسالة الاستعطاف بمجيئها معهم وعلاجها على حسابه ، وهو على علم سابق بمصير أبناء الوالدين

الآخرين .. وقبل السفر خطفت الفتاة وقابل الزعيم الكوا وأخبره عن نفسه .. فبكى الرجل وتوسل دون فائدة ، ثم وافق على سفري على أنني ابنته ، والتحقت بالعمل في القصر بعد رحلة علاج قصيرة وفاشلة ، ونجحت بالوجود في قصر بسيم على أنني ابنة الكوا توماس ، وكانت الفتاة بين الحين والآخر تتصل بأبيها وتطمئنه على حياتها وأنها ما زالت حية مخطوفة ، ولم يسمح لها بذكر اسمها على الهاتف ، كان الاتصال معنا ليطمئن الرجل على أنها قيد الحياة ، ولم تكن اتصالاتهم كثيرة .. وأنا كنت أعلم المعاناة التي يعانيها الرجل وزوجته ، وفكرت مرات ومرات بالتخلي عن المهمة ؛ لكن يغلبني الخوف على حياتي وحياة أسرتي بالفناء فأبقى مستسلمة .. وزارني مانيو وكنا نلتقي في بلبل في شقق يستأجرها له أعوانه .. واطلعته على وسائل الأمن والحماية العامة والخاصة للرجل .. وصعوبة إدخال السلاح والرصاص وأدوات القتل الأخرى دون كشف أمري .. فطلب مني تزويدي بنوع الرصاص المتوفر لدى الحراس وهذا ليس صعبا معرفته .. واستمر الانتظار ثلاث سنوات لتنفيذ الجريمة ..الزعيم لابد له من قتل السيد بسيم ولابد لي من تنفيذ العملية .. لأن حياتي وحياة صاحبتي وأسرتي وأسرتها بموت السيد بسيم ، فلا يمكن التردد .. وعرفني بالشابين في المدينة الذين ظاهرهما طلابا وباطنهما مهربي مخدرات ، وهما في الحقيقة لمتابعتي في الجريمة وتنفيذها .

وأثناء علاجي في أحد مراكز العلاج من المخدرات تعرفت على بعض هؤلاء المدمنين ، وكونت صداقات معهم ، وأخذت أرقام هواتف للاتصال بهم عند الحاجة وبعد الخروج ، وكانت الخطة أن اعمل في القصر كابنة للكوا وزوجته ، وأنني مدمنة ، وأتعاطى المخدرات ، كلما أخرج من القصر أسعى للخمر والمخدرات لأظهر أن العلاج لم يجد بي نفعا ، وأحاول إدخال المخدرات للقصر لإظهار أنني ما زلت مدمنة لأجد حيلة لإدخال مسدس كالذي يملكه الحرس ، أكون مشاغبة مع الحرس ، وفي نفس الوقت أوحي لهم أنني مسكينة ؛ ولكنها تعشق المخدرات والدعارة وأمارس هذه الأعمال عند قضاء إجازتي سواء في جاد أو غيرها من المدن ، واطمئن لي سكان القصر ما أنا إلا مدمنة مريضة تعاني .. وزارني زوجي عدة مرات ، وأعطاني مسدسا

حسب المعلومات التي نقلتها له وفككه إلى قطع ، وطلب مني تهريبه للقصر على فترات وهو يقول : صبرنا سنينا يا ماريانا ـ حتى أصبحت أنادى بهذا الاسم ـ وفي أول فرصة يغادر مايا عين بسيم القصر عليك أن تقتلي السيد ، ووفر لي قرص تخدير استعمله لتخدير السيد قبل قتله وهذا القرص إذا فتحت علبته ينتشر غازه خلال ثوان ويؤثر سريعا على مستنشقه ، وكنت عندما أخرج من القصر في بعض المرات أتغيب في المدينة يوما يومين ، وكانوا يغضون الطرف عني من أجل والديّ الذين خدما السيد منذ إنشاء القصر ، وكنت اشتري صناديق الحلوى ومن خلالها أدخلت المسدس وبعض الرصاصات وقرص التخدير وأخفيتها داخل القصر للوقت المناسب ، وأنا أحسن العمل بالمسدس ، فقد تعلمت ذلك منذ صاحبت عشيقي الأول ؛ لأننا كنا أثناء نقل المخدرات لأماكن خطرة نكون مسلحين للدفاع عن النفس ، طبعا كان من الصعوبة قتل الرجل في غرفه نومه ؛ لأنني من الصعب عليّ معرفة أي الغرف قد نام فيها ، فكان لابد من قتله قبل النوم وقبل فصل الطوابق وعزلها .. فبعد سفر مايا المفاجئ ، وعلمت أنه سيقضى شهرا في بلاده أخبرت مرافقيّ بذلك فجاء الطلب من الزعيم بالإسراع بتنفيذ الجريمة كما رتب وكما رأيت ، وجاء زوجي عاجلا وشد من أزري وقال لي: عندما ينتهي التحقيق سيتم إخلاء القصر من الموظفين ، وسأعود للبلاد وسأعيش معه للأبد ، وسيحاول الإنجاب مني ليكون ابنه بطلا مثل أمه .. وبعد تشجيعه لي غادر البلاد وأوصى الرجلين بمتابعة المهمة معي ، ولما وصل البلاد اتصل بي مشجعا .. وعدت للقصر ببعض الحلوى كالعادة التي اتبعتها لإدخال المسدس والرصاصات وقرص التخدير .. وليلة الجريمة تركت العمل كالعادة ، انتهينا من الطعام وذهبت لغرفة التدخين ودخنت سيجارة أو اكثر كالعادة زعمت أنني سأدخل الحمام ، وذهبت باتجاهه ثم غادرته إلى جهة المصعد وصعدت للطابق الثالث ، ورأيت الحارس يمر محييا للسيد ، ودخل السيد الغرفة التي قتل فيها ، وطرقت الباب عليه ، ففتح متفاجأ ، واعتذرت له عن الإزعاج الذي أسببه له ولأبي وأمي ، وطلبت منه أن يسهل سفري للعودة للبلاد .. فسامحني وقال : إنه سيدرس الأمر وإنما يؤخره من أجل والديّ الذين اقترب إنهاء خدماتها حسب شركة

الضمان الاجتماعي .. ووعدته مجددا بمحاولة التخلص من المخدرات ، وأثناء الحديث فتحت القرص من علبته ، وعندما تفتح العلبة تبدأ الرائحة بعد وقت بالانتشار فغادرته فقال لي اغلقي الباب ورائك ففعلت ، وقد تركت القرص تحت السرير ، واختبأت في إحدى الزوايا خشية أن يصدفني أحد مع أنه من النادر خروج أحد الموظفين إلى أعلى سوى مايا وخادمه الخاص الذي انهى خدمته بعد عشاء السيد كما عرفت ذلك خلال متابعتنا للسيد ومحرم علينا الصعود للطابق الثاني والثالث ..وكان معي مجموعة من المفاتيح التي تفتح أغلب الأقفال هربتها أيضا بصناديق الحلوى .. فهؤلاء الحرس عندما يأخذوا مني قطع المخدرات التي عودتهم على الاهتمام بها ، ويعرفون أنني لابد لي من إدخال جرعة من بودرة المخدرات .. ويفتحون صندوق الحلوى وينظرون فيه نظرة سريعة ، وربما تناول أحدهم قطعة ويأكلها وهو يأسف عن مصادرة المخدرات ، وأتظاهر طبعا بالسخط والغضب ، وربما أسب ثم أغلق صندوقي ، وأدخل وأنا مستمرة بالغضب على أخذ الحشيشة ، ولما طلب مني السيد إغلاق الباب ورائي وكنت أسقطت قرص المخدر بعدما فتحته أثناء الحديث معه ، فتركته قريبا من السرير بعد أن نزل من جيب سروالي المثقوب، وقبل أن أنصرف دفعته بطرف حذائي إلى أسفل التخت ، وغادرت ولم أغلق الباب إغلاقا كاملا ، تظاهرت بأنني لم أسمع الأمر ، واختبأت مدة خمس دقائق، ثم تقدمت من الباب فسمعت الرجل يتكلم بالتلفون ، ثم قطعت المكالمة ، ففتحت الباب ودخلت فأغلقت سماعة الهاتف ، وقد جهزت المسدس المزود بكاتم صوت ، وكانت السيد نائما مخدرا فألصقت المسدس قرب جبهته وأطلقت الرصاصة ، وفتحت شباك الحجرة وأخذت بقايا قرص التخدير وهي كمية ضئيلة ، وفعلت ذلك وأنا ألبس قفازات طبية ، وخرجت بهدوء وأغلقت الباب ورائي ، وأخفيت المسدس وكاتم الصوت وعلبة قرص التخدير.. أما القرص فقد ذاب كليا ، وتسللت لحجرة الكوا ، وأعلمتهما بتنفيذ الجريمة فجزعا وبكيا ، وبعد هدوءهما طلبت منهما القول بأنني كنت معهما في الشقة بعد مجيئ من غرفة التدخين ، وتناولت شيئا من المخدرات أدخلته بوسائلي الخاصة ، وأنا ابنة عصابات ونفذت عددا من عمليات البيع والنقل فالخوف غير

معروف لديّ وأستطيع بلع كمية وتبرزها .

وبينت أنها أخفت المسدس في أحد الأجهزة الموجودة في المكتبة ، وأنها كانت تسير بالجوارب عندما دخلت على السيد لتقتله ، والرصاصات أخفتها في مزهرية في أحد الممرات ، ثم نقلتها فيما بعد إلى البستان ، ثم ألقتها في الصحراء أثناء مغادرتها القصر ، فهم عند المغادرة للقصر لا يتعرضون للتفتيش ، وكاتم الصوت في سيفون حمام ، ورأت أنها تحتاج لوقت لتكتشف ، وغسلت القفازات والجوارب في الشقة ، وقالت : تظاهرنا بأننا بعد العشاء وشرب الشاي وغيره أننا في شقتنا جميعا خاصة أنا ، ولم أهتم بمقتل الرجل ، ولم أكن له أي عاطفة ؛ لأنني جئت إلى القصر في مهمة ، وهو قليل الاختلاط بمن يعملون في القصر ..وكنت أظن أن تكتشف الجريمة صباحا أو عند صلاة الفجر عندما يأتي ميعاد الصلاة ويطلب الخادم ؛ ولكنه لما شعر بالاختناق اتصل بطبيبه جادور صديق القصر ، ولما جاء اكتشفت الجريمة ، وتظاهرنا بالدهشة والمفاجأة كسائر سكان القصر ..قلقت إلى حد كبير من ضعف الرجل وزوجته ؛ ولكني ذكرتهما أن حياتي وحياة ابنتهم وأسرتي وأسرتهم بخطر إذا لم نكتم الأمر ونبقى أم وأب وابنتهما ، فلزموا الصمت مكرهين ومضطرين ، ورأوا كما قلت لهم إن الكلام لم يعد ينفع بعد قتل السيد ، وقلت لهما : أيام شهر اثنان ثم سيغلق القصر ، ويصرف الموظفون إلى بلادهم وسيكرمهم الزعيم بالمال والثروة والعفو عن ابنتهم الحقيقية ، فلزموا الصمت ، فقالوا أمام التحقيق ما فعلوه هم بأنفسهم ، وفقط شهدوا بأنني بعد ترك غرفة التدخين جئت للشقة وتحدثنا قليلا ، ثم انصرفت لحجرتي لمشاهدة فيديو .

ولما انتهى التحقيق وخرجنا كالعادة لجاد ولبلبل ، ظللت على نفس العادات ، فجاء مانيو وقابلني في العاصمة ، وأثنى عليّ ووعدني بإشهار زواجنا ، وحثني على الصبر حتى ينتهي صرفنا من القصر ، وأوصى رجليه عليّ ، وعاد للبرازيل عن طريق الهند .. ومنعنا من السفر حتى يغلق ملف القضية نهائيا ، وطال الوقت وسمعنا عن حكاية الكنز وتجدد التحقيق الجنائي ، فاضطررت للاتصال العاجل بصاحبيّ زوجي مانيو مخبرا بالأمر بعدما أعادوا الاتصال بي ..

والوضع اليوم يختلف عن وقت الجريمة ، لقد ماتت ابنة الكوا من جرعة زائدة من المخدرات ، وهما يعلمان بموت ابنتهما من اتصال بهم من أخت الزوجة حتى أن مايا فكر بالسماح لهم بالسفر لحضور الدفن ، ومايا ورامان لم يفطنوا أنني ابنة مزيفة ، فهم اعتقدوا أن للرجل عدة بنات ، وساورني القلق فالتهديد والتوسل الذي كانت تقدمه صاحبتي بين أيديهما للصبر من أجل حياتها اختفى ، وأخذت أتظاهر بطلبي للمخدرات والاتصال بالأوكار التي أعرفها بحكم علاقتي مع شباب المخدرات ، ومايا والحراس وغيرهم من أهل القصر يعرف ذلك عني وأنني مدمنة ..فكل خروج عليّ بالتعاطي والعودة سكرانة .. وكنت أدرك أن الشرطة تطاردني وتشك بي هذه المرة أكثر من الأول .. وقد عجزت عن الاتصال بصاحبيّ هنا ، ثم تلقيت اتصالا وعلمت أنهما سيختفيان لحين من الزمن ، وكانت المشاكل تثور بيني وبين من زعمت أنهما أبواي أدركت أن وضعهما النفسي على وشك الانهيار والإقرار للشرطة .. وأنا نفست تعبت وزاد توتري من تخلي الجميع عني ، ولم يعد يرد أحد على تلفوناتي هنا أو هناك حتى كنا ذات ليلة فقال الرجل : أنا تعبت يا (ماريانا المزيفة) من الصمت ، وماتت البنت التي كنت أصمت من أجل حياتها وبكائها حتى آيست عن حياة الرجل الذي أعمل معه .. عليك أن تعترفي للبوليس ، فهم لن يتركونا نسافر ما لم يقبضوا عليك .

ومع تكرر هذه الأسطوانة المشروخة فقدت السيطرة على أعصابي وقررت قتلهما والتظاهر بالجنون ، وأن المخدرات دفعتني لقتلهما ، وليس الخوف من اكتشاف قتلي للسيد .

قال حاتم بعدما اطلع على اعترافات الفتاة: أتذكر يوم قلت لك يا مالح إنني عندما سألت مركز الإدمان عن هذه الفتاة ؟ قالوا لي إنها لم تكن مدمنة بمعنى مدمنة ، فهي تعرف المخدرات وتتعاطها ؛ ولكنها لم تكن وصلت لمرحلة الإدمان فاستغربت ذلك.. فاليوم فهمت ذلك فهي تاجرة مخدرات أكثر منها مدمنة .

٢٨

بعد مغادرة الشرطة القصر بعد الأحداث المرعبة عقد منسي اجتماعا لفريق البحث فقال لهم :
أيها السادة الطيبون مع هذا الحدث المرعب والمؤلم للقلوب أتذكر رسالة السيد جاءني الهام أن أقرأ الرسالة الخاصة ، فوضعت الصفحتين أمامي وقرأتها مرة جديدة ، فلاحظت أن الرجل ذكر نفسه صراحة ثلاث مرات باسم جدك بسيم الجدية وفي النهاية جدك بسيم الجدية لعل هذا التكرار لاسمه في نفس الرسالة يشير إلى طابق البداية الطابق الثالث حيث نجتمع الآن .. ومقتل هذين البرازيليين ومقتل بسيم قبلهما ذكرني باسمه المكرر في الرسالة ، وذكر في رسالته الموت حق .. لعل هذا اسم لكتاب في مكتبته ؛ فليكن عملنا في مكتبة الطابق الثالث عن كتاب اسمه الموت .. الموت حق .. اسم له علاقة بالموت .

فقال شاهر : هل نشرك النساء معنا لإشغالهن بشيء ؛ لنسيان الحادث العاصف ؟

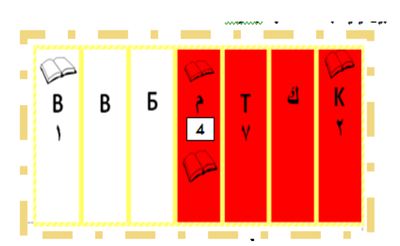
فقال حسن : جئن كما زعمن لمساعدتنا ودعمنا ، فانشغلن بالتنزه واللهو والثرثرة ، وقد غرقن بين أشجار البستان .. فلنتركهنّ على حريتهنّ ..ولا أعتقد أن موت هذه الأسرة الأجنبية أثّر فيهنّ .. لم يعد أي موت يؤثر في الناس اليوم .

فقال منسي عائدا للغز : تذكرون الكرت حرف بي **B** العمود الأيسر من البطاقة ، ولاحظوا أن **B** فوقها كتاب صورة كتاب أي مكتبة الطابق الثالث في نظري ، وتحتها ١ فلنبحث في الرف الأعلى من الخزائن السبع على أنه واحد ، ثم في الرف الأسفل على أنه واحد .

وانتقل القوم إلى مكتبة الطابق الثالث ، فلما أصبحوا أمام الواجهة التي تشبه الكرت مفتاح كل اللغز ، فقال منسي لهم :سنبدأ من الرف الأعلى من كل الخزائن السبع سنعتبره رقم واحد سأبدأ أنا من اليمين ، وشاهر من اليسار ، وأنت يا حسن من الخزانة الوسطى الرابعة سواء عددنا من اليمين أم اليسار .

ولم يطل البحث في الرف السابع من الخزانة الوسطى ، فقد وجد حسن كتابين في الرف يحملان اسم الموت ، ووجد منسي كتابا يحمل اسم الموت حق ، ومثلهم شاهر ، فقال منسي : فقبل أن

نقلب في صفحات هذه الكتب علينا المتابعة لإخراج الكتب المعنونة بالموت في هذه الرفوف السبعة .



ووجدوا في باقي الرفوف العليا كتبا تحمل عنوان الموت ، ولما انتهى التفتيش ، قال منسي : أصبح لدينا عشرة كتب فيها لفظة الموت .. كتاب الموت .. قصة الموت .. حقيقة الموت .. الموت لا مفر منه.. الموت حق .. أحياكم وأماتكم ..ملك الموت .. لا فرار من الموت .. حياتنا بعد الموت .. جاءكم الموت .. هذه عشرة كتب بعناوينها ، فبعضها كما رأيتم جاء صريحا في رسالة السيد لحفيده .. مثل كتاب الموت وكتاب الموت حق على كل واحد منا تصفح كتابا بحثا عن رسالة خاصة فيه كما فعلنا في مكتبة قصر أديب .. وإذا لم نجد شيئا نتصفح غيره .. ثم ننتقل للرف الأسفل ونعتبره رقم واحد .

أخذ كل واحد كتابا وبدأ التقليب والتحري ، ودخلت عليهم النساء وهم مستغرقون في البحث والصمت يخيم على المكان ، فشرح لهنّ منسي الأمر واشركهنّ في عملية البحث والتنقيب ، فتناولت كل واحدة مجلدا وذهبت إلى الجلوس على أحد مقاعد المكتبة يبحثن عن رسالة جديدة وكان من نصيب زوجة السيد حسن أن تجد في إحدى صفحات كتاب الموت حق شبكة مربعات ، ورأسها سهم للأسفل ، فقالت مضطربة : يا منسي يا أبا ضياء لعل هنا رسالة من السيد بسيم !

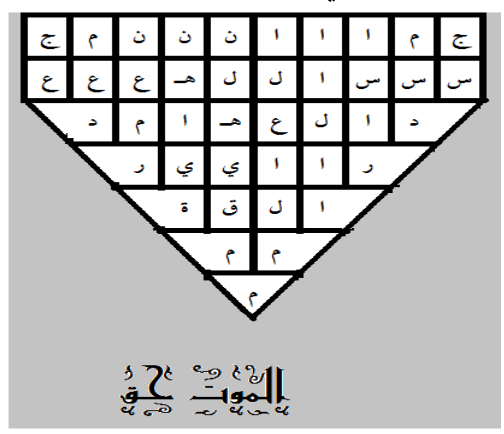
اقترب منها زوجها بعدما ترك الكتاب الذي كان يقلب صفحاته ، ونظر الشكل والحروف . فقال حسن رافعا يده لأعلى : أجل ! توقفوا أيها السادة ، وجدت الرسالة في هذا الكتاب الذي كان يجب أن نبدأ به ؛ لأنه موجود اسمه صراحة في الرسالة الموت حق .

أخذ المنسي الكتاب من يد حسن ، ونظر الشكل ثم رسمه على ورقة بشكل مكبر عما هو في

الكتاب ، ثم تتابع القوم برسم ونقل الشكل إلى ملفاتهم وأوراقهم ، وقال منسي : أعتقد كما قال الأخ حسن الرسالة في هذا المربع أو هذه الشبكة .. ونظر لزوجته نظرة خاصة ، ولما ابتسمت لنظرته إليها قال : أم ضياء العزيزة تقضي جل وقتها تحل شبكات الكلمات المتقاطعة في كل الصحف والمجلات التي تدخل البيت ..

فقالت ضاحكة ومتحدية : سوف أحل هذه الشبكة . وكانت قد انتهت من رسم نسختها .

فلما نظرت زوجة منسي الشكل والحروف بعض دقائق قالت : أعتقد أني فهمتها ، ثم تابعت بانفعال واضح : هذه طبعا كما قال المنسي شبيهة بالكلمات المتقاطعة



شكلا .. أو شبكات إخراج الكلمات لتبقى لدينا كلمة أو جملة مركبة من كلمتين أو حكمة أو مثل .. صور شتى لهذا النموذج من الشبكات .. فالعمود الرابع من اليسار في هذه الشبكة الهرم المقلوب لدينا كلمة لها معنى كلمة نهاية وفي العمود السادس من اليسار الخامس من اليمين كلمة العالم ولها معنى ، والسهم من الشكل الهرم المقلوب انزل الطابق الثاني وابحث عن كتاب اسمه نهاية العالم .

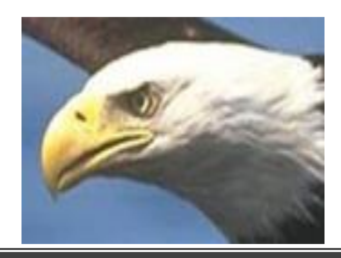
صفق الجميع للسيدة ، وكان الأمر بسيطا لدرجة مدهشة ، واحتفلوا بنجاحها بطلب إبريق من الشاي وإبريق من القهوة وبعض الفاكهة ، وانتقلوا لقاعة الطعام ، وعلق منسي وهم ينتقلون في انتظار وصول طلباتهم بصوت علني : ها قد نفعتنا تسليتك ولهوك بالشبكات يا أم ضياء .. والطابق الثاني سيغلق حسب نظام القصر بعد قليل .. وبعد شرب الشاي والقهوة سنطلب

العشاء .. فبعد هذا التقدم علينا أن نريح أبداننا بعض الوقت .. وصباحا بعونه تعالى نتابع التنقيب ؛ فإذا وجدنا كتاب نهاية العالم في مكتبة الطابق الثاني كان شغلنا صحيحا فنتابع العمل لأنه قد يكون هناك شبكات أخرى ، فنحن لم نبحث في كل الكتب التي فيها الموت .. وحتى كتاب الموت حق عندما اكتشفت الأخت (أم جمال) الشبكة ، لم نبحث عن غيرها ؛ فربما وضع لنا شبكات خداعية .. وربما كانت ضربة حظ .

قال شاهر : هذا ممكن من الرجل الذكي رحمه الله .

فهزّ الجميع رؤوسهم مؤيدين لوجهة نظر السيد منسي ، ووافق الجميع على التعمق في قراءة الورقة التي رسمها للشبكة وإبداء أي استدراك أو ملاحظة ، وأحضر الخدم المطلوب ، وقدم لهم منسي قائمة بالمناسب للعشاء والشراب .. وبعد كل ذلك من الطعام والفواكه وصلت الساعة لمنتصف الليل فانصرفوا لمناماتهم ، وطلب منسي منهم في الصباح قبل النزول لمكتبة الطابق الثاني التفتيش في الكتب الأخرى التي تحمل لفظة الموت .

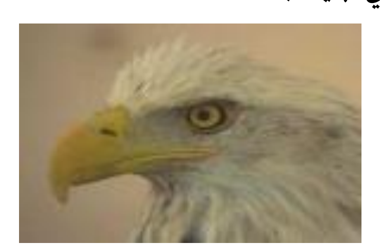
وبينما هم مشغولون ببحثهم جاءت الشرطة تبحث عن مسدس الجريمة المسدس الذي قتل به السيد ، فكان مخفيا في داخل إحدى الطابعات القديمة ، ثم أخرجوا كاتم الصوت من مكان آخر ، دلتهم عليهما الفتاة أثناء اعترافها .



٢٩

اتصل المحامي داود بأديب مخبرا إياه أنه حصل تقدم آخر في الوصول لكنز بسيم الجدية كما تقدموا في الوصول للخائنة القاتلة .

فعبر المهندس عن شكره لمحاميه ، وأثنى مجددا على مساعيه وجهوده التي يبذلها ، واعلمه أنه سيلتحق بالقصر مع نسيبه بشر وخاله محسن ، وطلب من المحامي بعد انتهاء التحقيق الجنائي أن يبدأ بصرف العمال ودفع المستحقات المالية لهم مع المكافآت المناسبة ، وتذاكر الطيران إلى بلدانهم ، فقال المحامي بعد سماعه طلبات المهندس وشكره : سألحق بكم أيضا آخر الأسبوع وهناك سنتحدث مع السيد السكرتير مايا لنبدأ في تصفية العمال والموظفين ، لأن الشرطة أنهت تقريبا تحقيقاتها وأعلمتني أن بإمكاننا إنهاء خدماتهم والسماح لهم بالعودة لبلدانهم إذا استغنينا عن عملهم.. وتابعت قضية نقل جثتي توماس وزوجته لموطنه وقريته الهندية ..وسترسل لعائلته الحقوق المالية وجميع أموال الاقتطاع من شركة التقاعد .. ولكن تبقى قضية حراسة القصر وبعض الأعمال التي لا غنى عنها مثل البستان والطعام للحرس ومايا حتى يباع القصر نهائيا .. وكذلك بعض الخدم لتنظيف القصر .. القصر يحتاج إلى هيكلة وترتيب إداري جديد يا أديب سنتكلم حول ذلك في نهاية الجمعة .



كان المنسي قد أجل البحث عندما جاءت الشرطة تبحث عن سلاح الجريمة ، وأدوات الجريمة الكاتم والعلبة ، فقضوا يومهم في البساتين ، ثم مشاهدة محطات البث الفضائي التي بدأت تشيع في ذلك الوقت من التاريخ وتزداد .

في الصباح التالي بعد تناول الجميع وجبة الإفطار قال لهم منسي : أخبرني المحامي عند اتصالي به ليلة أمس كالعادة المتبعة بيننا بتقديم فكرة له عن نشاطنا أن السادة أديب وأصهاره سيلتحقون

بنا وهو سيكون بيننا نهار الجمعة .. وسيدفع للقصر طاهيين عربين تعاقد معهم محامي جاد حتى إنهاء مهمتنا في هذا المكان ، وسيزيد عدد الخدم من اثنين إلى أربعة غير الطهاة وهم سيبدأون بتقليص سكان القصر الذين لم يعد القصر بحاجة لعملهم ، ووجبة الغداء سيستمر مطعم جاد بتوفيرها حسب مشيئتنا ورغبتنا ، وسيرسل لنا وكيله في جاد الماء المعلب والفواكه يوميا كما وعد سابقا .

فقال شاهر : فعلا الكثير من الموظفين لم يعد القصر بحاجة لهم بعد موت سيد القصر .. على الجميع أن يرحل .

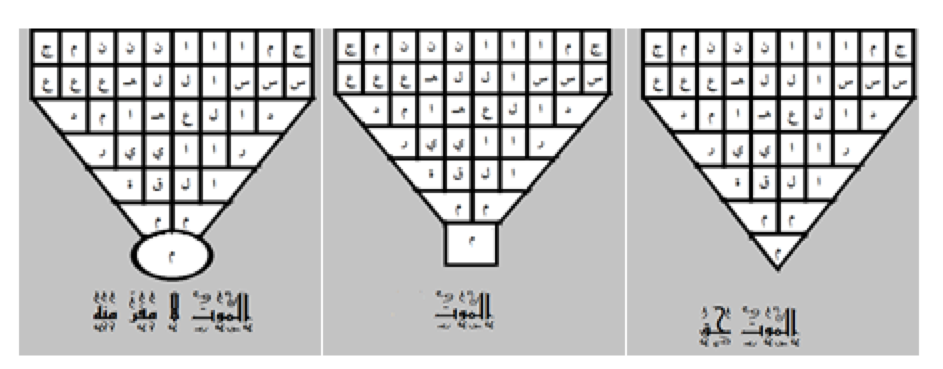
وأضاف حسن فقال : الغاية من وجودهم انتهت ، والسيد أديب كما علمتم يسعى للخلاص من هذا الكنز الكبير وحتى من شركات جده في الخارج ، وعلمت أن المحامي يسعى لتصفية شركاته أو بيع حصصه فيها .. والأمور تسير حول ذلك .. لا يريد أن يتمدد للخارج كجده بسيم .

فقال منسي : والآن بعدما أخذنا حظنا من الزاد بحمد الله وشربنا الشاي سنذهب للمكتبة هنا ونعاود النظر والبحث في الكتب العشرة التي أخرجناها من رفوفها ، ونبحث عن المزيد من الشبكات والرسائل حتى نطمئن أن الرجل يقصد فعلا كتاب الموت حق ، وأن الشبكة التي وجدتها أم جمال هي الشبكة الوحيدة التي اطلعنا عليها أول أمس .

فقال حسن : علينا فعلا أن نفتش تلك الكتب بدقة وجلد .

مشوا نحو قاعة المكتبة في الطابق الثالث ، وهناك طلب المنسي منهم إخراج الكتب التي تحمل اسم الموت من الرفوف السفلى ، فقامت النساء بهذه المهمة ، وتابع الرجال التصفح في الكتب العشرة التي أخرجت سابقا من الرفوف العليا ، ووجد القوم في أحد الكتب شبكة ثانية وتشبه الشبكة التي وجدوها ، والعجيب أنهم وجدوا نفس الشكل والحروف ، ثم وجدوا في كتاب آخر شبكة ثالثة .. وكان السيد قد جعل هذه الشبكات كصفحة ضمن كتاب مجلد كما حصل لهم عندما وجدوا رسالته المطبوعة في كتاب بلغة برازيلية .

ووجدت النسوة كتابا في الرف الأول الأسفل كتابا عن الموت ، ولكنهم لم يجدوا فيه شبكة، فقال حسن : بين أيدينا ثلاث شبكات فاعتقد أن شبكة الموت حق هي الشبكة المقصودة نهاية العالم هو الكتاب المطلوب البحث عنه في الطابق الأسفل



طلب منسي منهم النظر والتفكر في الشبكات من جديد ، فلماذا ترك الرجل ثلاث شبكات .. أللخداع أم أن الشبكات تكمل بعضها البعض ؟ فلم يجدوا اختلافا بينها إلا في رأس السهم أو الهرم المقلوب .

فتسأل شاهر : هل في ذلك رسالة يا ترى ؟!

قال منسي : أعتقد أنه فعل ذلك للتشويش ، وأيضا تسهيل الانتقال للخطوة التالية ما دامت الأشكال متشابهة رسما ومساحة وأحرفا ، وكلها تشير لكتاب اسمه نهاية العالم ؛ لأنه في العادة عندما يجد الباحث عن الكنز إحدى هذه الشبكات سيتوقف عن البحث ليحللها ؛ فإذا عرف ما عرفنا من اسم الكتاب سينزل للأسفل فورا وبلهفة .. فهي عملية للتسهيل إلى مرحلة أخرى والتشويش في نفس الحين .. وعموما إذا لم نجد كتاب نهاية العالم في الأسفل نعاود التفكير في هذه الشبكات من جديد .

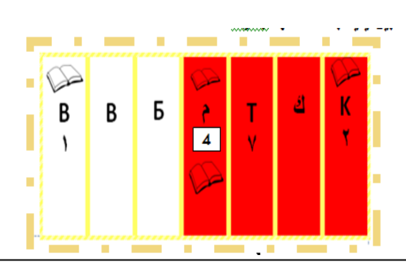
فقال حسن : كلامك معقول يا حضرة اللواء ؛ وقد يكون في وجود ثلاث شبكات إشارة لوجود ثلاثة كتب تحمل اسم الكتاب نهاية العالم .

فقال منسي وهو يهز رأسه مقتنعا : ممكن ، فهنا وجدنا في الرفوف العليا كما شاهدتم عشرة كتب فيها الموت والكتاب الذي وجدنا فيه الشبكة الموت حق أحدها .. وسنحتفظ بهذه

الكتب الثلاثة التي وجدنا فيها الشبكات قد نعود إليها في وقت لاحق .. فلتبق كل الكتب التي فتشناها على طاولات القراءة .. ولننزل للأسفل أيها الكرام .. ولاحظوا أننا في قصر أديب في العاصمة بلبل كان الكرت حرف م الرف ٤ وصورة الكتاب مرتين .. وهنا **B** الرف الأول من جميع الخزائن ..ويبقى عندنا حرف **K** رقم ٢ و **T** رقم ٧ ، فهذه الأرقام لها دلالاتها أيها السادة لم تكن عبثا أو تشويشا لابد أنكم لاحظتم هذا ؟!

فقال شاهر : صدقت وأحسنت إنها عوامل مساعدة للباحث .. فالرجل يريد منا أن نصل للكنز ببذل بعض الجهد .

أضاء منسي الذي كان يتقدم الفريق مكتبة الطابق الثاني ، وكان مايا قد أمر بعض الخادمات بتنظيفها للفريق بعدما علم أن العمل سينتقل إليها .



٣٠

وقف منسي مخاطبا لهم : المهمة واضحة بالنسبة لكم البطاقة ترشدنا للبحث في الرف الثاني أو السابع ، وليكن البحث من الأعلى كما حصل لنا في مكتبة الطابق الثالث ، كل واحد يأخذ الرف الثاني من أعلى السادس من أسفل ، ويبقى رف الذي ينهي رفه قبل غيره ينتقل إليه .. وإذا لم نجد نهاية العالم ننزل للرف الثاني من الأسفل إلى الأعلى .. فإذا لم يوجد في كل هذه الرفوف ننتقل للرف السابع من كل هذه الخزائن سواء من أعلى أو من أسفل .. هيا أبدأوا .

ولم يستغرق البحث طويلا فقد وجدوا ثلاث نسخ تحمل كتاب اسمه نهاية العالم ، وجدوها في الرفوف رقم اثنين من الأعلى ؛ ولكن منسي طلب منهم البحث في رقم اثنين من أسفل ، فلم يجدوا كتابا بذلك الاسم ، فطلب منهم البحث في رقم سبعة أو واحد على أنه سبعة من العد نزولا ، وكذلك لم يجدوا كتابا يحمل اسم نهاية العالم فيها .

فعلق شاهر : البطاقة الأساس لها دور كبير ومهم في عملنا .

فقال منسي : كل رجل منا وأهله يبحثون في نسخة عن رسالة السيد في هذه المرحلة .

بعد حين يسير قال حسن : الكتاب واحد هل لاحظتم ذلك ؟! إنما هي ثلاث نسخ لمصنف واحد .

قال منسي : جيد سيد حسن هو كما قلت ! كتاب منه نسخ .. فكما قلنا في شبكة الموت أعلى ؛ ربما هي للتشويش أو التسهيل علينا .. لحتى الآن لم نر فائدة لتكرار الشبكات في الأعلى .

قال شاهر : وجدنا في نسختنا مجموعة من الأرقام فوق بعضها البعض على شكل ملفت للنظر إنها ١٢ رقما .

تطلع إليها منسي وحسن فقال منسي : أي صفحة ؟

شاهر : ٢٩٩

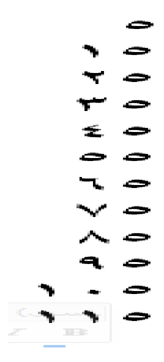
فتح منسي نسخته صفحة ٢٩٩ فقال بعد نظر : الصفحة عندي لا يوجد فيها أرقامك.. وأنت يا حسن ؟

ـ لا يوجد بها أرقام شاهر

ـ فلنتابع البحث جميعا استعرض ما تبقى من صفحات الكتاب يا شاهر

لقد كانت الأرقام التي وجدها شاهر في صفحة ٢٩٩ من كتاب نهاية العالم مرتبة على شكل صفوف ، وعلى هامش الكتاب وبقلم حبر جاف ، ليست مطبوعة ، ومضافة لهامش الصفحة الأيمن ، فبعد حين وجدت أسرة حسن الهامش في صفحة ٢٤٩ ، وفيه ١٢ رقما ، ووجد منسي وزوجته الهامش الثالث في صفحة ٣٠٩ ، فقال منسي حاسما : هذه هي رسالة السيد في هذه المرحلة ، لينقل كل واحد منا أرقامه على ورقة ، واعتقد أن كل هامش يشكل كلمة ، ومن مجموعها اسم كتاب في مكتبة الطابق الأول ، وهي طريقة شيفرة سهلة ، ويستخدمها الهواة أكثر من المحترفين.

وبعد صمت للحظات شرح قائلا : رقم يعني رقم صفحة في هذه الكتاب ، ورقم آخر يعني سطر في تلك الصفحة ، والرقم الثالث يعني حرف في ذلك السطر ، فمن مجموع الحروف ينتج لدينا اسم كتاب إذا كان الخطوة التالية كتاب ..



فأرقام السيد حسن انظروا إليها الموجودة في صفحة ٢٤٩

أعتقد أنها تعني رقم الصفحة من هذا الكتاب ؛ لأنه في الكتب من القليل والنادر أن يبلغ ويكون في الصفحة ٥٥ سطرا أو مائة سطر إلا إذا كان كتابا خاصا أو جريدة ، ربما تجد فيها مائة وخمسة عشر سطرا أو تجد في السطر مائة حرف ، ولو كانت كل كلمة فيه عشرة أحرف لبلغت مائة ، وهذا قليل خاصة في مثل هذا الكتاب نهاية العالم ، ورقم صفحة نسخة

حسن ٢٤٩ أعتقد أن هذه الأرقام إشارة لرقم الصفحة إذن نسخة حسن تعني رقم الصفحات وهو أدنى الأرقام .. ونسختي ونسخة شاهر تحتمل رقم السطر ورقم الحرف في السطر .. لذلك سنجرب مجموعة شاهر ؛ لأنها تحمل رقم ٢٩٩ كرقم للسطر ، ونسختي تعني الحرف .. ثم نستعمل نسختي السطر ونسخة شاهر الحرف ، ونرى ماذا سيكون بين أيدينا من الكلمات ؟

هذه أرقام شاهر الموجودة صفحة ٢٩٩

٥
١٥
١٥
٤
٩
١٧
٢٠
١
٧
١٩
١٧
٣

سنعتبرها رقم السطر أولا ، وهذه أرقام مجموعتي

٥
١٠
٨
١٥
١٨
٢٠
٢٠
٣
١
٢٠
١٧
١٩

سنعتبرها الحرف ، ثم نعكس واضح هذا لكم .. فاسم كتابنا يتكون من اثني عشر حرفا .

فقال شاهر : أغلب سطور الكتاب ٢٧ أو ٢٦ وبعضها ٢٤ لوجود عنوان في رأس الصفحة

قال منسي : جيد ! وهذه الأرقام التي عندك وعندي أكبرها ٢٠

فقال حسن: لنسرع العملية .. صفحتي قلنا رقم الصفحة .. ونعمل نسخة نقدم فيها أرقام شاهر ونسخة نقدم أرقامك سيادة اللواء .. ونعمل نحن الرجال مجموعة والنساء مجموعة .

ابتسم الجميع وقال منسي : فكرة طيبة .

دونت مجموعتان من الأرقام ، وأعطيت النساء نسخة من الكتاب بعد أن تأكد منسي أن النسخ أرقامها متطابقة .. ثلاث نسخ من كتاب نهاية العالم ، وأقر القوم للمنسي بخبرته في معرفة الشيفرات فضحك وقال : شيفرات المؤسسات الأمنية شيفرات معقدة .. ولكنها بين الفريقين سهلة ؛ لأن كل طرف يعرف المفتاح لاستخدامه في فك الشيفرة .. إنما يقصد من الرسائل المشفرة تمرير معلومات سرية وخطيرة ، لا يحب للموظفين الاطلاع عليها ، وإذا وقعت لدى الأعداء يصعب عليهم فهمها وتحليلها أو يتأخرون في فكها ؛ لتنفيذ ما يراد قبل معرفة العدو ..وتركيب الشيفرات معقد بالنسبة للخصم ، ومعروف بالنسبة للمرسلة إليهم الرسالة المشفرة ؛ لذلك يكون لدي الأجهزة الأمنية قاعدة بيانات لفك الشيفرات وتحليلها .. ويستخدم الجواسيس والتجسس لمعرفة المفتاح المتعامل به بين الأطراف لفهم ما يدبر ويخطط فتكون خطط الخصم مكشوفة للخصم إذا استطاع معرفة وفك الشيفرة.

وبعد ساعة من الزمن تم استخراج كتابين أحدهما اسمه أسرار في أرقام ، والكتاب الثاني اللعبة في بيتي

قال المنسي : علينا الآن أن ننزل إلى الطابق الأول .. فنحن نتقدم بشكل جيد وسريع سبحان الله وسيكون البحث أيها الأفاضل في الرف رقم ٧ كما تخبرنا البطاقة.

فقال حسن بحماس وهو يفرك يديه ببعضهما جذلا : نعم ، ها نحن نقترب من كنزك يا عم بسيم الجدية ـ رحمك الله ـ إلى الطابق الأول أيها الأبطال .. كان مجيء النساء فال حسن يا سيد منسي .

ا	٥	٥	٥
س	١٠	١٥	١٥
ر	٨	١٥	٢٥
ا	١٥	٤	٣٥
ر	١٨	٩	٤٥
ف	٢٠	١٧	٥٥
ي	٢٠	٢٠	٦٥
ا	٣	١	٧٥
ر	١	٧	٨٥
ق	٢٠	١٩	٩٥
ا	١٧	١٧	١٠٥
م	١٩	٣	١١٥

ا	٥	٥	٥
ل	١٥	١٠	١٥
ل	١٥	٨	٢٥
ع	٤	١٥	٣٥
ب	٩	١٨	٤٥
ة	١٧	٢٠	٥٥
ف	٢٠	٢٠	٦٥
ي	١	٣	٧٥
ب	٧	١	٨٥
ي	١٩	٢٠	٩٥
ت	١٧	١٧	١٠٥
ي	٣	١٩	١١٥

وقبل أن يرد المنسي قالت إحدى النساء : سنصعد للغداء ، فقد رأيت سيارة الطعام تقف أمام القصر

فاقترب بعضهم من نافذة تطل على مدخل القصر ينظر لبوابة القصر وقال : أجل أيها الناس وتحدث السكرتير مع اللواء منسي على جهاز اتصال خاص بينهم زوده به السكرتير للحديث معه مباشرة ، ومن أي مكان ، ولما اغلق الجهاز قال : نعم ، وصلت سيارة الطعام فلنصعد لمطعمنا ونرفه عن أنفسنا بالمشروبات الطيبة ، والفواكه الطازجة.. واعلموا أن ضيوفنا سيكونون معنا هذا المساء ؛ لذلك سنؤخر الغداء أيتها النساء حتى يشاركونا فيه .

قال شاهر : لا بأس يا أبا ضياء .

صعدوا بالمصعد للطابق الثالث ، وقدم لهم خادم الغرف الشراب المثلج ، ثم القهوة الحلوة .. والخادمة وضعت أمامهم أوعية الفواكه .

وبعد ساعة وصل أديب وزوجته سعاد وبشر وخاله ، ومعهم الطاهيان والخادمان الإضافيان .



غمر الفرح أفراد فريق البحث بمجيء السيد أديب وأصهاره ، ولما انتهى تناول الطعام وانتقلوا لقاعة خصصت كصالة جلوس لهم ، قال محمد محسن بعد سماعهم ملخصا لما بذل من جهد للوصول إلى مكتبة الطابق الأول : رائع رائع جدا أيها الفرسان !! نحن نسمع ونقرأ عن الكنوز وفك طلاسمها .. فها هنا نحن نشاهد فك أسرار كنز عظيم .. بوركت جهودكم لقد تقدم الفرسان تقدما كبيرا .. استعد يا مهندس أديب لرؤية ذخائر جدك العزيز.

فقدم أديب شكره الجزيل لهم ، وأثنى عليهم وعلى نسائهم الثناء الحسن ، ثم قال بشر معبرا هو الآخر عن امتنانه : حقيقة أثبتم أيها السادة أنكم أهل لحل الألغاز ، والليلة ـ إن شاء الله ـ سنبحث معكم في مكتبة الطابق الأول ليكون لنا سهم في مشاركتكم الجهد الجبار الذي

بذلتموه ..والعجيب أن مقتل الكوا الهندي وزوجته فتح على سيادة اللواء .. فقد ذكركم مقتلهم بالسيد بسيم وتكرار اسمه في الرسالة البرازيلية .

فقال منسي معترفا : فعلا إنها أعجوبة في نظري .. أهلا بكم جميعا .. وإن شاء المولى بعد صلاة العشاء نهبط لمكتبة الطابق الأول .

نزلوا جميعهم بعدما صلوا العشاء إلى الطابق الأول حيث المكتبة الكبرى ، وحيث نزلاء القصر وحسب طريقة البحث التي اتبعت في المكتبات العليا ، وقف كل شخص عند الرف رقم ٧ من الأعلى ، ووجدوا الكتابين سريعا دون عناء اللعبة في بيتي واسرار في أرقام واستمروا في البحث عن نسخ أخرى ، فلم يكن لهنّ تكرار ، وتبين لهم أن كتاب اللعبة هو عبارة عن مجموعة ألعاب من مختلف بلدان العالم ، من كل بلد لعبة أو أكثر ، وهي من الألعاب الشعبية المشهورة في البلاد أو المدن الكبيرة حول العالم ، والكتاب مترجم للعربية عن الإنجليزية .. باحث تنقل في كثير من بلدان العالم ، ودون تلك الألعاب لنشرها على مستوى الكرة الأرضية .

فقال المنسي مازحا : للأسف لم التقِ بمؤلف هذا الكتاب ؛ لأعرفه على ألعاب بلدنا .. يبدو أنه أراد أن يسيح في البلدان ، فاتخذ الفكرة الأساسية للكتاب للتجوال في العالم على حساب مؤسسة أو جمعية .

ضحك الجميع وقال بشر : ربما ما تفوهت به صحيح مائة بالمائة .. وأنا أول مرة أقف على هذا الكتاب ، وعلى هذا الاسم .. فما زال السيد بسيم يتحفنا بثقافته الواسعة .

وأما كتاب أسرار في أرقام فأرقام مجموعة إلى بعضها تكون نتائجها تساوي ضرب أرقام بأخرى أسرار الرقم ٩ الرقم ٨ حتى الرقم ١ ، ولفت نظرهم وهم يقلبون صفحات الكتاب أن هناك شبكات ٤×٤ ، ٥×٥ ، ٤×٥ ، ٥×٦ ، ٧×٧ شبكات كثيرة ، ومساحات مختلفة ، بدأ لهم الكتاب من تجميع أو تأليف السيد بسيم ؛ لأنه لم يكن عليه اسم مؤلف ، ولا دار نشر ، ولا سنة طباعة ، رغم أنه كتاب مجلد ، وهو يزيد عن مائتي صفحة .. طلب منسي منهم أن يقوم كل فرد بتقليبه ، ولما لم يفقهوا الرسالة المقصودة من رؤية هذا الكتاب طلب منهم منسي بالصعود للنوم

فمن يرغب بالنوم فلينم ، ومن يرغب بالسهر على الكتاب فليبق في قاعة الجلوس ، ولقى هذا الاقتراح الاستحسان خاصة النساء اللواتي يرغبن بالحديث والثرثرة مع السيدة سعاد عيسى ، وكذلك السيد محسن الرجل الشيخ ارتاح للاقتراح ، ورغم أن حياته السهر لعمله كصحفي ورئيس تحرير جريدة قديما ومجلة اليوم ؛ ولكن يبدو أن مشوار الطريق أتعبه ، وللعمر دوره ، وعرض عليهم الطهاة عشاء خفيفا ، فمن رغب انتقل لغرفة الطعام ومن لم يرغب ظل يقضم من الفواكه ويشرب الشاي أو القهوة أو المرطبات أو يقزز البزر والفستق الحلبي المالح .

وبعضهم ذهب للنوم ، وبقي بعضهم يقلبون في الكتاب ، ويتأملون صفحاته ومعلوماته ويفكرون باللغز المخفي في ثناياه ، واستمر التخرص والتخمين والفكر حتى كاد يقترب الفجر

فقال لهم منسي وهو يترك الكتاب من بين يديه : جاءتني الآن فكرة قد تكون هي الحل .. لقد رأيتم في الكتاب صورا للمفاتيح صغيرة وكبيرة ؛ لعل لها دورا مهما يا إخوان .

قال بشر الذي ظل ساهرا معهم : فسر يا سيادة اللواء !

فقال منسي مفكرا ومفسرا : على بعضنا رسم هذه المفاتيح أو بعضها ، ثم نضعها على الأشكال المربعات الشبكات ، فربما تخرج لنا المفاتيح كلمات تدلنا على السر .. فعلى كل واحد منا أن يأخذ شكل مفتاح ويجربه على عدة مربعات ؛ ربما نصل لشيء ، فلابد أن لهذه المفاتيح دورا ، ثم نغير المفاتيح بمفاتيح أخرى حتى نيأس أو نلهم بشيء جديد .

فقال حسن مادحا : صدق أنها فكرة رهيبة يا أستاذ منسي.. نعم الخبير أنت في فك الشيفرات

فقال شاهر مقترحا: نكوّن هذه المفاتيح من ورق بلاستيك شفاف .

فقال بشر : جميل هذا أيضا يا أخ شاهر !..فالحروف التي يغطيها المفتاح نكوّن منها الكلمة المناسبة ثم على ماذا تدل الكلمة يا سيادة اللواء ؟

فقال منسي : على المكان الذي سنذهب إليه إلى مكان الكنز ، لم يبق كتب نبحث عنها وفيها .

مشى شاهر وحسن إلى المكتبة يبحثون عن أوراق بلاستكية شفافة التي تستخدم للكتابة أو التجليد .

وقال منسي وهو ينهض قائما: أما أنا فسأذهب للنوم أيها السادة تصبحون على خير .. و يكفي ما فعلناه اليوم ، فالساعة الثانية فجرا .

وانصرف الرجال والنساء ، وبعد حين يسير خرج شاهر وحسن من المكتبة ، وانصرف حسن للنوم ، وبقي شاهر وحده وهو يقول لحسن : لا رغبة لديّ في النوم .



صنع الشباب قصاصات من البلاستيك الشفاف الذي يستخدم للكتابة بأقلام الفولماستر ، قصوه على شكل المفاتيح الموجودة في كتاب أسرار في أرقام ، وأخذوا يضعونها على الشبكات ، فتشكلت لديهم كلمات منها غرفة ، غرف ، قصر ، قصور ، سطح ، سطوح ، شجرة ، أشجار نسر ، نسور ، صقر ، صقور .

لم توحِ لهم هذه الكلمات رغم توفر معانيها في القصر بشيء ، وفجاءة هتف المنسي قائلا : جاءتني فكرة أيها الأخوة .

التفت إليه الجميع فقال موضحا الفكرة : علينا أن نضع على المربعات ٣×٣ مفتاحا ذا ثلاث مربعات ، شبكة ٤×٤ مفتاح رباعي المربعات .. وهكذا .. فعلينا تصوير هذه الشبكات .. مجموعة تبحث في الثلاثي ، مجموعة في الرباعي ، مجموعة في الخماسي ، ومجموعة في السداسي كم صفحة هذه الشبكات يا شاهر ؟

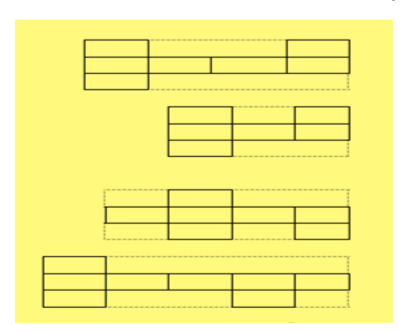
ـ حوالي ثلاثين صفحة .

استدعى أديب مايا ، وكلفه بتصوير الصفحات المرسوم عليها الشبكات ، فكل صفحة خمس صور .

وأخذ المنسي يصنع رسومات المفاتيح المصورة والمرسومة في الكتاب كما رسمها على ملفه .

ولما عاد مايا بالصور شكروه ، وأخذها منسي ووزعها على الجميع ، ثم وزع المفاتيح البلاستكية بعضهم أعطاه الثلاثي ، وبعضهم الرباعي والخماسي . وقال : من معه مفتاح ثلاثي يبحث في الشبكات الثلاثية ، والرباعي في الرباعية ، وعلى كل مجموعة أو فرد استخراج كلمات تصلح ؛

لأن تكون مكان إخفاء الكنز



وبدأ الرجال والنساء يبحثون ويضعون المفاتيح على الأشكال ، ويكتبون على الورق ما يتولد لديهم من كلمات ، وبعد حين قالت سعاد بتردد لشقيقها ومن بقربهم : إني ألمح في هذه الأشكال حلا .

قال بشر وهو يتطلع في عيني شقيقته : كيف ؟

قالت : اقترب ـ ولما اقترب منها ـ لاحظ هذا المفتاح الخماسي على هذا الشكل .. فتشكلت كلمة النسر فقط

-	ا	-	س	-
ا	ل	ن	س	ر
-	ن	ص	ن	-
ن	س	ن	ر	س
-	ر	-	ر	ر

-	ا	-	س	-
ا	ل	ن	س	ر
-	ن	ص	ن	-
ن	س	ن	ر	س
-	ر	-	ر	ر

فكلمة النسر في العمود الثاني من اليسار ، وكلمة النسر في الصف الثاني من الأعلى وهي معكوسة

فقال أديب : النسر مكرر مرتين ماذا يعني ذلك ؟

تبسمت سعاد قائلة : نعم ، يعني الذهاب للأسفل إلى قاعة النسر .

همس بشر : قاعة الطيور النسور فعلا هناك نسران في أعلى العمود الأوسط ذي الرخام الأسود؛

لكن هناك ثلاثة طيور على كل عمود ثلاثة طيور دعيني أحادث المنسي

ذهب بشر إلى حيث يجلس المنسي وزوجته فقال بشر : أستاذ منسي .. سعاد عندها فكرة لو سمحت بسماعها .

شرحت سعاد فكرتها للواء ، وأخذ المفتاح منها ووضعه على الرسم المختار الصف الثاني أفقيا والصف الثاني عموديا الكلمة مكررة في نفس الشكل ومطابقة لصورة المفتاح .

فقال منسي : النسور في قاعة النسور في الوسط، العمود الثاني من جميع الجهات النسور ثلاثة أليس على كل عمود ثلاثة طيور ؟

قال بشر : هي ثلاثة طيور حقا ؛ ولكن النسور اثنان فقط والثالث ليس بنسر

فاستدار المنسي لكل الموجودين وقال : السيدة الفاضلة سعاد اكتشفت شيئا مهما أيها الكرام وقد يكون هو الحل ، سأنزل أنا والمهندس أديب وبشر ونساؤنا لقاعة الطيور أسفل منا ؛ فإذا صح ما استنتجته الأخت سأتصل بكم للنزول وإيقاف البحث هنا .

نزل جزء منهم لقاعة الطيور أو غابة الطيور ، وقفوا عند العمود الأوسط الأسود الرخام في القاعة الرخامية ينظرون إلى الطيور المجسمة في أعلى العمود ، ووجدوا أن على العمود ثلاثة أطيار كسائر الأعمدة في القاعة ، منها مجسم نسران ، والثالث عقاب كبير ، فقال منسي : هما نسران حقا !

طلب منسي سلما من مايا لقاعة الطيور ، وكان السلم على شكل ٨ ، فصعد منسي عليه ، والقوم قلقون عليه لكبر سنه، فلما وصل الطير فتأمله بنظرة سريعة ، فهي تفرد أجنحتها ؛ كأنها تطير ، ثم نزل وأزاح السلم حيث النسر الثاني ، ثم صعد من جديد لينظر التمثال الثاني وبعد نظر نزل وحرك السلم للطير الثالث ، ثم صعد ينظره ،كانت الطيور بالحجم الطبيعي أو تقاربه .

صعد أديب بعدما أعاد السلم لأحد النسرين ، ودقق النظر في أحدها ، وقال وهو ينزل : ممكن أن يفتح فم النسر ، فأسفل العينين ممكن إدخال مفتاح خاص ، فالفكان يمكن فصلهما عن بعض ؛ وربما نحتاج لمفتاحين معا ، فكل عين أسفلها فتحة لمفتاح .

أزاح الشباب السلم أسفل النسر الثاني ، فصعد أديب عليه حيث تمثال النسر ، وحدق فيه وبعدما نزل قال : له فتحتا مفتاح أيضا .

فقال المنسي : أين سنجد مفاتيح هذه الأفواه ؟

استدعى أديب مايا وسأله: هل شاهد جده يصعد يوما على سلم في هذه القاعة ويفتح فم النسر دهش مايا للسؤال وقال : لم أشاهده يفعل ذلك ، رغم طول عشرتنا ، ولكن لا تنسوا أنني أغادر القصر في مهمات خاصة للرجل تستغرق أياما ، أو في زيارات لبلدي كإجازة ، وإذا أخفى الرجل شيئا عني فهو يفعله في غيابي ، وهذه القاعة من أحب الأماكن إليه في القصر بعد مكتبة الطابق الأول ، وإذا كان هناك كنز فهو سوف يستخدم شيئا سهلا ، ليس مثل هذا السلم .. وهذه القاعة لا يسمح للخدم والموظفين في القصر الجلوس فيها ، فهي استراحة لضيوفه فور وصولهم القصر .. قاعة الاستقبال الأولى ، وإذا أحببتم أن أسأل الحرس وأهل القصر عن إدخال سلم إليها للسيد أفعل .

قال منسي : إذا احتاج السيد لسلم كهذا ، لابد أن يأتيه به الخدم .. فهو ثقيل وطويل ؛ ولكنه موجود في القصر .. لماذا يستخدم هذا السلم ؟

رد مايا : هو لا يستخدم داخل القصر ، فلدينا سلالم قصيرة ومن مادة الألمنيوم ، ولكن هذا يستخدم للصيانة الكهربائية خارج القصر كتبديل لمبات الإضاءة ، صيانة سلك كهرباء ، ويستخدم في البستان لتقليم الأشجار العالية بالجملة لإعمال الصيانة ، وإذا استخدم هنا لهذه الطيور فيكون هذا قديما أثناء إنشاء هذه القاعة ؛ لأن هذه القاعة شيدت قبل استقرار السيد نهائيا في بلده هذا .

قال أديب : سيد مايا مفاتيح السيد أين هي ؟

ـ إذا كان هناك مفتاح أو مفاتيح خاصة أتصور أنكم ستجدونها في مكتبه الرئيسي في الطابق الثالث .. أو في مكتبة الطابق الأول هناك خزانة فيها أوراق ووثائق مهمة ؟

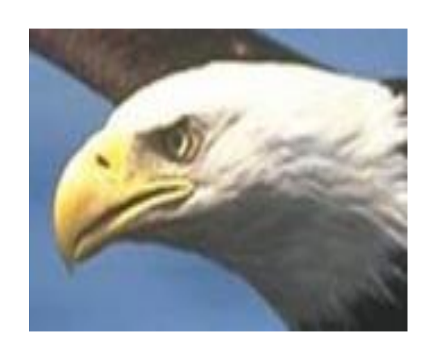
فقال منسي لمايا : أحضر مفاتيح المكتب ، وخذ معك السيد أديب ، وانظروا مجموعة المفاتيح .

واتصل منسي في فريق البحث في الطابق الثالث ، وطلب منهم التوقف عن البحث والنزول لقاعة الطيور.

فتح المكتب المهجور منذ موت صاحبه ، ووجدت فيه مجموعات من المفاتيح فقال أديب: كثيرة كيف سنبحث فيها ونجربها ؟

فقالت سعاد: لا داعي لتجربتها كلها ، فسيعزل السيد مايا مفاتيح الغرف الخاصة بمنامات السيد ، فتبقى مفاتيح الخزائن الخاصة .

تبسم مايا لما سمعه ، وأدرك ذكاء وفطنة هذه المرأة التي تزوجها أديب .. وقال لنفسه : لو كان الجد بسيم حيا لأعجب بها .. فهو يحب الأذكياء وأهل الشجاعة .



٣١

جربوا المفاتيح التي فرزوها ، فوجدوها كلها مستعملة لغير هذه النسور ، فانتقلوا للطابق الأول حيث المكتبة الكبرى ، فوجدوا مفاتيح الغرف التي يستخدمها الحرس وبعض الموظفين ونظروا المفاتيح التي يملكها مايا للقصر فكلها مستعملة .

فقال أديب : سلسلة مفاتيح جدي أين استقرت ؟

قال مايا : لا أدري كنت أظنها معك أو مع المحامي .. لا أعتقد أن الشرطة حرزت عليها .. فالمحامي جاء واطلع على مكاتب السيد في جميع الطوابق ، واستعرض الملفات المهمة ، ونقل بعضها لمكتبه .. يوجد خزانة معدنية سرية في مكتبه الذي كنا فيه ، وأخرى في المكتبة ، وأحسب أنهما فتحتا بعد الحادث ، واطلع على فحواهما السيد داود المحامي ، ولم يوجد فيهما شيء يدل على القاتل أو أوراق خاصة وخطيرة .. إنما هي صور عقود محليه وشراء عقارات وشقق في هذا البلد ، وأغلقت هذه الخزائن ، وأعطيت مفاتيحها وشيفراتها للسيد داود ليدفعها لك .

قال أديب وهو يتذكر : أذكر ذلك ، وهذه المفاتيح والشيفرات وصلتني فعلا ؛ ولكنها اللحظة هذه في المدينة .. فلابد من العودة للمدينة يا سعاد وجمع تلك المفاتيح ؛ وربما نجد بينها سلسلة مفاتيح جدي بسيم .. أذكر الآن أنني رأيت ميدالية عليها صورة نسر يطير ، وفيها ثلاثة مفاتيح منقوش عليها النسر .. ربما تكون هي المطلوبة إنني أتذكرها جيدا الآن .. نقلت إليّ مفاتيح كثيرة كان يستخدمها الجد بسيم .

أخبر أديب المنسي عن عدم وجود أي مفتاح يخص النسر ، وذكر له ميدالية جده ؛ ولكنها موجودة في بلبل وقال : لابد من العودة للمدينة لإحضارها .

فكر منسي قليلا وقال : ألا يستطيع السائق إحضارها ؟

قال أديب : سأتحدث مع خالتي أم سالم ، ومع داود أيضا ، أذكر أنني وضعتها في درج مكتبي يا سعاد .

اتصل أديب بخالته ، ووجد عندها حفيدتها التي جاءت للبقاء معها حتى يعودان ففرح ،

وتحدث مع الحفيدة التي فهمت عليه سريعا ، فذهبت الصبية إلى حيث أرشدها ، ووجدت الكثير من المفاتيح .

فقال لها : يا بيان ضعيها في كيس أو حقيبة صغيرة ودعي السائق الهندي يتكلم معي .

وتكلم أديب مع داود وحدثه بما حدث باختصار ، وطلب منه أن يذهب لبيته ، ويرى المفاتيح خاصة ميدالية النسر ومفاتيحها الثلاثة ، ويرسلها الليلة مع السائق الهندي.

انتقل المنسي وفريقه للغداء في الطابق الثالث حتى يصل السائق الهندي .

وفي الليل وصل السائق الهندي للقصر الصحراوي ، وسلم الحقيبة للمهندس ، وأخذه مايا ـ حيث هو قريب له ـ لقاعة الطعام ، وقدم له طعاما هنديا ، وأعلمه أنه سيقضي الليلة معهم فأرشده إلى حجرة ينام فيها .

وفي صالة السهر قال منسي وهو يقلب الميدالية التي نقش على وجهيها نسران : يبدو أنها فعلا مفاتيح لتلك النسور ؛ ولكنها ثلاث مفاتيح ..

فقال حسن : سيظهر مكان للمفتاح الثالث يا سيادة اللواء .

ضحك اللواء وقال : بالتأكيد يا أخ حسن .. تحول اللغز إلى مفاتيح في مرحلته الأخيرة .

فقال شاهر : هل ترى أنها الأخيرة ؟

التفت إليه منسي وقال : أعتقد أنها الأخيرة .. يا سيد محسن ما رأيك ؟

قال محسن : أصبح لدينا قصة كبيرة عن الكنوز.. أليس كذلك يا دكتور بشر ؟

ـ قصة كبيرة جدا يا خالي ..

فقال منسي : وفي الحقيبة دفتر صغير ؛ كأنه دفتر الشيفرات .

قال أديب : أنا طلبته ربما نحتاجه ، والسيد داود ربما يكون بيننا غدا ليشهد نهاية قصة كنز الجد بسيم .

هلل الجميع معبرين عن فرحهم بقدوم المحامي ، فهو الذي اختارهم وجمعهم لحل لغز الصحراء فمن الرائع أن يكون بينهم ، ويحضر حفل الختام .

بعدما تناول فريق البحث عن الكنز الإفطار نزلوا إلى قاعة الطيور حيث النسور ، وطلب المنسي عدسة مكبرة من السيد مايا ، فجاءت العدسة المكبرة ، وصعد شاهر السلم إلى رأس النسر وحيث أسفل العين اليمنى قال : نعم ، إنه مكان يصلح لإدخال مفتاح . أدخل المفتاح وحركه يمينا يسارا ؛ ولكن النسر لم يفتح فمه ، استعملوا المفاتيح الأخرى ولم يفتح فم النسر . فقال شاهر : يبدو أن لها مفاتيح أخرى أيها السادة .

انتقل للنسر الثاني ولم يفتح فمه هو الآخر ، فأمرهم السيد منسي المحاولة مع باقي الطيور في الأعمدة الأخرى ، وبعد حين قالوا : لا يوجد مكان فيها لإدخال مفتاح

فقال منسي : أين المفتاح لهذه النسور يا ترى ؟!

ولما لم يتكلم أحد تابع قائلا: هذه المرحلة سجلت للسيدة سعاد مرة أخرى ؛ ولكن أين المفاتيح يا سيد أديب ؟ أيحتفظ بها السيد في القصر هذا ؟ أم تراها في خزانة خاصة في أحد البنوك ؟ أم في مكان آخر ؟

فقال محسن : عليك بالحديث مع داود قبل أن يغادر المدينة .. تحدث معه يا أديب قد يكون عنده علم بهذه المفاتيح .

فقال منسي : نحن نسينا داود في هذه المعمعة ، وعلمنا أنه سياتي مساء هذا اليوم بأم أولاده وأحد أبنائه .

طلب أديب داود في المكتب فلم يجده ، فقالوا : إنه ذهب في مهمة وسيعود منها للبيت ، تحدث أديب مع بيت داود ، فردت زوجته أم محمد فطلب منها أن يتحدث معه قبل مجيئه للقصر الصحراوي .

في العاشرة ليلا اتصل المحامي بأديب ، فحدثه أديب عن فشل المفاتيح عن فتح فم أفواه الطيور وبحثوا في كل مفاتيح القصر، ولم يجدوا المفتاح المناسب ، فقال داود : تحتاجون لمفتاح خاص لديّ مجموعة من ثلاثة مفاتيح تركها جدك لدى المكتب ، وقال لي عندما أعطاني إياها : لا تعطيها لأديب إلا إذا طلبها بلسانه.. وها أنت تطلبها اليوم ، يبدو أنكم وصلتم لنهاية اللغز

فاحتجتم إليها .

أظهر أديب فرحه وانفعاله ، ووضع يده على السماعة وقال لضيوفه : ابشروا الجد ترك لدى المكتب ثلاثة مفاتيح لا تسلم لي إلا إذا طلبتها بنفسي

صفق الجميع فرحا ، وعاد أديب يقول لداود : آ .. يا داود بشرت الشباب أين ذهبت ؟

ـ أدركت ذلك قلت إنكم وصلتم لنهاية اللغز غدا بمشيئة الله سبحانه سأكون بينكم وسأحضر معي كمية كبيرة من الحلويات لجميع الموجودين في القصر تهانينا للجميع .

ولما عاد لمجلسه قال بحياء : الحقيقة أشكركم فردا فردا أخا أخا ..لقد ترك الجد ـ رحمه الله ـ ثلاثة مفاتيح لدى داود لا تسلم لي إلا عند الوصول لنهاية اللعبة أو الكنز .. شكرا سيادة اللواء شكرا أخ حسن .. شكرا أخ شاهر .. الشكر للنساء جميعا .. أنا سعيد بالتعرف عليكم ، ولن أنسى معروفكم ووقوفكم معي في حل معميات هذا الكنز .. وأنا لم يخطر ببالي أمس طلب مفاتيح من داود ، ولم أكن أعلم أن الجد ترك لي مفاتيح عند السيد المحامي أصلا وأن تسلم حين أطلبها .

غمر الفرح أعضاء الفريق ، وأخذوا يهنئون بعضهم بعضا ، ويتذكرون المراحل ، وأقام لهم أديب حفلة صغيرة ، وكلهم شوق ولهفة لمجيء النهار التالي ليفتحوا كنز السيد بسيم والسؤال المهم أين أخفى السيد الكنز؟ .. فبطن هذه الطيور هل هو المخزن للجواهر والوثائق ؟

وعند ظهيرة اليوم التالي كان السيد داود وحرمه وابن له يقفون أمام القصر بسيارتهم الحديثة ، وكانت تقف خلفهم سيارة كبيرة مليئة بالحلويات التي تشتهر بها البلاد ، فأدخلها الخدم والحرس بإدارة مايا ، ووزعت على جميع موظفي القصر ، وأخذوا حصة فريق البحث إلى الطابق الثالث ، وتم الاحتفال بأكلها وشرب المثلجات والعصائر ، وبعدما كمل الاحتفال هبط الفريق رجالا ونساء إلى قاعة الطيور لينظروا الكنز الذي اشتاقوا لرؤيته ، فأخذ أديب المفاتيح التي تسلمها من المحامي ، وصعد السلم حسب رغبة الجميع ؛ ليكون هو أول من ينظر ويلمس كنز جده ، فادخل مفتاحا في العين اليمنى أو أسفلها ففتح جزء من فم النسر، ثم نقل المفتاح للعين

الأخرى ، فلم تفتح ، فوضع مفتاحا آخر ففتح النسر جوفه كاملا ، فذكر اسم الله بسم الله ، وأدخل يده في جوف النسر وتحسس المكان وأخرج جوهرة بحجم بيضة الحمامة ، وأعاد البحث فخرجت فارغة ، فنزل وهو يحمل جوهرة جميلة تلمع في العيون ، وسلمها للواء منسي الذي نظر إليها وأعطاها لغيره ، وكان أديب ينقل السلم للنسر الثاني وكان داود يقول مازحا : إنها جوهرة حقيقية ليست مزيفة !

استخدم أديب مفتاحي النسر الذين فتحا النسر الأول ، ففتحا جوف النسر ، فوجد فيه رسالة ملفوفة ومربوطة بخيط ذهبي وهي مرتبة كرسائل القدماء ، ووجد معها جوهرة أخرى ، ونزل فقال منسي : لا تفتح الرسالة أيها الصديق حتى نرى ما في جوف العقاب .

نقل السلم حيث جهة العقاب ، واستخدم المفتاح الأخير ؛ لأن العقاب له قفل واحد ، فوجد فيه جوهرة ثالثة لا غير . فقال منسي : فهذه الرسالة إذن خريطة الكنز .

فك أديب خيط الرسالة وفتحها وقال : اسمحوا لي بقراءتها بصوت مرتفع

قال منسي : بارك الله فيك

قرأ أديب :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم يا ولدي

لقد وصلت للنهاية بفضل الله ، فأنت تستحق ما ادخرت لك من درر ومجوهرات ، ولقد تركت لك الكثير من المال مما يغنيك عنها .. فلقد راودتني فكرة بناء جزء من مدينة بجوار هذا القصر اسكنها للفقراء والضعفاء ؛ ولكن لي أعداء وخصوم أشداء فخشيت أن يتخذوهم طريقا لتصفيتي ، وهذا منعني من تنفيذ الفكرة في حياتي.

فلعلك بأموال هذا الكنز تستطيع إنشاءها عن روح جدك المفارق لهذا الدنيا .. وإن لم ترق لك هذه الفكرة فابن مستشفى عن روح الجد بسيم وبجواره مسجد .. وأما الوثائق فدعها للزمن والتاريخ فأنت لست بحاجة لإعداء.. وأنا تركت رسالة يا ولدي لدى المحامي ، وقلت له بعد

القسم أن يسلمها لك أو لورثتك بعد تملكك للكنز والهبة الربانية ..خذ الأموال من المخبأ ودع الوثائق ، ففيها خطر كبير عليك وعلى كل من يطلع عليها دعها للتاريخ والزمن .

ستجد الكنز في الطابق الأرضي تحت غابة الجوارح ، هناك خزان ماء كغرفة صغيرة ، ففي قاعه غطاء معدني لا يصدأ ولا يسرب الماء لأسفل ؛ فإذا فرغ الخزان من الماء سيظهر الغطاء وإذا رفع الغطاء ستجد بداخله سلما في جدران النفق كسلالم آبار الماء ، ومنه ستنزل إلى سرداب أقيم عند حفر الآبار ، ووضع الخزانات الكبيرة لتخزين المياه المستخرجة من الآبار الجوفية .. وسيقودك السرداب بين تلك الخزنات الكبيرة إلى غرفة محصنة بالرصاص والألمنيوم أنشئت عندما بدأت أحفر الآبار ومواضع خزانات الماء ، فهي غرفة كملجأ أخير في حالة اقتحام القصر من قبل عصابات كبيرة ، وفيها خزائن معدنية مصفحة فيها المجوهرات ومذكرات جدك بسيم ووثائق أخرى ، كنت في أول عهدي بالقصر أهبط إليها كل سنة مرة ، ولم يكن يستخدم الماء في ذلك الخزان كان فارغا من الماء ، وفيما بعد سمحت بملئه بالماء ، وكنت أجتهد عندما أدخله أن لا يراني أحد ، فأزعم أنني أريد أن أنام في غابة الطيور فأتسلل إليه واضع الجواهر التي تتيسر لي والوثائق الهامة للعمل ، وما أضفت من مذكرات .. وتوقفت عن ذلك النزول بعدما سمحت لهم بملئه بالماء عام ١٩٩٠ م .

هذه الرسالة كانت تغير وتبدل في آخر كل سنة ، وكذلك الرسالة التي ستجدها عند داود .. طريقة حل الكنز كملت في سنة ١٩٨٤ م بعد انتهاء بناء جميع القصر .. لكن هذه الرسالة كنت إذا قدرت لي الحياة أغيرها برسالة جديدة هي والرسالة التي عند داود ، وهو سيؤكد لك أنني كنت أطلبها في آخر شهر من السنة ، ثم أعيدها إليه بعد أيام حتى إذا مت تكون الرسالات جاهزة .. ستقول كيف كان يفعل جدي لتبديل الرسالة في جوف النسر ؟ والأمر يحتاج لسلم طويل وكبير الأمر سهل يا أديب ويا أبناء أديب .. في مكتبة الطابق الأول تحت احدى الطاولات الثقيلة المعدة للقراءة هناك بلاطة متحركة فإذا نزعتها ظهر لك ظهر النسر وفي ظهره ثقب تستطيع إدخال يدك فيه وتدخل وتخرج ما تشاء .. استهوت جدك الأسرار والأنفاق التي يقرأ

عنها في القصص والروايات والتاريخ .. فهكذا تخيلت هذا القصر ولكن الواقع يا ولدي ليس كالحقيقة .. ربما القدماء كانوا أقدر منا على صنع الأسرار والسراديب الغامضة .. وإذا أحببت أن تعرف المزيد عن جدك بسيم الجدية تصفح مذكراته وبعض يومياته .. شكرا لك ، قد تكون هذه الرسالة الأخيرة هذه السنة .. وقبل الوداع فاعلم أن مفاتيح الخزائن المعدنية في غرفة السرداب في نفس السرداب والتفاصيل في الرسالة التي بين يدي السيد المحامي داود .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



قال منسي بعد قراءة الرسالة ، وكان قد خيم الصمت المطبق عليهم : هنيئا لك الكنز يا أديب وها نحن قد وصلنا للنهاية أيها الأصدقاء !

كرر أديب لهم الشكر على الجهد المبذول لحل لغز السيد بسيم ، ثم قدم لهم الشكر المحامي ، واعتذر لهم عن الأوقات التي حرمهم منها مع زوجاتهم وأحفادهم ، ثم قال : هل نصل للغرفة السرية يا أديب أم نتوقف؟ والرسالة التي أشار إليها السيد بسيم موجودة لدينا ، وفعلا كان في آخر كل سنة يطلبها لمراجعتها ، ثم يعيدها بمغلف جديد حتى توفاه الله ﷻ ، فهي محفوظة في خزائن المكتب السرية .. والوثائق يطلب منك عدم نشرها حرصا على حياتك

قال منسي مؤكدا هذا المقصد : نعم ، الرجل خائف عليك ، وتذكر كيف صنعوا وصبروا ليصلوا إليه ؟ قد زوروا وانتحلوا وجندوا وصبروا حتى نالوا منه ـ رحمه الله ـ أفضل أن يبقى الكنز حيث هو لحين من الزمن .. فأنت حسب علمي لست بحاجة لأموال ، وترك لك الجد عقارات تستطيع أن تنفق منها على جميع الأملاك من ضريبة وصيانة وخدم القصر وغير ذلك .

فبعد صمت قال أديب : إنني بعد هذا الجهد الكبير ليحزنني أن أتخلص من هذا القصر ؛ فربما تشاورت مع أخي داود أبي محمد في الابتداء والشروع بتأسيس مدينة في هذا المكان ، وتقديم

بعض بيوتها أو كلها للفقراء عن روح جدي كما كان يحلم .. وأعتقد لو تيسر تأسيس لمدينة هنا سيكون في قلبها مستشفى ومسجد ، وإن عجزت عن فعل ذلك سيكون مبنى المستشفى متبرعا فيه في المدينة وكذلك الجامع.. فصاحب هذه الثروة العظيمة يستحق من حفيده كل شيء.

شكر الجميع همة الشاب وبره وحسن وفائه ، وقدم أديب الجواهر الثلاث لمنسي وشاهر وحسن قائلا : هذه لكم جزاء إشغالكم في قضيتي هذه .. وسأقدم للأخ بشر والسيد محسن مثلهما وكذلك صديقنا داود .. ليس ذلك أجرا ؛ بل للذكرى والصداقة التي جمعتنا خلال هاتين السنتين .

فرفض الرجال الهدية ، فأقسم أديب يمينا على عدم رد هدية جده قائلا : لولا جهودكم الجبارة لظلت كل الأموال تحت الأرض أيها السادة .. من لم يشكر الناس لا يشكر مولاه ﷻ .

فعاد الرجال لشكره والثناء على كرمه من جديد ، وقال منسي : غمرتنا بكرمك يا ابن الأكارم الطعام والشراب والفاكهة والمنام والتسلية .. ونحن لما طلب منا الأستاذ فهم أحاجي الجد لم ننتظر أجرا يا أخ أديب ؛ إنما كانت المحبة والأخوة

قال أديب بحياء ظاهر : أعرف ؛ ولكن هذه للذكرى والصداقة التي نشبت بيننا .

فقال منسي: إننا سعداء بالتعرف عليك وعلى حرمك المصون التي سهلت لنا متابعة المشوار ، وأحسنت في ختم المشوار ، وأكرمنا بالالتقاء بالصحفي الشهير محمد محسن وابن شقيقته الدكتور بشر عيسى ، وسنبقى أصدقاء ورفاقا حتى يفرق بيننا ما يفرق بين الناس الموت .

وقدم الشكر السيد شاهر لأديب وزوجه ، وللمحامي الذي اختاره للمساعدة في حل أحاجي هذه المهمة الممتعة للذهن والعقل ، ثم قدم حسن أيضا شكره وامتنانه للجميع للمهندس وقرينته سعاد ، وصعدوا للغداء أو العشاء ، ثم جلسوا في صالة الطابق الثالث يتذكرون ما صنعوا ، ويشربون الشاي والقهوة والكولا ويأكلون المكسرات والفواكه حتى قالت إحدى النساء : لا أدري كيف نعود لبلبل ولم ندخل غرفة الكنز ؟! ألا تخشوا من افتضاح أمرها ؟ أهؤلاء الخدم ألا يفشون سرها ؟ ويطمعون في الاستيلاء عليها .

تطلع بعضهم ببعض ، وقال منسي : أيفعلونها ؟ ماذا تقول يا داود ؟

ـ لست أدري يا سيدي .. أتحبون أن نخرج الكنز ؟ والوثائق ماذا سنفعل بها ؟! فهي هنا في تصوري أكثر أمنا من أي مكان آخر .

فقال المنسي بحيرة : المكان أظنه عرف .

قال داود : إفراغ الخزان يحتاج لوقت ، ونحن عن قريب سنبدأ بصرف العاملين في القصر ، ولن يبقى إلا القليل كالحرس وبعض الطهاة والسكرتير وزوجاتهم ، وعندما ينهي البوليس القضية يقلص عدد الحرس إلى واحد وزوجته ، لم نعد نحتاج لحماية أحد ، وقريبا ستقدم الفتاة لمحكمة الجنايات العظمى ، وهم كما أخبرني حاتم يبحثون عن أصحاب الفتاة الذين اختفوا ليلة بدء التحقيق الثاني ، وأكد لي حاتم أنهم لم يغادروا الحدود بشكل طبيعي إلا إذا تنكروا وخرجوا بجوازات أخرى ، ويمكننا وضع حرس جديد محلي ؛ فأنا أقترح على الأخ أديب الانتظار في إخراج الكنز ماذا يقول أديب ؟

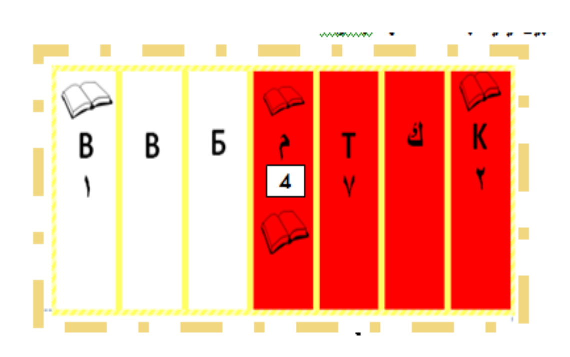
قال أديب : حقيقة أنا من رأيك، وفكرة الاستعانة بحرس محلي جيدة أو حتى بواب بعائلته فقط لكن من يقبل أن يعيش في هذه الصحراء من أهل البلاد ؟

ـ إذا توفر لهم الإمداد بالطعام سنجد من يقبل العمل هنا .. وهذا عمل مؤقت حتى نصرف كل العمالة ونعطيهم مكافآتهم المالية المستحقة لهم .

فتدخل منسي فقال :وأنا بعد تفكير من رأيك يا دكتور داود .. فمكان الكنز الآن معروف وهو مكان آمن .. وعملية استخراجه هذه الأيام غير مهمة في نظري .. معذرة للجميع .. ونحن علينا أن نكتم الأمر ونحصره بيننا خاصة النساء .. أرجوكنّ أن تكتمن الأمر ولا تثرثرن عن مكانه حتى نرتب لعملية إخراجه .. والخطر يكمن على حياة المهندس من شيوع خبر الوثائق والمذكرات فتسعى إليها الدول والعصابات وأجهزة المخابرات العالمية ، فالأفضل أن يكتم أمرها إلى حين من الدهر .. وعلى الأخ أديب الاستمرار في اتخاذ جانب الحذر واستخدام السيارة المصفحة في تحركاته حتى يختفي ذكر الجد بعد عدد من السنين .. والكنز معروف ما هو ؟ فقد

قال جدك في رسائله إنه عبارة عن مجوهرات تحصل عليها من خلال رحلاته في أنحاء دول العالم شرقا وغربا شمالا وجنوبا .. عبارة عن ماس وعقيق وياقوت وعقود لؤلؤ وغير ذلك مما يسمى بالأحجار الكريمة .. ويبدو أن لهذه الغرفة بابا سريا ربما يتصل بالصحراء ، صمم كل ذلك أثناء مرحلة حفر الآبار ؛ ربما أوهم العاملون في الموقع بأنه نفق لمرور الماء كمجرى نهر صناعي صغير .. فمكان الكنز أمان أكثر أيها الأصدقاء .. ومعذرة للنساء اللواتي ربما بهذا الكلام حرمتهن من متعة النظر لتلك الجواهر التي لن تختلف عن الهدايا التي تكرم بها علينا المهندس أديب .

شكر المحامي السيد منسي ، وأكد أن هذا هو الخيار الأفضل حتى يفكر المهندس ماذا يفعل بهذه الثروة التي ورثها عن جده حلالا زلالا ؟



٣٢

أعلم مايا سكان القصر أنهم سيسرحون من العمل والعودة لبلادهم وإنهاء خدماتهم ، وسيقدم لهم أجرهم كاملا وزيادة رواتب ثلاثة أشهر ، وسيمنحون مكافآتهم ، وثمن رحلة الطائرة لبلادهم .

وقال : صاحب القصر ـ كما تعلمون ـ بناه ؛ ليكون حصنا له ؛ ولكن يد الغدر والخيانة نالت منه فيه ، والوارث لهذه الأملاك ليس بحاجة لنا ، وأنه قد يبيعه أو يمنحه للدولة ؛ لتسفيد منه في قلب هذه الصحراء القاحلة . وأعلمهم أن إنهاء خدماتهم سيكون رويدا رويدا ، وأعلمهم أن التحقيق الجنائي على وشك الانتهاء منه بعد اعتراف القاتلة بقتل السيد ، وقتل من زعمت أنهم والداها ، واستقبل العاملون الأخبار بوجوم وبعضهم بفرح يسير؛ لأن ترك الإنسان لما اعتاده ليس بالأمر الهين والطيب .



ونشط داود بعد العودة لبلبل بالاتصال بشركاء بسيم ومحاميه في خارج البلاد لتصفية وبيع حصص السيد ، وخلال شهور كانت الأمور تسير كما يحب داود والمهندس ، والنتائج النهائية ستتحقق بعد سنة أو أكثر ، هناك حسابات معقدة لبعض الشركات وفروعها في العالم .

أنجبت سعاد مولودها الأول ، وغمر الفرح القصر والأهل ، وسماه أديب على اسم جده بسيم امتنانا لما قدمه له جده من مال وثروة ، جعلته في مصاف السادة الكبار ورجال المال على مستوى العالم ، وكانت تنازعه نفسه بترك العمل موظفا مهندسا في شركة .

ووفد الأهل والأقارب والأصدقاء يباركون لهما الطفل ، ثم صنع لهم في يوم محدد وليمة كبيرة التقى فيها جميع أعضاء فريق البحث عن الكنز والتحقيق في مقتل السيد كالعقيد حاتم ومساعده المقدم مالح ، والتقت نساؤهم بسعاد ، وأظهروا عواطفهم الرقيقة والنبيلة نحوهم ،

وقد فرحوا لميلاد السيد بسيم الصغير ، وتأكد لهم أكثر وفاء المهندس لجده ، وأنه محب له رغم المرار الذي تركه مقتل أسرته والديه وإخوانه في نفسه بسبب مخاطرات السيد الكبير .



اطلع المحامي داود من قبل العقيد حاتم أن الشرطة قد ألقت القبض على الشخص العربي الذي كان مرافقا لأصحاب الفتاة البرازيلية القاتلة ، وهو مروج للمخدرات بين فتيان وفتيات المعاهد والكليات ، وهو من رواد مراكز العلاج ، وتعرف على الفتاة من خلال مركز العلاج من الإدمان أو هي تعرفت عليه ، وظلا على تواصل بعد خروجهما ، وتبين للشرطة أنه لا يعرف عنها وعنهم سوى القليل من المعلومات بسبب اللغة ، وهو الذي عرفها على عدد من رفاقه في التعاطي والإدمان ، واستطاعت السيطرة عليهم وسلمتهم لزملائها البرازيليين ، فكانوا يقومون ببيع ونقل المخدرات بين المدن والحدود ، وبعضهم سقط في أيدي شرطة المكافحة ، وهم يقبعون في السجن ، وبعضهم أخذ فترة علاج كما هو متبع باعتبار متعاطي المخدر مريض بحاجة لعلاج أكثر من الحبس ، وكان هذا الرجل العربي يحلم بمغادرة البلد والعمل مع العصابات الدولية عن طريق الفتاة ورفاقها ، وهو لا يعلم الغاية الحقيقية لوجودهم في البلاد سوى تجارة المخدرات ، وسمع عن القتل والجريمة ؛ لكنه ظنها في نطاق تجارة المخدرات ، وأخبر الرجل أنه افترق عن زميليه بعدما اتصلت الفتاة مخبرة عن تجدد التحقيق في جريمة مقتل السيد بسيم ، واعتقدوا أن لدى البوليس شيئا جديدا للقيام بالتحقيق من جديد . فقال : لما تلقينا ذلك التلفون المرعب انزعج الشابان واجروا اتصالا دوليا من خارج الشقة ، ثم عاودوا الاتصال بالفتاة ، ثم في الصباح تم تسكير حساب الشقة ، وزعموا أنهم وجدوا سكنا جديدا ، وأخلت الشرطة سبيله .

قال حاتم للمحامي : وهو ما زال تحت المتابعة الخفية أملا بالوصول للشابين شركاء الفتاة في

الجريمة ، وأما الرأس الكبير مانيو فعاجزة الشرطة عن المطالبة به ؛ لأسباب كثيرة في نظر الشرطة ، فالرجل الزعيم مانيو هو معروف للبوليس الدولي وعلى قائمته أصلا ؛ ولكنهم متحصنون في أماكن سرية من الصعب الوصول إليها .. فهؤلاء المجرمون يملكون سفنا ويخوتا وغواصات كما يشاع غير الأوكار في مدن وقرى أمريكا الجنوبية .

وتابع حاتم : حتى أن الشاب لا يعرف أسماءهم الحقيقية.. فهؤلاء أسماؤهم مركبة وأجنبية ليس من السهل ترجمتها وفهمها على شاب ذي ثقافة محدودة .. المهم أن العملية كلها انتقام في انتقام من السيد بسيم الذي ساعد أو شارك في قتل أبيه المجرم الكبير في إحدى عمليات بيع السلاح أو تهريبه .. فهؤلاء الانتقام عندهم دين ، وله أهمية كما فهمنا منها للسيطرة على عدد من العصابات والمناطق كما تفعل الوحوش البرية الضارية .

قال داود : الشرطة لا تريد تقديم الفتاة للمحكمة حتى يتم القبض على صاحبيها الأجنبيين بالذات ، ونحن بدأنا بإخلاء القصر من هؤلاء الأجانب ، فقد أصبحوا عبئا على موازنة القصر وطلب أديب التخلص منهم ، وإكرامهم غاية الكرم لعملهم الطويل مع جده .. واليوم لم تعد لهم فائدة بعد وصول التحقيق إلى نهايته تقريبا .

قال العقيد حاتم : لا بأس يا سيدي ، فليست الشرطة بحاجة لشهاداتهم ، فلو أبقيتم على السكرتير مايا .

ـ سيبقى هو وزوجته وحارس واحد وطاهي واثنان من الخدم وعمال البساتين ، وستقام حملة صيانة للطابق الأول خاصة وباقي القصر عموما .. والحارس الإفريقي قد أنهيت خدماته ، وإذا احتجناه عند المحكمة وافق على المجيء وتقديم شهادته في أي وقت إذا كان على قيد الحياة ، وكذلك تعهد كل من صرف بالعودة للشهادة إذا احتيج إليهم .. حاول قاضي التحقيق تأخير سفرهم فذكرت له العبء المالي الذي ترتب علينا لبقائهم منذ مقتل السيد بسيم .. ندفع لهم مرتبات وأجورا دون فائدة تعود علينا بعد مقتل واغتيال السيد .

فقال حاتم : سأحاول الاتصال بهذا العربي ؛ لعلي استطيع الحصول على معلومات منه عن

الرجلين الهاربين لنعجل في تقديم القضية للمحكمة للنظر فيها .

ـ هذه خدمة كبيرة تقدمها لنا عقيد حاتم ، ونشكر جهودك في تقدمنا في معرفة اليد الأثيمة التي نالت من السيد .

ـ أرجو أن لا يكونا قد هربا .

ـ لو ثبت خروجهما من البلد لعجل هذا في المحاكمة ، فيحاكمان غيابيا وينتهي الموضوع ، فيطلبان من البوليس الدولي .

ـ فعلا يا حضرة المحامي .. على كل حال سأبذل جهدي وخبرتي في الوصول إلى نتيجة ـ إن شاء الله ـ سيد داود .

ـ لك كل الحب والتحية يا سيدي العقيد .. والأخ أديب لا ينسى جهودك معنا

ـ بلغه سلامي وشوقي وتحياتي .

ـ حضرت وليمة ولادة ابنه بسيم .

ـ نعم ، ولم يتسنَ الجلوس معه كثيرا كنت على موعد .

٣٣

من المعلوم أن الشاب الملقب بسحام ليس له يد في مقتل السيد بسيم ، ولم يعرف بالحادث إلا عندما حدثت الجريمة ، وبالتأكيد أنه لم يكن يعلم بارتكاب الفتاة الوديعة التي تعرف عليها في مركز العلاج من الإدمان أنها هي تلك المجرمة ؛ ربما عرف دورها الخطير ليلة اتصلت برفاقها وأسرعوا بالهرب والاختفاء .

هو كغيره كان يظن أن الفتاة تعمل في القصر الصحراوي مع والديها ، وأنها جاءت من بلادها للعمل والعلاج شفقة وعطفا من السيد بسيم ، ثم لحق بها زوجها وأصحابها ، فقد كانت تخرج معهم في سهرات خاصة ؛ ولكن هل كانوا يجرؤن على معاشرتها وهي عشيقة وزوجة سيدهم ؟ لم يكن عنده جواب .

خلال فترة العلاج التقت بالشاب سحام وغيره ممن جاءوا راغبين بالعلاج من سموم المخدرات واستطاعت تجنيده للعمل بتجارة المخدرات ، خاصة صغار التجار والمروجين بين الطلاب في الجامعات وحتى المدارس الثانوية ، وكان يراوده الحلم بالسفر للبرازيل والعمل في تجارة المخدرات مع العصابات الكبيرة وعلى مستوى العالم ، ولما غادرت مركز العلاج أخذت تتصل به ويتواعدان على اللقاء ، فأصبح صديقا لها في البلد ، وجاء مدينة جاد عددا من المرات ليلتقي بها ، وعرفها على بعض الزملاء عندما تنزل بلبلا ، والفتاة متعلمة كما نعرف ؛ورأت العمل في المخدرات أفضل من العمل بوظيفة حكومية أو شركة خاصة ، وهي جاءت بلبل لعمل خاص كلفت به ، جاءت على أنها ابنة الكوا توماس المتورطة في تعاطي المخدرات والتي هي بحاجة لعلاج وعطف وشفقة من الآخرين ، ورغم تعاطيها للمخدرات فهي لم تصل لمرحلة الإدمان ؛ إنما كانت تتظاهر بذلك لغاية في نفسها ، وإنما هي تتعاطها للمرح والكيف ؛ولكنها أحبت تجارتها والعمل مع العصابات ، فأحبت المال والثروة عن طريق التجارة بها ، فكانت تعمل على زرع فكرة أنها مدمنة ومتورطة في التعاطي بين أهل القصر وبين أصحابها العرب ، وتشاركهم حفلاتهم الماجنة بين الحين والآخر ، وكان مايا لا يرى أنها تشكل خطرا في القصر لزعمها أنها

ابنة الكوا وزوجته ، وهما لم يشككا في ذلك ، والأوراق تؤكد ذلك ، وجواز سفرها عليه اسم السيد الكوا واسم زوجته ، والسلاح غير مسموح بدخوله دون علم ومعرفة له وللحرس ، وكان من الصعب الوصول إلى غرفة السلاح ، ولا يصلون إليها إلا عن طريق غرفة السكرتير و الحقيقة أنها نجحت بخداع السكرتير والسيد بسيم وغيرهم ، وكانت تشارك الكوا وزوجته الشقة ؛ كأنها ابنة جاءت للعمل والعلاج من الإدمان فعلا ؛ ولكنها فشلت في العلاج ، وظلت تتعاطى وتحاول كل مرة إدخال مخدرات للقصر ولو بشيء بسيط ؛ فصار الاعتقاد السائد أنها مريضة ، وما زالت تتعاطى ، فيشفق عليها الحرس وسكان القصر .

وعرفت أصحابها بسحام واستخدموه في نقل المخدرات بين المدن ونقاط الحدود لتهريبها للدول المجاورة أو الاستلام للبضاعة ، وظلت على ذلك الأمر حتى اغتالت الرجل كما ذكرت لنا في اعترافها بعد قتلها للكوا وزوجته ، وكان في حساب مانيو أن القاتل مجهول وسيغلق الملف وبعد حين سيغلق القصر ، ولن يكتشفها أحد ، ولكن ظهور حكاية الكنز والبحث عنه أخرت إغلاق القصر ، فطلب منها زوجها الصبر والبقاء في القصر حتى لا يصبحا طريدة العدالة الدولية ، ثم تجدد التحقيق في الجريمة من قبل محقق خاص ، ومعنى ذلك أن التحقيق سيعاد فتحه حتى يعرف الجاني ، وهي اتصلت بهم لتأمين جواز سفر آخر لها للهرب حسب خطة الطوارئ ، فطلب منها الاستمرار في القصر مع الاستمرار في أخذ المخدرات ، ثم اختفى الرجلان ، وانقطع عنها الاتصال .

التقى العقيد حاتم بالسيد سحام في مقهى عمومي اختاره الأخير بنفسه ، فقال سحام : إنني أعرفك قبل أن تتقاعد ، أنت تعمل مع جهاز الشرطة والسرقة والقتل ، أما أنا فكانت علاقتي مع شرطة المخدرات .. وأنا لا دخل لي في جريمة قتل السيد بسيم ، ولا جريمة قتل الكوا وقرينته .. بل أنا لم أعرف بدورها في الجريمة الأولى إلا عندما تجدد التحقيق ، وقتلها للرجل وزوجته ،فاستوعبت دورها الكبير في الجريمة الأولى .. علاقتي معهم علاقة مخدرات .

قال حاتم مشجعا : هذا معروف لي وللشرطة ، ومن أجل ذلك تخلت عنك شرطة الجرائم ، ولم

تحبس وتقدم للقضاة .. أنا رغبت بلقائك صراحة أقولها لتساعدنا في إلقاء القبض على الرجلين أو تساعدنا في إثبات خروجهما من البلد .

ـ عندما اتصلت الفتاة بالشقة تلك الليلة رد عليها من اسمه الكسندر ، وكان حديثهما بالبرتغالية كما أفهم من حديثهما لبعض ، وهي بالطبع لم تتحدث معه عن الجريمة صراحة ، فهي تعلم أن السكرتير يسجل الاتصالات .. فقال الكسندر كما فهمت أن التحقيق عاد من جديد فخرج من الشقة بعد أن رطن لصاحبه بكلمات ، وخرج وعاد بعد ساعة أو أكثر وفهمت أنه اتصل بالبرازيل ، وبعد حين اتصل بالقصر بالفتاة ، واعلم أنهم يتكلمون بالرموز من خلال كلامهم ، وأنا كنت ليلتها معهم في الشقة ، وكان معنا بعض بنات الهوى ، ولما جاء الاتصال طلب مني صرف الفتيات ، فتسللن خارجات ، وقد أخذن أجورهن وانصرفن ، واعلم أن دخول الفتيات ممنوع ؛ لكن بشيء من التنكر ؛ ودفع بعض المال للحرس يغضون الطرف ، ثم خرج كما قلت وأجرى محادثة من خارج الشقة ، ولما عاد هاتف القصر في آخر الليل ، وفي الصباح دفع للوكيل باقي حسابه وغادرنا الشقة. وقال لي فريدي : الشرطة يا سحام في قصر الجدية ويحققون في الجريمة من جديد ووضع صاحبتنا صعب هذه المرة .. وكان الكسندر غاضبا عليها ؛لأنها تكلمت معه من القصر ، فالأصل أن تتحدث معنا من بريد جاد ،وكان الكسندر يتحدث معها بلغة مفهومة بينهم ، مشينا مائة متر عن المجمع السكني للشقق المفروشة ، وركبنا سيارة أجرة إلى وسط المدينة ، ونزلنا في فندق صغير وشعبي ، لنا معرفة بمديره ، يأمُه سياح أجانب الذين يحبون قضاء أيامهم في الأماكن الشعبية وتوفير بعض المال .. وتركنا الكسندر وطلب مني البقاء مع فريدي ، وسافر إلى جاد ، والتقى بالفتاة كما علمت بذلك بعد رجوعه ، وفهمت من كلامهم بأن الأمر جد خطير .

ـ أين التقى بها ؟

ـ في مطعم سياحي معروف لنا ، وكان ذلك أثناء أخذها للحقنة ، فهو كما فهمت رتب لها هذا اللقاء للخروج وأخذ المخدرات والاستمرار في لعبة التعاطي ومحاولة إدخال كمية منها للقصر

ـ لم يقل صاحب المطعم ذلك .

ـ نحن نزود صاحب ذاك المطعم بالمخدرات في بعض الأحيان .. فلما رجع من جاد طلب مني الاختفاء سبعة أيام ، ثم العودة إلى الفندق فندق الوزة البيضاء .. ولما عدت حسب الأوامر ، لم أجدهما .. أخبرني صاحب الفندق أنهما غادرا بعدي بيومين ، وعدت ثانية وثالثة ، ثم استوعبت أنهما تخلصا مني ، وهم خائفون من صحبتي لهم في هذه الفترة الحرجة ، ثم علمت من الصحف بالقبض على الفتاة بجريمة قتل والديها في قصر الجدية .. لم أكن أعلم أنهما ليسا بوالدين لها وأعتقد يا سيدي العقيد أنها فعلت ذلك من نفسها ، ضاقت ذرعا من وضعها بعد تخلي الجميع عنها ، فتصرفت تصرفا فرديا ، ومن الصحف علمت أنهم لم يكونوا أهلها .. هذه قصتي معهم وأنا قلت للشرطة عندما مسكوا بي وأنا في زيارة لبيت أمي المطلقة ، وتعيش وحدها بجوار أحد إخوتي المتزوجين ، قلت لهم ما تفوهت به أمامك الآن .. فليس لي دور في جرائم القتل سواء الأولى أم الثانية .

ـ ألا يمكن الوصول إليهم ؟ ألا يمكننك مساعدتنا ؟

صمت سحام لثوان ثم قال : حقيقة يا سيدي أن ذلك صعب ، فالكسندر رجل ماكر وحذر حتى من رفيقه فريدي .. فهو ابن عصابة قوية .

ـ كيف كنت تفهم عليهم ؟

ـ من المعاشرة وهم يحسنون العربية إلى حد ما ، وإن لم يتكلموا بها ، فهم يفهمون عني ويكلمونني بها ؛ لأفهم المهمات التي كنت أكلف بها .. طبعا ليس كما نتحدث نحن بها ..وهم يخلطونها بلغتهم .. وكنا نتوقف أحيانا لفهم المطلوب بالضبط ويوضحونه لي بصبر .. فكان الكسندر يتحرك باسمه هذا ، وكذلك فريدي ، أما أسماؤهم في الجوازات فلا أعرفها ، ولم أرى جوازاتهم نهائيا .. وهم يتنكرون بشخصيات أخرى عند الحاجة .. اعلم يا سيدي أنني كنت بريدا لهم .. أنقل المال أنقل مكان تسليم البضاعة إحضار النساء المومسات لهم .. وكله بثمنه يا سيدي العقيد ..وهذه حياتنا القذرة ..وكنت أحلم بالرحيل لبلادهم .

ـ هل رأيت زوجها مانيو وقابلته ؟

ـ حصل أن قابلته ، وكلفني بمهمات خفيفة ، وهو زوجها بالتأكيد ، وكان يأتي للقاء بها ، واليوم أفهم أنه كان يأتي لمتابعة قضيته وانتقامه .. وها أنا أرى اليوم أنهم تخلوا عنها وتركوها لنفسها حتى لم يكلفوا محاميا بالدفاع عنها .. زرتها في السجن ، وقالت لي أرغب بالموت يا سحام ، الكل تخلى عني ، وتركوني تحت رحمة الكوا وزوجته .. وهي زوجته ؛ لأنها لم تكن تسمح لأحد أن يعاشرها .. كانت تخرج مع الكسندر في مشاوير خاصة ، ولا أدري ما يكون بينهما ، فقد شاركتها في جلسات تحشيش ورقص ، ولم تمكني من مضاجعتها ، فأدركت أن مانيو شيء مهم في العصابة .

ـ اعترفت بأن مانيو سيدها وعشيقها ، وأنه وعدها بالزواج الشرعي إذا حققت له انتقامه .. ويسرني خدمتك يا سيد سحام ، وأشكر شجاعتك وصراحتك .. وإذا احتجت لخدمة مقدورة فأنا في خدمتك .. وإذا وجدت جديدا أو جد شيء مهم فاتصل برقم الشرطة أو النجدة .. ولن ينسى لك البوليس أي خدمة تقدمها لهم وأي تعاون معهم .. وإذا تحتاج جديا لإدخال لمركز العلاج ؛ فأنا مستعد أن أقدم لك هذه الخدمة وتوصية لهم .

تنهد سحام بعمق: وقال : إنني أفكر بذلك جادا

ـ أنصحك بذلك ، وليس خطأ أن تصحح حياتك كأغلب البشر ، وتخلص من هذه السموم التي أنهكت بدنك .



ذكر حاتم للضابط المحقق في جريمة القصر عن أسماء الرجلين الهاربين ، وأنهما يتقنان التنكر وربما يحيون بجوازات سفر غير المعروفة للسلطات والمطار والموانئ

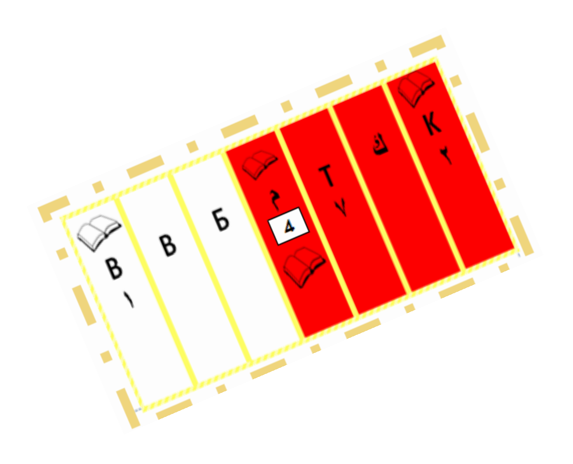
وقال حاتم : أنا أرجح أنهم هربوا بعد مفارقة سحام لهم .. وأقدمت الفتاة على القتل بعد يأسها

منهم ، ولم يعودوا يتحدثون معها ويقابلونها سرا وعلنا ، فأدركت أنها أمست ورقة محروقة ، فوجدت في الجريمة تنفيسا لغضبها وتوريطا لهم لتهتم الشرطة بمطاردتهم .

ـ لقد حاولت الانتحار أكثر من مرة في السجن ، وأتصور أنها ستفعل ذلك عندما تتهيأ الفرصة لها .. فهي أجرت كذا اتصال من السجن في البرازيل ؛ ولكن بلا فائدة ، لا يرد عليها أحد .. وتحدثت مرة مع أمها الحقيقية تطلب منها العفو عنها .. يبدو أنها أسأت لها في يوم من الأيام .

ـ عليها أن تتحمل ما جنت يدها .. وما أهلكت من الشباب ببيع المخدرات والسموم .. فهل يستحق هؤلاء الناس العطف والشفقة ؟!

ـ الجريمة والعقاب .



٩/ ١٠/ ٢٠١١

جمال شاهين

*لغز القصر الصحراوي *

كانت حياته في خطر كبير لكثرة الخصوم

فشيد قصرا في قلب الصحراء

ووفر فيه كل وسائل الحماية المعروفة

وأخفى فيه كنزا ومذكراته

وطلب من ورثته ألا يتخلص منه إلا بعد حوزته للكنز والمذكرات

وقتل في النهاية داخل القصر

فكان هناك لغز الكنز ولغز القتل



التحقيق الجنائي والجريمة